وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

جامعة العربي التبسي– تبسة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ والآثار

LARBI TEBESSI – TEBESSAUNIVERSITY

UNIVERSITE LARBI TEBESSI – TEBESSA-

الميدان: علوم إنسانية واجتماعية

الشعبة: علوم انسانية

التخصص:تاريخ معاصر

العنوان:

دورالسياسة الفرنسية في توجيه الخطاب الديني في الجزائر خلال الجمهورية الفرنسية الثالثة–1870–1940.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر" ل.م.د "

دفعـــــة: 2018

إعداد الطلبة:

1-مسلي نورة

2-بوعلاق جهيدة

إشراف الأستاذ :

سنوسي عبد الفتاح

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
خليدة بليدي	محاضر ب	رئيسا
سنوسي عبد الفتاح	مساعد أ	مشرفا ومقررا
ميهوب مبروك	مساعد أ	عضوا ممتحنا

السنةالجامعية:2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن

خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان

﴿صدق الله العظيم﴾

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي - تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

تعهد

أنا الموقع أسفله

الطالب (ة): مسلي نورة

صاحب بطاقة التعريف الوطني رقم: 113845 الصادرة بتاريخ: 15/01/2009

والمكلف بإنجاز مذكرة تخرج ماستر في التاريخ المعاصر.

المعنونة بـ: السياسة الفرنسية في توجيه الخطاب الديني في الجزائر خلال الجمهورية الفرنسية الثالثة(1870/1940)

أتعهد أنني التزمت بمراعاة كافة معايير الأمانة العلمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه، وفي حالة مخالفتي لذلك أتحمل جميع التبعات القانونية.

تبسة في : ...../...../ 2018.

إمضاء وبصمة الطالب

26 أفريل 2018

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي - تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

تعهد

أنا الموقع أسفله

الطالب (ة): بوعلاق جهيدة

صاحب بطاقة التعريف الوطني رقم: 484914 الصادرة بتاريخ: 30/11/2014

والمكلف بإنجاز مذكرة تخرج ماستر في التاريخ المعاصر.

المعنونة بـ: السياسة الفرنسية في توجيه الخطاب الديني في الجزائر خلال الجمهورية الفرنسية الثالثة(1870/1940)

أتعهد أنني التزمت بمراعاة كافة معايير الأمانة العلمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه، وفي حالة مخالفتي لذلك أتحمل جميع التبعات القانونية.

تبسة في : ...../...../ 2018.

إمضاء وبصمة الطالب

27 أفريل 2018

شكروعرفان

أولا نحمد الله ونشكره شكرا كثيرا ،فلولاه لما فتحت أمامنا الأبواب ولما خطونا أي خطوة للأمام .

فكما جاء عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال:

((من لم يشكر الناس لم يشكر الله))

وعليه فإننا نتقدم بكل عبارات التقدير والإحترام ، وبكل

كلمات الشكر والإمتنان إلى الأستاذ المشرف عبد الفتاح سنوسي الذي ساعدنا بتوجيهاته وإرشاداته القيمة فكان نعم المرشد والموجه ،فشكرا جزيلا لك فأنت حقا كما قال الشاعر:

قم للمعلم وأفه التبجيل ***** كاد المعلم أن يكون رسولا

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل الأساتذة الذين أشرفوا على تدريسنا ،أساتذة قسم التاريخ جامعة العربي التبسي –تبسة-

كما نخص بالذكر كل القائمين على المكتبات التي قمنا بزيارتها وخاصة مكتبة المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة ،والمكتبة الوطنية بالحامّة ،وملحقة متحف المجاهد بتبسة،وكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجازهذا العمل المتواضع.

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .

إلى روح أول من تلقيت عنه أول درس في التربية والأخلاق ،إلى الذي علمني أول خطوة،إلى الذي علمني أن الرجولة تكمن في حسن الرعاية، إلى الذي يشتاق نظري لرؤيته ،وتمنيت أن يرى ثمرة تعليمه لي،إلى قدوتي ومثلي الأعلى ،إلى صاحب الفضل و الوقار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أبي الغالي والحبيب محمد لعروسي – رحمة الله عليه– حبّا و وفاء...

إلى ملاكي في الحياة ،إلى التي جعلت الجنة تحت أقدامها ،إلى التي بطيبتها غمرتني بكل حنان والتي بدون تضحياتها ما كنت لأصل لهذا المستوى لأنها لطالما غطت دور الأم والأب في نفس الوقت، إلى من كان دعائها سر نجاحي إلى وسام فخري وشمس حياتي، إلى التي إليها انتمي وبها اكتفي أمي الغالية والحبيبة نونة – حماك الله –

إلى من ربطني بهم حبل الأخوة وملئوا حياتي بالسعادة إخوتي أخواتي كل باسمه،وأخص بالذكر عبدالله

إلى رفيق دربي الرقيب الأول تيتو

إلى جميع زملائي وكل من أضاء بعلمه عقل غيره ،إلى جميع صديقاتي .

إلى رموز كرامتنا من شهداء ومجاهدين في ارض الجزائر مليون ونصف مليون شهيد ، الذين صحو بأنفسهم من اجل أن نعيش أحرار

إلى وطني الجزائر

الفهرس العـــــــــــــــام

الفهرس العام:

مقدمة	**أ/د**
فصل تمهيدي: لمحة عن الأوضاع الدينية في الجزائر قبل الجمهورية الفرنسية الثالثة خلال الحكم العسكري-	
الفصل الأول : واقع الحياة الدينية في الجزائر خلال الجمهورية الفرنسية الثالثة	**09**
المبحث الاول : الإطار المفاهيمي للخطاب الديني	32
- تعريف الخطاب	32
- الخطاب عند الغرب غالقدامى و المحدثين	34
- الخطاب الديني عند العرب القدامى و المحدثين	36
- مفهوم الخطاب الديني	36
الفصل الأول: المساجد، الزوايا والكتاتيب ،المدارس	
- المساجد	38
- دور المساجد	45
- الزوايا والكتاتيب	46
- تعريف الزاوية	46
- دور الزاوية في المجتمع الإسلامي	48
- الزوايا في منطقة القبائل	50
- الكتاتيب القرآنية	52
- دور الكتاتيب القرآنية	53

- المدارس	54
- مدارس التعليم القرآني بواد سوف	57
المبح الثالث: نادي الترقي، جمعية العلماء	
أولا : نادي الترقي	
- تعريف نادي الترقي	
- تسمية النادي	
- تأسيس النادي	
- دور نادي الترقي في محاربة التنصير	
- ظهور نادي الترقي	
- أهداف نادي الترقي	
ثانيا : جمعية العلماء المسلمين	
- تأسيس الجمعية	
- قانونها الأساسي	
- مبادئ الجمعية	
- وسائلها	
- أهدافها	
الفصل الثاني :دور رواد الاصلاح في مواجهة السياسة الفرنسية في توجيه الخطاب الديني بالجزائر	
المبحث الاول: عبد الحميد ابن باديس	

- مولده ونشأته
- تعلمه
- شخصيته و عوامل تكوينها
- نشاطه الدعوي الاصلاحي ضد سياسة الاستعمار

المبحث الثاني : الطيب العقبي

- مولده ونشاته
- عوامل تكوين شخصيته
- تعلمه
- أعماله الاصلاحية
- وفاته

المبحث الثالث: محمد البشير الابراهيمي

- مولده ونشأته
- تعلمه
- أعماله الاسلامية
- نفيه

المبحث الثالث : الطرق الصوفية

- التصوف في الاسلام
- أصله ونشأته
- الطرق الصوفية في الجزائر

- دور الطرق الصوفية في مقاومةالاستعمار الفرنسي
- الدور الديني للطرق الصوفية

المبحث الثاني :الحركات التبشيرية والتنصير

- مفهوم التنصير
- دور المدرسة الفرنسية في سياسة التجزئة
- فشل سياسة التبشير التنصيرية

المبحث الثالث: إقامة المحاكم الفرنسية ونفي الأئمة

- إنشاء المحاكم الفرنسية

الفصل الرابع : المواقف وردات الفعل

المبحث الأول:موقف المصلحين الجزائريين

- الوسائل التي وظفها العلماء في مواجهة السياسة الفرنسية تجاه الدين السلامي
- الدروس الدينية و والمحاضرات
- العناية بالتربية والتعليم
- توظيف الصحافة في فضح دسائس الاستعمار

المبحث الثاني: التوعية الشعبية

- مقومة سياسة الفرنسة الاستعمارية
- مقاومة سياسة التنصير

لمبحث الثالث: إنعكاسات السياسة الفرنسية على المجتمع

خاتمة
قائمة الملاحق
قائمة المصادر والمراجع

مقدمة

تعرضت الأمة الإسلامية الجزائرية خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر (1830) لهجمة استعمارية أوربية شرسة ،ادعت من خلالها القوى الاستعمارية الفرنسية أنها حملت لها رسالة حضارية لإخراجها من ذلك التخلف الذي تعاني منه فاتبعت فرنسا منذ الوهلة الاولى التي وطأت فيها أقدامها أرض الجزائر سياسة استعمارية ذات طابع استيطاني ،لغرض تكريس هيمنتها على هذه الأمة موظفة شتى الوسائل و مستعملة كل الأساليب،و في مقدمتها محاولات الطمس و التنصير و القضاء على المقومات الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية، بالتركيز على أهمها و هو الدين الاسلامي عن طريق إحكام قبضتها على مؤسساته و من يديرها و بالمقابل كان رد الفعل الشعب الجزائري عليها بمواجهتها بكل صبر و عزم و ايمان و بذل النفيس في سبيل حماية العقيدة الاسلامية التي ترغب فرنسا في تشويهها و أبادتها حتى تصل إلى هدفها المنشود ، و هذا ما حاولنا ابرازه من خلال دراستنا لهذا الموضوع الموسوم ب : السياسة الفرنسية في توجيه الخطاب الديني في الجزائر خلال الجمهورية الفرنسية الثالثة (1870-1940) .

اسباب اختيار الموضوع : هناك أسباب و مبررات عديدة دفعتنا الى البحث في هذا الموضوع منها ما هو ذاتي و منها ما هو موضوعي .

دوافع ذاتيـــة :

_ التطلع اكثر الى معرفة المواضيع التي تكاد ان تكون في طريق النسيان و محاولة فهمها و دراستها .

_ الرغبة الشخصية في دراسة مثل هذه المواضيع ذات العلاقة المباشرة و التاثير البالغ في حياة المجتمع الجزائري رغم تعدد الدراسات و الدارسين دفعتنا الى الخوض في هذا الموضوع علنا نقف لا على الاسباب فحسب با على اثار هذه السياسة على الجزائريين .

_ تقديم دراسة و لو متواضعة و بسيطة في هذا الموضوع حتى نفتح الباب امام غيرنا للبحث فيها بعمق .

_ الرغبة في تسليط الضوء على الاساليب التي استعملتها فرنسا في سبيل القضاء على الدين الاسلامي خلال فترة الدراسة .

_ وقد وجدنا في شخصية استاذنا الفاضل سنوسي عبد الفتاح كل التشجيع لانجاز البحث الاكاديمي .

دوافع موضوعية :

_ محاولة التعرف على دور السياسة الفرنسية في توجيه الخطاب الديني في الجزائر خلال الجمهورية الفرنسية الثالثة .

_ دراسة و معرفة الاساليب المعتمدة من قبل فرنسا لطمس معالم الدين الاسلامي و العقيدة

_ اهمية و طبيعة هذا الموضوع باعتباره يشكل منعطفا تاريخيا حاسما في تاريخ الجزائر المعاصر

_ الأبحاث في كثير من الأحيان كانت ترتكز على الجوانب السياسية و غالبا ما يهمل الجانب الديني في دراستها لذا حاولنا تقديم دراسة لسد جزء و لو قليل من الفراغ في هذا المجال .

إشكالية البحث :

تتجسد إشكالية موضوع بحثنا في محاولة تسليط الضوء على الأساليب التي انتهجتها فرنسا لمحو أحد ابرز مقومات الفرد الجزائري المتمثل في الدين الاسلامي ، تثير إشكالية هذا البحث سؤالا جوهريا و هو : – كيف كان دور السياسة الفرنسية في توجيه الخطاب الديني في الجزائر خلال الجمهورية الثالثة ؟ و ما موقف الجزائريين منها ؟

وهي إشكالية تتطلب الكثير من التركيز على العوامل الرئيسية التي جعلت فرنسا تصب اهتماماتها على الجانب الديني و لتوضيح الاشكالية أكثر نطرح التساؤلات الفرعية التالية :

1 _ فيما تمثلت سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في توجيه الخطاب الديني بالجزائر ؟

2 _ ماهي أوضاع الجزائر الدينية خلال الجمهورية الثالثة ؟

3 _ ما هو الدور المهم الذي لعبه رواد الإصلاح الديني في الجزائر لمواجهة هذه السياسة ؟

4 _ ما هي أهم الاستراتيجيات التي اتبعتها فرنسا لتطبيق هذه السياسة و الوقوف في وجه الشعب الجزائري المتشبث بدينه و عقيدته ؟

5 _ ما أهم انعكاسات هذه السياسة على الفرد الجزائري ؟

6 _ بماذا تميزت مواقف رجال الإصلاح من تلك السياسة ؟ و كيف ساهم فكرهم الإصلاحي في الدفاع عن الإسلام ؟ و ما هي الوسائل التي اعتمدوا عليها في ذلك ؟

7 _ إلى أي مدى حققوا الأهداف التي سعوا من أجلها ؟ و للإجابة على إشكالية البحث و أسئلتها الفرعية وضعنا خطة تتألف من : مقدمة ، فصل تمهيدي ، أربعة فصول، و خاتمة. تناولنا في الفصل التمهيدي لمحة بسيطة عن الأوضاع الدينية في الجزائر قبل الجمهورية الفرنسية الثالثة أي خلال الحكم العسكري . أما الفصل الأول فقد تطرقنا فيه إلى واقع الحياة الدينية في الجزائر خلال الجمهورية الفرنسية الثالثة، تندرج تحته ثلاثة مباحث معنونة كالآتي:

المبحث الأول : الإطار المفاهيمي للخطاب الديني

المبحث الثاني : المساجد ، الزوايا و الكتاتيب ،و المدارس

المبحث الثالث : نادي الترقي و جمعية العلماء المسلمين

و كان اهتمامنا في الفصل الثاني موجها نحو دور رواد الإصلاح الديني في الجزائر في مواجهة السياسة الفرنسية بأخذ نماذج من أهم شخصيات الحركة الإصلاحية التي كان لها الفضل في نشر الوعي في أوساط المجتمع الجزائري، و قد احتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عبد الحميد ابن باديس

المبحث الثاني : الطيب العقبي

المبحث الثالث : محمد البشير الإبراهيمي

في حين خصصنا الفصل الثالث للتعرف على أهم الوسائل و الأساليب التي اعتمدتها فرنسا في توجيه الخطاب الديني في الجزائر، انطوت تحته ثلاثة مباحث كانت عناوينها كالآتي :

المبحث الأول : الطرق الصوفية

المبحث الثاني : الحركات التبشيرية

المبحث الثالث : إقامة المحاكم الفرنسية و نفي الأئمة

أما فيما يخص الفصل الرابع و الأخير فقد خصصناه للتطرق لأهم المواقف و ردات الفعل الجزائرية تجاه هذه السياسة الفرنسية ،وأهم نتائجها على الفرد الجزائري تناولنا فيه ثلاثة مباحث : **الأول** منها تحت عنوان موقف المصلحين الجزائريين ، **الثاني** بعنوان التوعية الشعبية، أما **الثالث** فعنون بانعكاسات السياسة الفرنسية على المجتمع الجزائري .

المناهج المتبعة :

إن طبيعة الموضوع الذي تناولناه و المتمثل في توجيه الخطاب الديني في الجزائر في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة ألزمنا اتباع كل من المنهج التاريخي الوصفي و المنهج التحليلي .

فالأول اعتمدنا عليه في سرد الأحداث التاريخية و وصفها و ترتيبها كرونولوجيا محاولين وصف الأساليب التي انتهجتها فرنسا للقضاء على الدين الاسلامي، خلال فترة الدراسة و من أمثلة ذلك سياسة فرنسا في القضاء على المؤسسات الدينية بتهديمها و تحويلها إلى ثكنات و كنائس و جمعيات فرنسية . أما الثاني استخدمناه في تحليل مختلف القضايا الجوهرية للوصول إلى استنتاجات لأحكام جزئية أو عامة ، تلقي الأضواء على الأحداث التي وقعت ،و إدراك السلبيات منها و إبراز خطورتها على الأمة الجزائرية .مثال ذلك سياسة التبشير في الجزائر .

نقد للمصادر و المراجع : و من بين أهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا البحث نذكر :

_ شارل روبير أجيرون : تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور ، ط1 ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، 1982 . تناول هذا الكتاب مدخل حول الجزائر قبل 1830 و الحملة الفرنسية على الجزائر ، به خمسة أقسام عالج في القسم الأول منه جزائر العسكريين موضحا فيه سياسة الاحتلال الضيق و الشامل ، إضافة إلى الجزائر في عهد الجمهورية الثانية ، أما القسم الثاني فقد خصصه للجزائر الاستيطانية حيث بين فيه نمو الاستيطان و حوادث العصيان و الفتنة، إضافة إلى تطور المجتمع الإسلامي ،في حين خصص القسم الثالث لتطور الجزائر الإقتصادي و الإجتماعي و السياسي . أما الرابع فجعله للحديث على حرب الجزائر . اما بالنسبة للقسم الخامس و الاخير فتطرق فيه للجزائر المستقلة .

فمن خلال اطلاعنا على هذا المصدر استقينا معلومات حول الوضع التعليمي في الجزائر، و الإصلاحات التي قام بها العلماء الثلاث محمد البشير الإبراهيمي ، عبد الحميد ابن باديس، و الطيب العقبي لتعريب الجزائر المهددة بالفرنسة و إنشائهم للمؤسسات الدينية حفاظا على تعاليم الإسلام .

_ إضافة إلى كتابه الثاني ، الجزائر و المسلمون في فرنسا (1871–1919) ، الجزء الثاني ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2007 ، و الذي تناول فيه أوضاع الدين الإسلامي في الجزائر من وجهة النظر الفرنسية ، إضافة إلى القضاء الإسلامي و نقاط أخرى حول الأوضاع في الجزائر منها سعي فرنسا لتدوين القانون الإسلامي الساري في الجزائر، و تعرفنا فيه على الوضع القضائي الإسلامي في الجزائر خلال فترة الدراسة ،إضافة إلى أساليب تسيير شؤون الدين الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين .

_ و قد أفادانا هاذين المصدرين في معرفة رأي المؤرخين الفرنسيين و مقارنتهم بالمؤرخين العرب ، كما ساعدانا على معرفة بعض المعلومات حول فترة الدراسة إلا أنهما تناولا عموميات دون تفصيل .

_ محمد البشير الإبراهيمي : الطرق الصوفية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الغرباء الأثرية ، الجزائر ، 2009 ، تناول فيه أثار الطرق السيئة في المسلمين و موقف المسلمين منها ، إضافة إلى موقف جمعية العلماء من البدع و المنكرات العامة و غيرها، و قد أفادنا في معرفة الصورة التي كانت عليها الطرق الصوفية إبان الحركة الإصلاحية، كما تعرفنا من خلاله على الدور البارز الذي لعبه الشيخ البشير الإبراهيمي خلال مساره الإصلاحي و موقفه من الطرقية ، حيث يعتبر مصدر هام لفترة الدراسة و معرفة العلاقة التي كانت بين الطرقية و علماء الإصلاح .

_ عبد الكريم بو صفصاف : الفكر العربي الحديث و المعاصر ، الجزء الأول ، ط1 ، دار مداد ، يونيفار سيتي برانس ، قسنطينة ، 2009 . تناول هذا الكتاب سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي إضافة إلى أوضاع الجزائر خلال الجمهورية الثالثة و أيضا أوضاعها في عصر ابن باديس، مبرزا مراحل حياة المصلح الجزائري ابن باديس ، كما تطرق لمعنى الإصلاح و أهم الحركات الإصلاحية في الجزائر ، وقد أفادنا في معرفة أهم الأعمال الإصلاحية لرائد الفكر عبد الحميد ابن باديس و مؤسساته التربوية ، اضافة الى القضاء

خلال العهد الاستعماري و يعتبر مرجع مهم في دراسته أوضاع الجزائر المختلفة في عصر عبد الحميد ابن باديس .

_ أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي ، و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ط1 ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007 ، يتحدث هذا المرجع عن الدور الذي لعبه خطيب نادي الترقي الطيب العقبي داخل هذا النادي مع التركيز على النشاطات التي تمت به، بالإضافة إلى ذلك نجد أن هذا المرجع تناول كيفية اغتيال مفتي الجزائر كحول و اتهام الطيب العقبي بذلك ،لكن لم يتحدث بشكل ملحوظ عن سلبيات الطيب العقبي داخل نادي الترقي لأنه ركز على ذكر الجوانب الإيجابية له بإسهاب كبير .

أهم الصعوبات :

أثناء إعدادنا لهذه الدراسة اعترضت طريقنا مجموعة من الصعوبات شأننا في ذلك شأن كل بحثا علميا أكاديميا ، ومن تلك الصعوبات :

1 _ الكم الهائل من المادة الخبرية التي تم جمعها ، و تداخل الأحداث مما أدى إلى صعوبة التحكم فيها و تقديم المهم منها .

2 _ قصر المدة الزمنية المخصصة لإعداد هذه المذكرة لأن البحث العلمي يتطلب وقتا أكثر للإحاطة بالمادة، و نضوج الفكرة العلمية التي يتطلبها البحث خاصة دراسة البحث التاريخي الذي يعتمد على الوثائق و المصادر و المراجع المتنوعة . و مهما يكن من شأن الصعوبات التي ذكرناها إلا أننا تمكنا من تجاوز بعضها و التغلب عليها ، و واصلنا العمل حتى النهاية و الفضل في ذلك يعود إلى نصائح و توجيهات أستاذنا المشرف **سنوسي عبد الفتاح**،الذي اتسع صدره لهفواتنا و أخطائنا المتكررة كباحثين مبتدئين ، فكان لنا نعم الموجه و المرشد فله منا جزيل الشكر و العرفان .

فصل تمهيدي

لمحة عن الأوضاع الدينية في الجزائر قبل الجمهورية الفرنسية الثالثة - خلال الحكم العسكري -

لمحة عن الأوضاع الدينية في الجزائر قبل 1870 (خلال الحكم العسكري)

في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، تعرضت الجزائر لأبشع همجية استعمارية عرفها التاريخ المعاصر، لقد عمدت هذه القوة الغاشمة إلى إغراق البلاد في بحر من الدماء وحولت معالمها ومؤسساتها إلى خراب[1].

كانت فترة كفاح الشعب الجزائري في هذا القرن طويلة جدا وقاسية قدم خلالها السكان تضحيات كبيرة فاستشهد الملايين من أبنائهم وتشرد آخرون، وجرد الباقون من أملاكهم وثرواتهم الحيوانية والعقارية، وطعنوا في كرامتهم الوطنية والقومية، وفي مقدساتهم الدينية خاصة[2].

فبعد أن احتلت فرنسا مدينة الجزائر وما حولها في صيف عام 1830[3] اعتبر الضباط الفرنسيون هذه البلاد أرضا محتلة وأخضعوها للحكم العسكري، ولكنهم واجهوا صعوبات جهة بسبب شدة المقاومة الشعبية فحاولوا أن يستعينوا ببعض الشخصيات الأهلية[4] مثل حمدان بن عثمان خوجة، حيث قاموا باقتراح ألقاب جديدة لهم مثل الخليفة، ولكنهم فشلوا لأن أغلب الشخصيات الأهلية ذات النفوذ رفضت التعاون مع سلطة مسيحية أوروبية في حين عجزت الشخصيات التي قبلت التعاون معها وهي قليلة على إقناع الناس بالخضوع والطاعة لها[5].

1-جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،طبع المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر الإشهار، الجزائر، 1994،ص 91.

[2]- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطذنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 73.

[3]- الأهلية: مفردها أهلي وهو الاسم الذي أطلقه الفرنسيون على المسلمين الجزائريين إشعارا لهم بأنهم دون الفرنسيين (الأوروبيين عموما)، وهم المسلمون الجزائريون الذين فضلوا البقاء على حكم الشريعة الإسلامية بدل تحويل طائفة القوانين الفرنسية، أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج و، ط1، الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 09.

[4]- محمد صالح الجابري: النشاط العلمي الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، دار الحكمة، الجزائر،ص261

[5]- حمدان بن عثمان خوجة: ولد سنة 1773 في عهد الداي محمد بن عثمان باشا، وكلمة خوجة الملقب بها فهي كلمة خواجة، كانت تستعمل كلقب تشريف يمنح اللأعيان من وزراء علماء، ثم انتقلت إلى التركية فأصبحت خوجة، وهي

ومنذ بدية تردد الفرنسيين بين أتباع سياسة الاحتلال الكامل والإدارة المباشرة، أو إتباع سياسة الاحتلال المحدود والإدارة الغير مباشرة، ولكنهم مالوا في النهاية إلى الأسلوب الأول وأخذوا يشجعون هجرة الأوروبيون إلى الجزائر والاستيلاء على الأملاك الجزائرية لتلبية حاجاتهم، حيث أصدرت فرنسا يوم 08 سبتمبر 1830 أوامرها بالاستيلاء على أملاك الدولة التركية والأوقاف الإسلامية والأسر التركية وفتحت بذلك الطريق أمام هجرة المستعمرين الأوروبيين إلى الجزائر وأغرتهم بمختلف الوسائل، ولكن الاستيطان الحر لم ينجح بسبب حالة الحرب القائمة[1].

أسفر العداء بين فرنسا والجزائر وسارت فرنسا في طريقها تحارب وتبيد وتشرد وتنشر الجهل بين الجزائريين، ومن بين الوسائل التي اعتمدتها محاربة اللغة العربية والإسلام، فقد عمدت فرنسا إلى القضاء على الوحدة الوطنية الجزائرية بالقضاء على اللغة والدين فجعلت اللغة الفرنسية لغة الدولة الرسمية ومنعت العرب من افتتاح المدارس والكتاتيب[2] ،كما حرمت المدارس الأهلية العربية[3].

وأهم ما نميزه في هذا الوجود الطويل للإحتلال في بلادنا تباين ثلاث فترات كل واحدة منها لها طابعها المميز بالنسبة للسياسة التي طبقها الاستعماري في البلاد، وبالنسبة لردود فعل الشعب ضد هذا الوجود.

بمعنى المسجل، أو الكاتب ومصادر أخرى تشير إلى أنه ولد في سنة 1775 كما اختلفت المعاني أيضا في تحديد مولده، كما تعددت الآراء أيضا حول تاريخ وفاته بعضها يشير إلى أنه توفي في 1840، في حين بعضها الآخر يقول بأن وفاته كانت سنة 1842، تفرغ حمدان بن عثمان خوجة للتحارة والكتابة، له آثار علمية قيمة تعتبر المصادر الأساسية لدراسة الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر والفترة الاولى من الاحتلال الفرنسي، معظم آثاره عبارة عن مؤلفات وتر جمة ومذكرات ورسائل من أهم مؤلفاته المرآة، انظر :موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954 بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 122-129.

[1]- يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 07.

[2]- إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي المعاصر، ج2، ط1، مكتبة العبيكة، الرياض 2000، ص 129.

[3]- إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، ط1، مكتبة العبيكة، الرياض، 2000، ص 393.

فالفترة الأولى وهي التي تمتد ما بين عامي 1830-1870 والتي تمثل فترة الحكم العسكري، والثانية تبدأ من عام 1870 وتستمر حتى نهاية عام 1918 ،والفترة الأخيرة وهي التي تعطي سنوات ما بين عام 1919 حتى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى نوفمبر 1954[1].

[1]- جمال قنان: مرجع سابق، ص 94.

تتميز الفترة الأولى بذلك الهجوم الشرس الذي شنته فرنسا على الجزائر، والذي تطور عبر السنين ليصبح حربا شاملة ضد الجنس البشري في هاته البلاد[1]، وضد ممتلكاته ووسائل عيشه لقهره والسيطرة عليه، كما تتميز أيضا بردود فعل الشعب على هذا التحدي المتمثل في الغزو الأجنبي للبلاد، بالمقاومة هذا العدوان بشتى أنواعها[2].

اتجهت سلطات فرنسا في مقاومة الإسلام إلى ممارسة عدة إجراءات فقد جاء في تقرير رسمي رفعته لجنة التحقيق الفرنسية إلى الملك شارل العاشر سنة 1833 يقول: **"لقد أهدرت السلطات الفرنسية حقوق الشعب وداست مقدساته وسلبت حرياته[3].... وضمت السلطات الفرنسية أعيان الأوقاف الدينية إلى مصلحة الأملاك، واعتدت على الملكية الفردية ودنس جنودها المساجد ونبشوا القبور، وانتهكوا حرمات منازل المسلمين....** وأعدمت السلطات الفرنسية شيوخا من الصالحين4 كما لجأت فرنسا إلى تهديم المساجد، وإضعاف القضاء الشرعي والاستيلاء على أموال الأوقاف وتعيين الإمام والمفتي الموالي للإدارة الفرنسية5.

وبالإضافة إلى الإجراءات المتخذة من طرف السلطات الفرنسية لمحو الشخصية الجزائرية وتجهيل شعبها ومحاولة تنصيره، ولبلوغ هذا الهدف عملت فرنسا منذ أن وضعت أقدامها على التراب الجزائري على محاربة الإسلام، والاستيلاء على الأوقاف الإسلامية باعتبارها الراعي والممون الرئيسي للنشاطات الدينية[6].

---

[1]- جمال قنان: المرجع السابق، ص 91.

[2]- نفسه: ص 92.

[3]- إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص 393.

[4]- إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر: مرجع سابق، ص 131.

[5]- إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص 131.

[6]- عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 124.

كما أنه الممون للنشاطات التعليمية وفي نفس الوقت يشكل عائقا كبيرا في وجه المخطط الاستعماري، وهذا ما دفع أحد الكتاب الفرنسيين كما ذكر المؤلف عمار عمورة إلى القول: **"بأن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية وتتنافى مع الميادين الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر".**

ولهذا الغرض أصدرت الحكومة الفرنسية عدة قرارات ومراسيم تهدف تدريجيا لتصفية أملاك الأحباس من مساجد[1] ومساكن ومعاهد وبساتين وماطحن وفنادق، وأراضي شاسعة في مختلف مناطق الجزائر، وإدخالها في نطاق التعامل التجاري كي يسهل للأوروبين امتلاكها[2]، بموجب قرار 8 سبتمبر 1830م كما ذكرنا سالفا.

وفي 07 ديسمبر من نفس السنة أصدر الجنرال كلوزيل[3] قرارا آخر يبيح بانتقال الأحباس إلى المعمرين الأوروبيين[4]، ثم ظهر قرار 30 أكتور 1858م أدخلت بموجبه أملاك الأوقاف في مجال التبادل التجاري، وأخيرا جاء قانون 1873م حيث صودرت بموجبه نهائيا كل أملاك الأوقاف[5].

ويمكن القول أن سياسة فرنسا في إضعاف الإسلام تجلب في الحياة اليومية والتنظيم السياسي للأهالي، في مجالات مختلفة على نحو مباشر تقريبا، وأمام فشل محاولة الأدماج الإداري، أطلقت فرنسا مشروعا واسعا لزعزعة استقرار مجتمع الأهالي، ثقافيا ودينيا[6].

---

[1]- ابن عمار: المنار (جريدة سياسية ثقافية دينية حرة) السنة الثانية، العدد 7، (1 أوت 1952) ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2010، ص07.

[2]- عمارة عمورة: مرجع سابق، ص 124.

[3]-كلوزيل: ولد سنة 1772 ساهم في إعداد وإنجاح ثورة جويلية التي منحته قيادة الجيش الفرنسي في الجزائر ابتداء من 1830، وبعد اندلاع الثورة بعام واحد حصل على رتبة مارشال فرنسا، وعاد لقيادة الجيش في الجزائر في 8 جويلية 1835 ،واستبدل بدامريمان عام 1837 ،توفي 1842 أنظر: حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،2007،ص209.

[4]- عمار عمورة: مرجع سابق، ص 124.

[5]- كميل ريسلير: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830-1962)، تر: نذير طيار، ط1، تعليقات جزائرية على شبه اعتراف فرنسي، دار الكتابات الجديدة للنشر الالكتروني، د.م/ن ،2016، ص 87.

[6]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 36.

لقد بدأت أولا بفضل مصادرة الأملاك الوقفية[1] في العمل لأجل تحصيل التحكم المباشر في الشعائر الدينية (**التكفل بتهديم بعض المساجد[2]، وبناء بعضها[3] وتعيين طاقم[4]المدرسين والأئمة مع دفع أجورهم)**، ثم ركزت على إضعاف الزوايا وغلقها[5] ،أو تحقيق الوصاية عليها باعتبارها ملاذات للهوية العربية-الإسلامية، والتي كانت في الوقت نفسه مصليات (**أو مساجد)** ومدارس وملاجئ، وأماكن للتجمع ومكتبات، ومستشفيات ومؤسسات للإشهار، حيث يكتب تاريخ الزمن الحاضر، ونظرا لأهمية هذه المؤسسات التربوية ،فقد قامت السلطات الفرنسية بزعزعة كل النظام الديني عبر غلقها أو وضعها تحت الوصاية[6].

حاولت فرنسا بكل الطرق إضعاف مصداقية الإسلام وسلطته السياسية ،فالبرغم من أن فرنسا قد وضعت معاهدة في 5 جويلية 1830[7] مع الجزائر بين الداي رئيس الدولة الجزائرية والكونت دي بورمون والتي عرفت باتفاق الجزائر[8] ،وقد نصت المادة الخامسة

---

[1]- محمد سكال: جرائم حرب ضد الإنسانية ارتكبت في الجزائر من 1830-1962، تر: بشير بولفراق، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2015، ص 93.

[2]- هدمت فرنسا كثيرا من المساجد الضخمة الأثرية، بعد الاحتلال، ثم قامت بتوزيعها على الجيش لربط خيوله ووضع عتاده، كما قامت بتحويل بعضها إلى كنائس وجمعيات دينية فرنسية، كما قامت ببيع اخرى للأوروبيين ليهدموها ويبنوا عليها منازل وحمامات ،انظر: أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج5 ، طبعة البصائر 2009،ص، ص75،76.

[3]- لم يتوقف المسلمون في بناء المساجد بعد الاحتلال، ولا سيما في الأرياف وكانت السلطات الفرنسية ستتولى على هذه المساجد الجديدة، كما استولت على القديمة المتبقية، وإذا قرأت عن إنشاء مسجد في العهد الفرنسي فاعلم أنه بني من أموال المسلمين وليس عن اموال الدولة الفرنسية انظر: أبو القاسم سعد الله، مرجع نفسه، ص 78.

[4]- كميل ريسلير:مصدر سابق، ص 87.

[5]- شارل روبير أجيرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 539.

[6]- عبد الحميد زوزو:نصوص ووثائق في الجزائر المعاصر 1830-1900،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،ديوان الجامعية، الجزائر ،2008،ص63

[7]- القائد الأعلى للجيش الفرنسي في الجزائر، أنظر: ابو القاسم سعدالله،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج5،مرجع سابق، ص 88.

[8]- أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت، 1992، ص 18.

من هذا الاتفاق على ما يلي: حرية العمل بالدين الإسلامي، ضمان حرية جميع الطبقات والأديان[1].

[1]- شارل روبير أجيرون: مصدر سابق، ص 540.

أما المادة 02 فنصت على احترام المقدسات الجزائرية وعلى أنه لن يسمح للجنود الفرنسيين بدخول المساجد الجزائرية ،وهكذا وعدت فرنسا الجزائريين بحرية الدين[1].

فبعد سقوط مملكة لويس فيليب وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية في مطلع عام 1848 أصدرت فرنسا قرار 1848 الذي كان في شهر مارس، والذي نص على أن الجزائر من التراب الفرنسي وتم بمقتضاه تقسيم الجزائر إلى منطقتين أساسيتين: الجزائر الشمالية وأخضعت للحكم المدني وقسمت الجزائر الشمالية إلى ثلاث مقاطعات والجزائر الجنوبية وأخضعت للحكم العسكري وربطت مصالح التعليم العام والدين والقضاء بباريس،[2] لتأتي بعدها سياسة نابليون الثالث من 1852-1870والتي توالى عنها عدة حكام عسكريين من بينهم راندون 1852-1859 ،عندما سقطت الجمهورية الفرنسية الثانية وخلفتها الإمبراطورية الثانية بزعامة نابليون الثالث أوائل عام 1852 الذي تحكم أقدار فرنسا والجزائر فاستعاد في عهده العسكريون نفوذهم بالجزائر بزعامة الحاكم العام راندون Randon الذي شجع حركة الاستيطان الأوروبي[3].

انتهت الحملة بقيام نابليون بإلغاء الحكم العسكري وإنشاء وزارة الجزائر والمستعمرات، التي عرفت بخدماتها اللامحدودة للمستوطنين الأوروبيين[4].

وفي شهر نوفمبر 1860 ألغى نابليون الثالث هذه الوزارة وقرر في الشهر الموالي إعادة نظام الحكم العسكري السابق[5].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930،ج2،مصدر سابق، ص 18.

[2]- يحي بوغريز: مرجع سابق، ص 13.

[3]- نفسه، ص 15.

[4]- مرجع نفسه، ص 17.

[5]- المرجع نفسه، ص 19.

بالإضافة إلى سياسة التعسف المسلطة على الجزائر من طرف هؤلاء الحكام العسكريين فقد عمد الأوروبيون إلى إنهاء العمل بالقوانين الجزائرية وإحلال القوانين الفرنسية محل قوانين الشريعة الإسلامية، فقد تقرر في سنة 1841 أن تكون المحاكم الفرنسية هي التي تنظر في القضايا الهامة، والقضاة المسلمين أصبح دورهم شكليا ويتمثل في توثيق بعض العقود وإصدار الفتاوى في المسائل الشرعية[1].

التعليم

عمدت السلطات الفرنسية بعد مصادرة الأوقاف ونفي العديد من العلماء وترهيب الباقين، إلى ترك التعليم يموت دون الإعلان عن ذلك رسميا حيث انشغلت بالاستيلاء على الأراضي ومحاربة المقاومتين وأهملت كل ما يتعلق بتعليم الجزائريين[2].

حيث كان ميدان التعليم في فترة الاحتلام منهارا تماما بحيث سلكت فرنسا سياسة إقصاء اتجاه أبناء الجزائر تعتمد على التجهيل والأمية حتى يمكنها تحكم سيطرتها التامة عليهم ولم تسمح لهم بالتعليم إلا في حدود ضيقة للغاية.

فقد قضي الاستعمار على معظم المعاهد الإسلامية والمكتبات التي كانت موجودة في العهد التركي وحولها إلى مدارس فرنسية، وجراء ذلك بلغت نسبة الأمية بين الجزائريين 99% بين النساء و 95% بين الرجال[3].

---

[1]- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 174.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج3، ط1،دار الغري الإسلامي، بيروت 1998، ص 21.

[3]- عمار عمورة: مرجع سابق، ص 126.

كانت المدارس وبوصفها المؤسسات الإسلامية للتعليم العالي تحتل مركز السياسة الدينية الفرنسية[1] إذ داخل هذه المنشآت كانت تنقل الثقافة العلمية وتتشكل النخبة الأهلية المستقبلية وبوقوعها تحت أيدي رجال الدين أشد المتحمسين لعداء فرنسا كان يمكنها أن تتحول إلى أعشاش رهيبة للرفض، ولكن إدارة فرنسا لها جعلتها على العكس من ذلك، أدوات للتحكيم عبر علمنة النخب المستقبلية وإضعاف سلطة الجيل القديم من المثقفين المتدنيين، حيث شهدت الخمسينات من القرن 19 افتكاك التحكم في المدارس التي خلالها ستتمكن السلطات من إدارة تكوينها للنخب المستقبلية والمسلمة **(قضاة، مسلمين مكلفين بتطبيق الفقه الاسلامي، رجال العبادات الإسلامية، أساتذة المدارس وعلماء...)**

وهذا بعد جرها خارج كل دعابة معادية لفرنسا وقيام التعليم فيها باللغتين وتوجيهها نحو التعاون مع القوة الاستدمارية[2].

حيث استمرت السلطات الفرنسية في إهمال التعليم العربي الإسلامي وعدم رد الأوقاف إليه رغم تشبث السكان به ،ومقاطعتهم المدرسية الفرنسية وعمدت في سنة 1850 إلى إنشاء تعليم مزدوج خاص بالجزائريين تدرس فيه اللغة العربية على أن تكون فيه الفرنسية وعلومها هي السيدة[3]، كما فرضت رقابة على برامج ومعلمي الزوايا الريفية حتى لا تكون الزوايا مراكز لمعاداة الفرنسيين[4].

وهكذا استطاعت فرنسا حرمان الجزائريين من العلم وذلك عن طريقالإهتمام الضعيف بالتعليم الأهلي و منع انتشار المدارس الأهلية ،مم أدى إلى تدهور التعليم التقليدي،[5] كما ذكرنا سابقا،وتعليم الدين الإسلامي الحنيف وفتحت مدارس فرنسية تهتم

---

[1]- كميل ريسلير: مصدر سابق، ص 90.

[2]- نفسه، ص 91.

[3]- عبد القادر خليفي: محطات من تاريخ الجزائر المعاصر المجاهد 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 265.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج3، ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت 1998، ص 21.

[5]- Fanny Golonna: instituteure algérens 1883-1939, office des publication universitaires ,Alger 1975,p80.

باللغة الفرنسية مفتوحة للفرنسيين والأوروبيين ،وكان أبناء الجزائر بها قلة غرباء في ديارهم وتبلغ نسبتهم حوالي 10% ففي حين نجد 150 ألف طالب أوروبي لم يتعدى عدد الطلبة الجزائريين 20 ألف طالب من أصل 200 ألف طالب في سن التعليم[1].

فقد بلغ سنة 1850 عدد التلاميذ الجزائريين المتمدرسين في المدارس الابتدائية الفرنسية 642 تلميذ ووصل عددهم في سنة 1870 إلى 13000 تلميذ ثم تقلص بعد ذلك بسبب غلق المدارس الإسلامية، في حين وصل عدد التلاميذ الأوروبيين خلال هذه السنة إلى 44326 تلميذا ذكورا وإناثا.

وليس معنى هذا أنه نقص في ذكائهم ولكن رغبة من فرنسا في تجهيلهم ليسهل عليها استعبادهم، وهذا ما كان يطالب به الأوروبيين وهو أن تكون لهم السلطات الفرنسية جيلا من البنائين والإسكافيين والخماسين لخدمتهم وتسهيل السيطرة عليهم، لأنهم كانوا يعتبرون الأهالي من جنس بشري منحط لا يصلح إلا للأعمال الشاقة ولا يستحقون إلا الإذلال والقهر، كما يرى الكاتب عمار عمورة[2].

ولم تتح الفرصة لمواصلة التعليم الثانوي والعالي إلا لبعض المحظوظين من أبناء الباشا غوات، والأغاوات، الذين خدموا فرنسا بإخلاص في الجيش والإدارة ضد مصلحته شعبهم ووطنهم[3]، ومع هذا فقد كان هدفها من تعليمهم هو تكوين نخبة جزائرية تكوينا فرنسيا نظرا لحاجة الاستعمار لها.

ولكن بالرغم من كل محاولات فرنسا للحط من التعليم القرآن بالجزائر، إلا أن الفرنسيين أنفسهم يشهدون بأن القرآن في الجزائر كان هو كل شيء، هو المعلم والتعليم وكان الفرنسيون كلما حاولوا مشروع إصلاح فكروا في عدم المس بالمشاعر الإسلامية[4]،

---

[1]- عبد القادر خليفيي :مرجع سابق، ص 267.

[2]- إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 396.

[3]- عمار عمورة: مرجع سابق، ص 126.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 130-1954، ج3، مرجع سابق، ص 21.

كما أن التعليم العربي الإسلامي كان منتشرا بين الجزائريين بشكل ملفت للنظر قبل الاحتلال وأنهم بقوا متشبثين به رغم مصادرة الأوقاف وهجرة العلماء أو نفيهم.

لقد كان هدف فرنسا منذ 1830 هو الحط من التعليم القرآني وتعويضه تدريجيا بتعليم أكثر علمية وبالخصوص أكثر فرنسة.

وقد نجت فرنسا يقول أحد الفرنسيين في الفصل بين الدين والتعليم اللذين كانا في الماضي لا ينفصلان[1].

كانت فرنسا ترى بأن تعليم الشاب الجزائري يشكل خطرا على مصالحها في الجزائر والتي في مقدمتها المساواة لأنه حسب رأيها إذا تعلم سيطالب بحقوقه السياسية وبالإدماج وبالمساواة مع الأوروبيين، وبذلك يصبح تهديدا بالنسبة للمسيحية عامة وفرنسا خاصة، ولهذا قام الأوروبيون بفتح مدارس لأبنائهم وأكاديميات لمواصلة التعليم العالي لكنهم أغلقوا الباب في وجوه أبناء الجزائر.

والفضل في فتح أول مدرسة عربية-فرنسية [2]في الجزائر يرجع إلى نابليون الثالث الذي أصدر مرسوما بتاريخ 14 مارس 1857 على أساس أن يلتحق بها 150 تلميذ من أبناء المسلمين والمسيحيين الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية والفرنسية[3].

---

[1]- أبو القاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي ،1930-1954،ج3،مرجع سابق ، ص 22.

-مدارس عربية- فرنسية:هي مدارس مزدوجة الثقافة تدرس اللغة العربية والفرنسية وكذا الشريعة ،أنشأتها فرنسا للمترجمين و الموالين لها.أنظر:[2]

أبو القاسم سعدالله : الحركة الوطنية ، ج2،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت،1992 ،ص 66.

[3]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 179.

كما أنشئت مدارس عربية-فرنسية واحدة في قسنطينة وأخرى بوهران وأخرى بتيزي وزو ولكنه تم غلقها في سنة 1871[1].

وهكذا افتتحت فرنسا أبواوب ثقافتها ومسيحيتها التدميرية تاريخيا ولغويا ودينيا مهما تلونت في بعض مراحلها بألوان زاهية ذات طابع إنساني مسموم، فكانت الجبهة التعليمية والتبشيرية أحد المنافذ للتوغل والابتزاز والهيمنة وشراء الذمم[2].

ونتيجة لهذه الإجراءات وبسبب هذا الحرمان كان بعض الجزائريين يعلمون أولادهم داخل المنازل في سرية تامة أما الغالبية العظمى فقد شملها الجهل والأمية[3].

ب- المساجد

وفي سبيل محاربة العقيدة الإسلامية التي شكلت شوكة في خلق المستعمر لجأ منذ الأيام الأولى لانتصابه على أرض الجزائر إلى غلق المساجد في مدينة الجزائر، تتراوح أعدادها حوالي 122 مسجد ،منها 13 مسجدا كبيرا، و 108 صغيرا[4]، و 32 جامعا و 12 زاوية، وتم تحويل العديد من المساجد إلى إسطبلات ومستودعات ومستشفيات عسكرية، ومن بينهم مسجد كتشاوة المشهور الذي حول في سنة 1832 إلى كنيسة[5]، فنصب البابا الصليب وعلم فرنسا على الصومعة المباركة ، رغم معارضة المفتيين والسكان الذين سقط العديد منهم قتلى دفاعا عن المسجد، وهكذا أصبحت أملاك الأوقاف الإسلامية تخذم العمليات التبشيرية المسيحية التي ارتبطت بالاحتلال منذ الوهلة الأولى[6].

---

[1]- عمار بوحوش: مرجع سابق، ص 179.

[2]- عمر بن قينة: المشكلة الثقافية في الجزائر، التفاعلات والنتائج، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.

[3]- أحمد إسماعيل ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 398.

[4]- محمد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 270.

[5]- عمار بلخوجة: الاستعمار جرائم دون عقاب، تر: عبد القادر بلعربي، ط1، منشورات ألفا، الجزائر، 2015، ص 142.

[6]- عمار عمورة: مرجع سابق، ص 124.

بعض المساجد التي وقع عليها الإعتداء بالهدم الكامل في الجزائر والبعض الذي حول إلى كنائس وإقامات للجمعيات الدينية الفرنسية، والبعض الآخر الذي استعمل كمخازن للحبوب وصيدليات ومسارح...

كما ذكرنا كان عدد المساجد بالعاصمة عند الاحتلال 122 مسجدا بين صغير وكبير بعضها يرجع إلى قرون خلت (القرن 7هـ)، وبعضها يرجع إلى آخر العهد العثماني، وسنذكر أهم أسماء مساجد العاصمة ومصائرها:

1- **جامع السيدة:** أقدم الوثائق ترجعه إلى سنة 1564م هدم سنة 1830 بالمطارق والفؤوس بأيادي فرنسية بحجة توسيع المجال حول قصر[1] الدايات، الذي وضع تحت يد السلطات الفرنسية كمخزن ومحطة رئيسية.

2- **جامع محمد باشا:** جامع صغير هدمه الفرنسيون في 1830.

3- **مسجد سيدي السعدي:** عطلته السلطات الفرنسية منذ الاحتلال، ثم منذ 1847 جعلته مخزنا للبارود، ثم مصلحة الضرائب سنة 1850.

4- **مسجد قرب قبة عبد الرحمان الثعالبي:** هدم وحلت محله دار تسمى دار أنطونيتى.

5- **مسجد المصلى:** قدم للجيش منذ بداية الاحتلال فاستعمله ثكنة عسكرية، وفي 1862م هدم.

6- **مسجد ابن نيقرو[2]:** ويعرف أيضا بمسجد ستي مريم أو ستنا مريم ،سلم إلى المتصرف العسكري، ثم إلى أملاك الدولة سنة 1837 ثم هدم في نفس السنة.

7- **جامع علي بتشين:** وهو من مساجد الخطبة، عطل هذا الجامع وكان مصيره أنه حول إلى كنيسة كاثوليكية[3].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1959، ج5، مرجع سابق، ص 13.

[2]- عائلة ابن نيقرو: من العائلات الأندلسية القديمة في الجزائر كان منها قضاة ومفتون، وكانت هذه العائلة هي التي تدير المسجد وذكر أنه بني بسنة 1660. أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع نفسه، ص 17.

[3]- نفسه، ص...ص، 14...18.

فمن مزاعم الاحتلال الفرنسي التي سعى لإخفاء نياته بها، أنه جاء[1] لدفع المظالم على الجزائريين ورفع الأمية عنهم والتي كانت من طرف الأتراك، ورغم مساوئ الحكم التركي فهو حكم إسلامي قائم على الشرعية التامة بمعيار ذلك الزمان، وهو إن لم يشجع رسميا الحركة التعليمية فإنه لم يعرقل جهود الوطنيين في تشييد المؤسسات عكس ما فعل الاحتلال الفرنسي، حيث كانت تلك المؤسسات معاقل للمعرفة: مدارس وكتاتيب، زوايا، مساجد وغيرها، تقترب من ألفي مؤسسة تعليمية عشية الاحتلال، يتعلم فيها ويدرس نحو خمس وعشرين ألف تلميذ وطالب في مختلف المراحل والمستويات، وجدت نفسها في مواجهة سياسة الاحتلال الخاصة بالفرنسة والتنصير[2]، وهي الخطوة المصاحبة لسياسة حرق القرى بأكملها وإبادة عشائر برمتها.

انطلقت سياسة الفرنسية والتنصير تحت دعوى رفع الجهل ، وكجسر للاستحواذ على العقول والنفوس، بينها كانت شهادات المؤرخين والرحالة المعاصرين تؤكد أن الجزائر كانت أكثر تعليما وشعبيا من فرنسا ذات التعليم النخبوي، حتى أنه أحد الرحالين الألمان قال أنه حين مر بالجزائر سنة 1831: **"لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه، في حين وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا"**[3]وعلى رأسها فرنسا نفسها[4].

كل هذه التجوزات من قبل السلطة الفرنسية كانت في سبيل فرنسة الجزائر لغة وتنصيرها عقيدة.

---

[1]- عمر بن قينة: مرجع سابق، ص 23.

[2]- التنصير: حركة دينية سياسية إستعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة وبين المسلمين خاصة ، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب وأبرز شخصياتها ريمون لول، أول نصراني يتولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها ،إذ أنه قد تعلم اللغة العربية بمشقة وأخذ يجول في بلاد الشام مناقشا لعلماء المسلمين هذه السياسة تنتشر في كل دول العالم الثالث، وأنها تتمركز في أندونيسيا، باكستان وفي فريقيا عامة .انظر يحي محمد نبهان: معجم مصطلحات التاريخ، ط1، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان 2008، ص 212.

[3]- كريمة عجرود: المشروع اللاثقافي الاستعماري في الجزائر، قالمة، د. س. ن، ص 129.

[4]- عمر بن قينة: مرجع سابق، ص 24.

والشيء الذي لا يختلف فيه عارفان منصفان هو أن الفرنسيين ظلمة فجرة، ولكن إلى جانب فجورهم كما يصفهم المؤلف الفضيل الورتلاني أنهم مجانين أيضا، لا حكمة في تصرفاتهم البتة.

فكثيرا ما يقررون القيام بعمل وهو من سابع المستحيلات، كمن يريد أن ينقل جيل من مكانه وأن يحفزه بأظافره، فمثال ذلك أن حضاراتهم قد قرروا لأول ما تغلبوا على الجزائر، محو الإسلام في جميع ربوعها، وانتزاعه من أمة عاشت تقدسه مدة تزيد على ثلاثة عشر قرنا، ثم لم يكلفوا أنفسهم معرفة هذه الأمة، حتى يتبيّنوا ما يمكن أخذه وما لا يمكن، وحتى يتبيّنوا في الوقت نفسه الكيفية التي تضمن لهم أخذ الممكن حينما يريدون، ومن حسن حظ الجزائر أنهم جهلوا أعرق صفة في تلك الأمة وأعمقها وهي المقاومة والعناد، فأعلنوا حربا صارخة على دين الإسلام[1]، فأول ما نزلوا إلى أرض الجزائر عمدوا إلى مصادرة جميع أوقاف المسلمين التي كانت تقدر بمئات الملايين، وجعلوها في خدمة التبشير[2] والمبشرين كما ذكرنا سابقا.

ففي سنة 1835م استقر بالجزائر العاصمة أخوات القديس يوسف وشرعن عملهن التبشيري إلى غاية 1938 الخامس والعشرون من شهر أوت، وتزايد عدد رجال الدين بتزايد عدد المستوطنين الأوروبيين فاستقروا في مدن الشرق والغرب الجزائري وأنشأو سنة 1842م[3] دارا لليتامى لبن عكنون وفتحوا بوهران وقسنطينة وعنابة دارا للرحمة وفتحت مدارس للأيتام ،وعلاج المرضى وتشييد الكنائس بتدعيم من السلطات الفرنسية[4].

---

[1]- الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، ط4، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 101.

[2]- التبشير:عبارة عن طريقة فكرية استعملتها فرنسا لتعزيز نفوذها السياسي في مصر، وفي بلاد الشام وفي إفريقيا .أنظر: يحيى محمد نبهان، مرجع سابق، ص 17.

[3]- عمار عمورة: مرجع سابق، ص 124.

[4]- نفسه، ص 125.

ولا ريب أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلا إلى إستعباد أتباعها[1]، فالفرنسيين بعدما احتلوا الجزائر ماديا أرادوا أن يقضوا عليها روحيا، وكما قال أحد المؤرخين الفرنسيين: **"حاولت فرنسا في الجزائر أن تجعل من أرض شرقية أرضا غربية"**[2] ،واستعمل في هذه الفترة أي ابتداءا من 1838 رجال الدين كل الوسائل الممكنة لتنصير المسلمين بالقوة أو بالرشوة، ولم تتوقف السلطات الفرنسية عند هذا الحد بل تعاونت مع رجال التبشير في محاولة تتصير الجزائريين وإخراجهم من دينهم الإسلامي ،ولتحقيق ذلك أسر الجنرال بيجو مائتي وخمسين(250) طفلا من اليتامى وسلمهم إلى أحد القساوس طالبا منه تنصيرهم وقال له:**"حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين، وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار".**

وتدعيما لهذا المنهج بعث البابا يوم 12 جانفي 1867م لافيجري La vigerie**(أنظر الملحق رقم05)** إلى الجزائر بمهمة تنفيذ سياسة تنصير واسعة النطاق حددها بقوله: **"علينا أن نجعل من الجزائر مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور منيع وحيها الإنجيل تلك هي رسالتنا"**.

وفي مناسبة أخرى ذكر: **"إن إدخال الأهالي للديانة المسيحية واجبا مقدس، فأول ما يجب عمله معهم هو الحيلولة بينهم والقرآن، وينبغي علينا أن نهتم بالصبيان فندخل في عقولهم تعاليم جديدة ألا وهي تعاليم الإنجيل، بعد ذلك يمكن أن ندخله في حياتنا، أو نطرده إلى الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر"**[3].

وتطبيقا لهذا المنهج أقام عدة مراكز ودور للأيتام الجزائريين ،وأسس جماعة الأباء البيض فاستغل لافيجري المجاعة التي حلت بالجزائريين سنة 1868م-1867م، وجمع حوالي

---

[1]- خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871 د. م .ن،د. س. ن ، ص 05.

[2]- عمار عمورة: مرجع سابق، ص 125.

[3]- محمد الصالح الصديق: مرجع سابق، ص 73.

1752 طفلا تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعاشرة ،ووضعهم في مراكز لتنصيرهم[1]، ومنعهم من رؤية ذويهم واستردادهم لأهلهم.

كان المبشرون يعدون من نواحي عديدة أكبر المساعدين للإستدمار ويعد لافيجري[2] سنة 1867م مثالا على ذلك[3].

وعملت فرنسا لتسهيل هذه العملية (التبشير) محاربة مقومات الشخصية الجزائرية وعلى رأسها الدين الإسلامي، ولكن الشعب الجزائري لم يرتد لأعلى دينه ولا على لغته، وذلك ما أثبتته الأحداث، ففي محاولة من القساوسة لتنصير بعض القرى في منطقة القبائل الجزائرية رد سكانها إلى الضابط الفرنسي قائلين: **"إننا لن نتخلى أبدا عن ديننا، وإذا كانت الحكومة تريد إرغامنا على ذلك فنحن نطلب منها الوسيلة لمغادرة البلاد، وإذا لم نجد هذه الوسيلة فنحن نفضل الموت على التخلي عن ديننا"[4].**

ويشهد أحد الكتاب الأوروبيين في كتابه "روح السياسة" حيث ذكر واقعة تدل على فشل أعمال المبشرين وهي: **"أن لافيجري جمع أربعة آلاف طفل يتيم جزائري وقام بتربيتهم تربية مسيحية[5]، ولكن معظمهم رجع إلى الإسلام بعد أن بلغوا سن الرشد"[6].**

وبعد هذه الدعوة التي تمثلت في التبشير توجه المستعمر إلى لغة الإسلام العربية فجردوها من كل حرمة وكرامة ،وجعلوها لغة أجنبية غير مرغوب فيها لا حول ولا قوة، فبعد غزو فرنسا للجزائر أدركت أنه عليها أن تمارس سياسة دهاء إزاء السكان الذين لم

---

[1]- عمار عمورة: مرجع سابق، ص 125.

[2]- لافيجري:ولد سنة 1825 عمل على توسيع النشاط الكاثوليكي في المشرف، وصل إلى الجزائر أثناء المجاعة الشهيرة 1867-1868 التي حلت بها أخذ يتدخل في شؤون الإدارة والعلاقات مع المكتب ،عمل على تنصير أبناء الجزائر وهو صاحب في مشروع مؤسسة أوغسطين لبعث الدين المسيحي. أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص...ص، 182...121.

[3]- جمال فنان: مرجع سابق، ص 122.

[4]- عمار عمورة: مرجع سابق، ص 125..

[5]- شارل روبير أجيرون: مصدر سابق، ص 555.

[6]- نفسه، ص 126.

يكن لهم مرجع للهوية وعنصر للوحدة عدا الشعور بالإنتماء للدين يتعلقون به، حيث لعب الإسلام دور الجدار الواقي ضد الفرنسية (كان يرمز لنقطة التقاء كل المكونات الاجتماعيةوالثقافية للبلد)، ضد السياسة الإستدمارية وهذا ما جعله خطيرا جدا في عيون السلطات الفرنسية[1].

كان المهم إذا هو كسر هذا الجدار لأجل تحطيم شوكة العدو لزعزعة استقراره وتطبيق تقنية قديمة (**فرق تسد**)[2]، لتحقيق هذه الغاية، ومن هنا ستوضع سياسة ثقافية موجهة ضد الإسلام في خدمة مصلحة الدولة الفرنسية[3].

حيث عملت فرنسا بكل الوسائل لجذب الشباب والأهالي نحوها لترسيخ (التعليمالعربي-الفرنسي وتطويره) انطلق كل شيء لأجل هذا الهدف ،رغم ممانعات السكان، هناك منح بالتأكيد وهناك توزيع جوائز أيضا وعلاوات مختلفة ومكافآت يومية، وتسامح ديني **(حيث تقبلت الجمهورية الثانية الفرنسية والإمبراطورية الثانية الصلاة الإسلامية بالمدرسة الفرنسية).**

وإذا كانت النتائج قد تمثلت تحديدا في جلب أشد التلاميذ فقرا، فإن السلطات أظهرت تفاؤلا معينا بشأن تردد الطبقات الميسورة أكثر على مدارسها.

وفي تقرير طلبه وزير الحرب عن النتائج الأولية لتطبيق[4] القرارات المتعلقة بتنظيم تعليم المسلمين،يقول ريسلير:" **يمكننا أن نلاحظ أن التلاميذ يجيئون على وجه خاص من الطبقات الاجتماعية الفقيرة، ولكن رفض الطبقات الميسورة أكثر لوضع أبنائها في المؤسسات الجديدة يتجه نحو التضاؤل، بحيث تشهد تدفق تلاميذ عليها تدريجيا وهم ينتمون إلى جميع طبقات المجتمع"**.

---

[1]- كميل ريسلير: مصدر سابق، ص 86.

[2]- فرق تسد: هي سياسة استعمارية بريطانية استعملتها بريطانيا في مستعمراتها على السكان المحليين لتثبيت وبسط سيطرتها العنصرية .انظر: يحي محمد نبهان: المرجع السابق، ص 212.

[3]- كميل ريسلير: مصدر سابق، ص 87.

[4]- نفسه، ص،ص 115،116.

كما عبر بيجو عن أهداف الصليبية الفرنسية في الجزائر بقوله: **"إن آخر أيام الإسلام قد انتهت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح ونحن إن أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكن لنا أن نشك على كل حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا"**[1].

إلى جانب تهديم المساجد التي كانت منارات للعلم والزوايا والمعاهد التعليمية، كانت حركات التبشير المسيحية كما ذكرنا، حيث كانت الصراعات مألوفة بين السلطات الفرنسية وعلماء الدين المسلمين[2].

أخذ رجال الإيمان المسيحيين بتشجيع من السلطات الكهنوتية المبادرة بالتعدي على أرضية السلطات السياسية عبر حماسة تبشيرية[3].

ويمكننا القول أن الكنيسة أيضا ساهمت بحضورها وحركتها في نشر اللغة الفرنسية، باعتبارها عاملا ضروريا للنجاح السياسي، حيث كان يقول وزير البحرية في 1843 **"إن توسيع الحركة السياسية والأخلاقية وسط السكان الأفارقة يكون عبر التأثير الديني"**[4]، كون الإسلام كان العدو اللدود الأكبر في نظر المسيحيين، لأنهم كانوا يدركون أن لا حياة لهم فوق أرض الجزائر إلا بمحاربته وإزالته من الساحة[5].

ونستخلص من هذا أن وسائل التبشير لا تتمثل في التعليم والخدمات الخيرية فحسب وإنما في السياسة أيضا والإقتصاد.

وتعقدت الأمور في الجزائر لسنة 1870 يوم تحالفت الكنيسة مع الزعماء الأوروبيين، حيث اتفق لافيجري معهم على انتهاج سياسة جديدة تتمثل في المطالبة بايقاف المهاجرين

---

[1]- محمد الصالح الصديق: مرجع سابق، ص،ص 73،74.

[2]- جمال قنان: مرجع سابق، ص 117.

[3]- نفسه، ص 118.

[4]- مرجع نفسه، ص 122.

[5]- محمد الصالح الصديق: مرجع سابق، ص 78.

إلى الجزائر، وزعم الأوروبيين أنه من السهل أن يرجع المسلمون إلى الديانة المسيحية وعليه فالخطوة الأولى التي ينبغي القيام بها هي تعليم الأطفال الجزائريين اللغة الفرنسية وتعريفهم بالديانة المسيحية والقبول هذه الخطة دعم لافيجري المستوطنين الأوروبين[1].

لكن هذا التحالف بين الكنيسة وبعض الشخصيات الأوروبية في الجزائر إنهار بمجرد ظهور معارضة قوية في أوساط المستوطنين الأوروبيين، الذين عارضوا التعليم الكاثوليكي في الجزائر، وقاموا بطرد جميع المدرسين الكاثوليكيين من الآباء البيض في الجزائر وإرسالهم إلى فرنسا[2].

وهذا العمل كله يدخل في إطار السياسة الاستعمارية الهادفة إلى محو الشخصية الجزائرية.

إن الأوضاع الداخلية للشعب الجزائري نتيجة السياسة الإستعمارية والهجرة نحو العالم الإسلامي أدت إلى قيام حركة فكرية انبثقت عنها عدة توجهات منها الإصلاحية، والتي تمثلت في إنشاء وتأسيس النوادي والجمعيات التي كانت نشاطاتها تكمن في إلقاء المحاضرات التاريخية والدروس الدينية كالجمعية الراشدية[3].

ففي يوم 09 مارس 1870 وافقت الجمعية الوطنية الفرنسية على إنهاء الحكم العسكري وتعويضه بالنظام المدني في الجزائر، وهذا معناه نقل السلطة إلى يد المعمرين والقضاء على العادات والتقاليد والشريعة الإسلامية، وإحلال القوانين والنظم الفرنسية محل القوانين الجزائرية[4]، يقول أحد الفرنسيين: **"إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا**

---

[1]- عمار بوحوش: مرجع سابق، ص 155.

[2]- نفسه، ص 156.

[3]-الجمعية الراشدية: تأسست في عام 1849 بالجزائر العاصمة كان لها فروع في كل أنحاء الجزائر ومنها فرع الجزائر العاصمة، وكان يضم 251 عضو كان يلقى بها محاضرات دينية وتاريخية.أنظر أبو القاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي ج6، مرجع سابق، ص 184.

[4]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 144.

يقرأون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ونقتلع اللسانالعربي منهم"[1].

إن سياسة فرنسا في الجزائر منذ جوان 1830 كانت تقوم على أسس فكرة أساسية خلاصتها هي أنه: **"ينبغي أن يذوب السكان المسلمون في الحضارة الفرنسية"**.

لأن **"الشعب القادم من الشمال جاء ليستقر في الجزائر"** كما يقول أحد رؤساء محكمة الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي.

حيث ترى فرنسا أنه لا يمكن لمجتمعين مختلفين في كل شيء من عقيدة إلى تقاليد أن يندمجا إلا بابتلاع شعب لشعب.

ولهذا فلابد من خلق وتكوين شخصية جديدة للجزائر، بعيدة عن الهوية الجزائرية والدين الإسلامي، واللغة العربية، وتسخير الدين الإسلامي الحنيف لخدمة الدولة المسيحية وذلك من خلال خلق عقبات في وجه أئمة وفقهاء وعلماء الإسلام ومراكز تعليم الدين ،التي أنشئت للمحافظة على الشريعة الإسلامية، رمز الهوية الجزائرية ودرعها الواقي، إضافة إلى ممارسة سياسات تعسفية في حق المؤسسات الجزائرية عامة والدينية خاصة، ولم تستثني في ذلك الشخصيات الدينية البارزة في الجزائر من علماء وفقهاء وأئمة وحتى الطلبة، وذلك بهدف طمس هوية الفرد الجزائري والقضاء على مقومات الدين الإسلامي والروح الوطنية في نفوس الجزائريين.

وخاصة بعدما بات المستعمر يعلم بعمق وشدة، تمسك الشعب الجزائري بحصته الحصين ودرعه المتين الواقي له من كل اعتداء وعدوان، (الإسلام) وتأكد له ذلك بعد دخوله غازيا قاتلا مدمرا من خلال إستماتة الشعب في رد العدوان، والحفاظ على هويته وإسلامه، خصوصا وان كل حركة وكل ثورة وكل موقف باسل، كان وقودها ومحركها في النفوس "الإسلام" ومؤسساته المتمثلة في المساجد والزوايا والكتاتيب.....

---

[1]- محمد الامين بلغيث: تاريخ الجزائر المعصر دراسات ووثائق، (وثائق جريدة، صور نادرة تنشر لأول مرة)، دار مداني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 119.

لذا عملت ومنذ البداية على التدخل المباشر في شؤون الدين الإسلامي، لذلك علينا القول أن الأوضاع الدينية في الجزائر تأثرت تأثرا سلبيا نتيجة الاحتلال ولعل المؤسسات الدينية أول من وجه الإستدمار اهتمامه لها، نظرا للدور الذي قامت به خلال القرن 19، من قيادة وتنظيم للجماهير في عمليات المقاومة ضد فرنسا مما جعل إدارة الاحتلال لا تبرح مواقفها لضرب الحصار عليها حتى لا تؤدي الوظيفة المعهودة إليها.

مع التشجيع المادي والمعنوي للحركات الخرافية وأعمال الدجل قصد إبعاد السكان عن الواقع المر الذي فرضته عليهم السياسة الفرنسية منذ 1830م، كل هذا جعل المسلمون نتيجة بسط السلطات الفرنسية لنفوذها على المؤسسات الدينية الجزائرية يشعرون بفراغ مساجدهم وزواياهم ومعاهدهم من النصيب الكافي للمواعظ والمرشدين والأئمة.

وهذا ما أدى إلى تدهور الحياة الدينية في الجزائر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

الفصل الأول: واقع الحياة الدينية في الجزائر خلال الجمهورية الفرنسية الثالثة

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للخطاب الديني

المبحث الثاني: المساجد ، الزوايا والكتاتيب ، المدارس

المبحث الثالث: نادي الترقي، جمعية العلماء

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للخطاب الديني

تعريف الخطاب:

يتردد لفظ الخطاب كثيرا بالاقتران بوصف آخر مثل الخطاب الديني، الصوقي، سياسي، التاريخي، ولذلك وردت تعريفات متنوعة في هذه الميادين العديدة بوصفه فعلا يجمع بين الفعل والقول، فهذا من سماته الأصلية، وقد ورد لفظ الخطاب عند العرب قديما، كما ورد عند آخرين مع درجات في التفاوت أو التقارب في معناه.

أ/ ورد لفظ الخطاب في النصوص القرآنية في عدة مواضيع بصيغ متعددة منها صيغة الفعل في قوله تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا "[1].

والمصدر في قوله تعالى: "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ" [2].

وورد في لسنا العرب لابن منظور تعريف الخطاب فجاء كالتالي: "خطب فلان فخطبه وأخطبه أي أجابه.

الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خطبته بالكلام مخاطبة، وخطابا وهما يتخاطبان والخطبة مصدر الخطيب وخطب على المنبر واختطب يخطب خطابة واسم الكلام الخطبة[3].

والخطاب في اللغة العربية يتعدى المفهوم الشائع، حيث جاء مفهومه اللغوي كالتالي: "خطاب جمعه خطابات: كلام موجه إلى جمهور من المستمعين في مناسبة من المناسبات"[4].

---

[1]– سورة الفرقان :الآية 63.

[2]– سورة ص:الآية 20.

[3]– ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن نكرم): لسان العرب، ط1، مج1، ج1، بيروت، 1997، ص 8.

[4]– عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2004، ص،ص 34،35.

والخطاب كما ورد في كتاب الكليات: "هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم والكلام الذي يقصد به إفهام المستمع وإنه لا يسمى خطابا"[1].

وورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم بمعنى الخطاب: خاطب، خاطبه، مخاطبة وخطابا تكلم معه، والخطب: الشأن الذي تقع فيه المخاطبة[2].

وقد وردت كلمة الخطاب في المعجم الوسيط، بمعنى الكلام والرسالة[3].

والخطاب هو مقطع كلامي يمل المعلومات، يزيد المرسل المتكلم، أو الكاتب أن ينقلها إلى المرسل إليه، أو السامع، أو القارئ، ويكتب الاول رسالة ويفهمها الآخر، بناءا على نظام لغوي مشترك بينهما[4].

ب- التعريف الإصطلاحي للخطاب: ورد الخطاب بمعنى القضاء في قوله تعالى: "رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" [5].

وعرف معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة الخطاب بأنه: (مجموع التعابير الخاصة التي تتجدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الايديولوجي[6]، وأورد الدكتور طه عبد الرحمان تعريفا اصطلاحيا للخطاب فقال: (إن المنطوق به –أي الخطاب- الذي يصلح أن يكون كلاما: هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الموجهة في حق ما يسمى خطابا، فالخطاب هو كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه[7].

---

[1]– أبو البقاء الكفوي: الكليات، عناية عدنان درويش ومحمد المصري، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ص 419.

[2]– مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مج2، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، 1996، (مادة خطب).

[3]– مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، اسطنبول، 1989، ص 243.

[4]– إيميل يعقوب: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، مادة خطب.

[5]– سورة النبأ:الآية 37.

[6]– سعد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، الجزائر 1985، ص 83.

[7]– طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الجزائر، 1998، ص 215.

واجتهد في تعريف الخطاب اصطلاحا العديد من الباحثين، إذ قدموا مجموعة من الاجتهادات والتعريفات الخاصة بالخطاب، ومن بينها قول هاريس: "إن الخطاب ملفوظ طويل أو متتالي من الجمل".

وقول أحد المؤرخين: "إن الخطاب هو كل لفظ يفترض مثلكما أو مستمتعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما[1].

الخطاب عند الغرب القدامى والمحدثين

يتمثل مفهوم الخطاب عند أرسطو مثلا بالمنطق،ففكرة المنطق عند أرسطو تتأثر بمعطيات لغوية، وتستعمل هذه المعطيات في الخطاب ويهدف الخطاب عند أرسطوا إلى الإقناع في المحاضرات والجدل الذي كان شائعا[2].

ويذهب بعض الفلاسفة إلى أن الخطاب عبارة عن: "اتصال ويعتبر صفقة بين المتكلم والمستمع ونشاطا متبادلا بينهما، ويطبع بانسجام من حيث الدلالة والمعنى[3].

وبذلك نستنتج أن الدلالات والمفاهيم الخاصة بالخطاب، قد تعددت عند الدارسين الغربيين بتعدد مجالاتهم واختصاصاتهم، وبأن الخطاب عندهم عبارة عن كلام مكتوب أو ملفوظ الذي يتجاوز الجملة الواحدة.[4]

---

[1]– عبد الله إبراهيم: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999، ص 108.

[2]– فايز الداية: كعلم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، طه، دار الفكر، دمشق، 1996، ص،ص 104،103.

[3]– سارة ميلز: الخطاب، تر يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004، ص .03

2– محمد الماكري: الشكل والخطاب،المركز الثقافي العربي، بيروت،1991،ص المقدمة.

الخطاب عند العرب القدامى والمحدثين

يعد معنى الخطاب عند الأمدي في كتابه المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين أنه خلق بينه وبين الكلام تلازما بمعنى أنه عرف الخطاب على أنه كلام[1].

وعرفه ابن جنى على أنه لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، والكلام على أنه الخطاب[2].

أما عن مفهوم الخطاب الحديث فيحدده محمد عابد الجابري بأنه:

"بناء أفكار إذا تعلق الأمر بوجهة نظر، يعبر عنها تعبيرا استدلاليا نص او شعر يحمل وجهة نظر، أي استعمال مفاهيم معينة في إقامة علاقات معينة"[3].

وليس الخطاب عند سعد يقطين غير: الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية، وقد تكون هذه المادة واحدة وما يتغير هو الخطاب في محاولته لكتابتها وتنظيمها[4].

مفهوم الخطاب الديني

وصف الخطاب بالديني نسبة إلى الدين، والدين في اللغة: هو الجزاء والمكافأة، يقال دنته: أي جزيته، ويوم الدين: يوم الجزاء،ويطلق بمعنى الطاعة يقال: دنت له أي أطعته، وجمعه أديان[5].

وسميت الأديان السماوية دينا لأنها تجعل أهلها مطيعين وخاضعين لتعاليمها وأحكامها.

---

[1]– سيف الدين الأمدي:المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق عبد الأمير الأعسم، بغداد، 1985، ص 385.

[2]– ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط1، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 32.

[3]– محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص...ص 17–18–35.

[4]– سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1989، ص 07.

[5]– ابن منظور: مصدر سابق، ص ، ص 169/13 (مادة دين).

الخطاب الديني:

من خلال الإطلاع على ما كتب عن الخطاب الديني، نجد أنه يطلق على أحد المعنيين أحدهما عام والآخر خاص.

المعنى الأول (العام): الخطاب الديني هو كل سلوك اوتصرف يكون الباعث عليه الانتماء إلى دين معين سواء كان خطابا مسموعا أو مكتوبا أو كان ممارسة عملية، وهذا الإطلاق يكون ظاهرا في الكتابات الغير المسلمين، ولهذا فهم يعدون كل تصرف من المسلمين يكون الباعث عليه دينيا لونا من ألوان الخطاب الإسلامي، وهؤلاء لا يميزون بين سلوك المسلمين والدين الإسلامي، ولذلك نجدهم يحملون الإسلام وزرا للتصرفات الخاطئة في المسلمين لعدم وضوح الفارق في أذهانهم أو لحاجة في أنفسهم[1].

المعنى الثاني (الخاص): أن الخطاب الديني هو ما يصدر عن رجال الدين من أقوال، أو نصائح أو مواقف من قضايا العصر ويكون مستندهم فيها إلى الدين الذي يدينون به، وهذا الإطلاق أخص من الذي قبله، وأقرب للمعنى اللغوي، والمسلمون ليس في تراثهم الإسلامي مصطلح "رجال الدين" وإنما مصطلح الشائع عندهم أهل العلم وأهل الذكر، أو علماء الشريعة[2].

ولذا فالخطاب الديني يجب أن يكون محصورا في خطاب من هو أهل لأن يجتهد في بيان شرع الله، ولا يجب أن تحمل الإسلام أخطاء العوام في ممارستهم للدين أو فهمهم له، ومنه يمكن القول أن الخطاب الديني: هو فهم الفقيه للإسلام، والصيغة المعينة التي يعبر بها عن الإسلام بناءا على فهمه.

[1]– ابن النجار الحنبلي: مختصر التحرير وشرحه الكوكب المنير،د.د.ن،دم ن،د. س .ن، ص 333.

[2]–: نفسه، ص 333.

المبحث الثاني: المساجد، الزوايا، المدارس

بدأت المؤسسات الدينية تظهر بالجزائر وكل بلدان المغرب الأخرى، منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) عندما وصل إليها الإسلام على أيدي الفاتحين المسلمين الأوائل، وكان المسجد هو النواة الأولى لهذه المؤسسات، ثم ظهرت بالتدرج مؤسسات أخرى شاركت في رسالته وخففت عنه بعض الاعباء، وهي المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية والزوايا.

المساجد

نستعمل كلمة المسجد والجامع لنفس الشيء، رغم أن المصطلح الفرعي يفرق بين الجامع وهو المصلى الذي له منارة أو صومعة، وتصلى فيه الجمعة وتلقى فيه الخطبة، يمتاز بالحجم الكبير والضخامة والإتساع.

أما المسجد فهو المصلى الصغير الحجم والذي ليس له منارة أو صومعة، ويستعمل المسجد على هذا الاعتبار للصلوات الخمس فقط، وهناك مساجد صغيرة الحجم، ولكن كانت مصلى لبعض الخاصة كمسجد الداي، وبعض المساجد الصغيرة كانت تابعة للزوايا أو القباب (الأضرحة)، لذلك فقد رأينا أن نحافظ على التسميات التاريخية كما وردت في الوثائق فإن كانت البناية مذكورة على أنها جامع في الوثيقة فلن نعطيها اسم مسجد، ولو كان هذا الجامع صغير الحجم[1].

تكمن وظيفة المساجد الأساسية في قيام المسلمين بأداء الصلوات فيها، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية، وتعريف شؤون الناس، وعلاج مشاكلهم وقضاياهم اليومية[2].

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص 10.

[2]– يحي بوغريز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 210.

وفي أبرز مظاهر الروح الصليبية تجاه هذا المعلم الديني في بداية القرن العشرين محاولة تهديم مسجدي العاصمة الكبير والجديد سنة 1909م لإعادة بناء الواجهة البحرية للقصبة السفلى[1]، باعتبارها معقل الإسلام الذي يعتبر من مقومات الأساسية للشخصية الجزائرية.

والدين الإسلامي الذي حاولت فرنسا القضاء عليه، لأنها رأت في تدخلها بالجزائر فرصة لإحراز نصر ديني يعيدها إلى ذكريات الحروب الصليبية.

حيث كان الهدف من وراء احتلال الجزائر هو القضاء على العقيدة الإسلامية ونشر المسيحية، فباستيلائها على الجزائر ظنت أنها استولت على العقول والعواطف والشعور، فمنذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر وهي تحارب المعالم الإسلامية بطمسها وتحويلها إلى معالم فرنسية، حيث قال أحد المؤرخين الفرنسيين في هذا الشأن: "أنه كان أول سيف طعن ظهر الإسلام"[2].

وتمثلت خطة فرنسا في القضاء على الهوية الجزائرية من الزاوية الدينية في الامور الآتية:

استيلائها على معظم معاهد التعليم الديني، المتمثلة في المساجد وحولتها إما إلى ثكنات عسكرية للجيش الفرنسي أو إلى مراكز تبشيرية لتشكيك الجزائريين في إسلامهم[3].

---

[1]– شاوش حباسي: من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830–1962، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1961، ص 36.

[2]– نبيل أحمد بلاسي: الاتجاه العربي الإسلامي، ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1990، ص 36.

[3]– أحمد مريوش: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، 1830–1962 ،د.د.ن،د.م.ن، 2007، ص 17.

وتنقسم هذه المؤسسة (المسجد) إلى ثلاثة أنواع:

1- نوع مما أسسه الحكام كالخلفاء والأمراء لخدمة المجتمع الإسلامي، وتيسير سبل أداء شعائرهم الدينية، كالجامع الكبير بالجزائر العاصمة، والجامع الكبير بتلمسان.

2- نوع مما أسسه كبار الأثرياء للتقرب من الله وبعض شيوخ الدين، وأعدادها كثيرة بالجزائر ومن ضمنها جامع سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة وسيدي الحلوي بتلمسان.

3- نوع مما أشبه الهيئات والجمعيات الدينية كتكملة للنوعين السابقين[1].

عملت فرنسا في أوائل القرن العشرين وحسب مخططاتها على تهديم الجامعين الكبيرين الأعظم والجديد، بعد أن تعرض للتنقيص والتشويه منذ الاحتلال حيث كان الجامع الأعظم يقوم مقام الجامعة العلمية قبل الاحتلال، فإذا بالفرسنيين قد حشروه وسط العقارات وتآكلت أطرافه، واختفت منارته، بعدما كان تحفة من حيث بناءه ويغطي حيطانه المرمر[2].

[1]– يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 210.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954،ج8، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 392.

أما الجامع الجديد فقد وقع له ما وقع لسابقه، وكان من المعالم العثمانية التي تعرضت للتنقيص أيضا، واستولى الفرنسيون على أوقافه الغنية، حيث وصفه أحد الفرنسيين سنة 1904م بأنه معلما رشيقا وجميلا (بعد كل الذي حدث له)[1].

هذه الإجراءات التي جاء بها المستعمر الغاصب لمحاربة العروبة والإسلام في القطر الجزائري، التي أصبح بموجبها الدين الإسلامي على وجه الخصوص غريبا في داره ممتهنا بين أهله وذويه، منهوبا في أوقافه ومساجده.

واعتبر –الدين- ملكا خاصا من ممتلكات الدولة الاستعمارية تتصرف فيه كما تشاء هذا ما لا يعلمه الكثير من الناس، وهذا ما يوشك أن لا يصدقه الكثير منهم، لكن هذا هو الحق دون مبالغة[2].

إذ أن الذين تدخلوا من الفرنسيين والشخصيات العلمية، لمنع تهديم المسجدين قد اعتبروهما معلمين تاريخيين، أي أنهم تدخلوا لحماية آثار قديمة راقية في الجزائر لا ليدافعوا على مكانين للعبادة باسم ضمان حرية العبادة وأماكنها مثلا، أو استندوا إلى معاهدة القصبة (4 جويلية 1830م) التي تضمن للمسلمين في الجزائر حق العبادة وأماكنها[3].

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائري الثقافي 1830–1954،ج8، مرجع سابق، ص 392.

[2]– محمد بهي الدين سالم: ابن فارس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق، بيروت، 1999، ص،ص 22،23.

[3]– شاوش حباسي: مرجع سابق، ص 36.

وبذلك يمكن القول أن أول ضربة للاستعمار في قطر الجزائر تلك التي ألحقت بها المساجد، حيث أصبحت من ممتلكاته، هدم منها ما هدم، وحول منها ما يمكن تحويله إلى كنائس ما حول، كما عملت فرنسا على عدم السماح للمسلمين بإقامة شعائرهم في البقاع الباقية منها، إلا بواسطة موظفيها ورجالها ومن ينتدبهم للاستعمار للقيام بها، فرجال الإفتاء وأئمة المساجد وقراء القرآن فيها ومؤذنيها، وكل اولئك من الموظفين الذين يتقاضون أجورهم من الخزينة الفرنسية، ولا يستلمون وظائفهم إلا إذا قدموا للاستعمار ما يرضيه.

ويؤكد ذلك أحد كبار موظفي الولاية العامة الجزائرية في مقال له بقوله: "لقد وصل **بنا إمتهان واحتقار الدين الإسلامي إلى درجة اننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ولا يمكن لموظف ديني أو ينال أي رقي إلا إذا أظهر للإدارة الفرنسية إخلاص منقطع النظير**"[1].

كانت أمور الدين الإسلامي كلها قبل صدور قوانين 1905 تباشر بواسطة إدارة الأمور الأهلية في الولاية العامة، وكانت إدارة الأديان فيها ترعى الاديان الثلاثة: الإسلام، المسيحية، واليهودية.

حيث كانت فرنسا هي من تقوم بتعيين المفتي والمؤذنين والخطباء وكان هؤلاء بمثابة جواسيس على مواطنيهم، كما رفضت فرنسا وهي الدولة التي أصبحت لا دينية[2] من 1789م –مبدأ فصل- الأديان الخاص بالدولة على الديانة الإسلامية التي أبقتها تحت سيطرتها المباشرة.

حيث عمدت السلطات الفرنسية في الجزائر منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى التصرف في ألفي وقف كان تابعا لمائتي شخص ومؤسسة، وذلك بالاستيلاء على 27 مسجدا ومصلى، ذلك للقضاء على اهم عامل يساهم في إبراز الديانة الإسلامية[3].

---

[1]– محمد بهي الدين سالم: مرجع سابق، ص 23.

[2]– نبيل أحمد بلاسي: مرجع سابق، ص 36.

[3]– خيثر عبد النور وآخرون: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، الجزائر 2007، ص ،ص62، 70 .

وفي أثناء الحرب العالمية الاولى 1916 سعت لجنة ترأسها اليساري الفرنسي هيرو (Herriou) لجمع المال لبناء مسجد باريس، غير أن هذه اللجنة قد وجدت معارضة صارمة من الحاكم باسم **"الحياد الديني".**

واقترح نفس الحاكم بأن تبنى "دار الضيوف" بالنظر إلى قلة الذين يترددون على مسجد نوجان "Nogent" لكن اليساري بقي متمسكا بمشروعه –بناء مسجد باريس- ورغب في أن يلحق بجامعة إسلامية فرنسية، لكن الحكومة الفرنسية ثبتت موقف الحاكم العام، فرفضت إمداد المشروع بالمال اللازم بحجة تعارض الفعل، الدولة الفرنسية، وتأجل بناء مسجد باريس والمعهد الإسلامي إلى سنة 1926م[1].

ومن الظلم الذي عاناه الشعب الجزائري قانون سبتمبر 1907م الذي ينص على فصل الدين عن الدولة، هذا القانون الذي لم ينفذ منه ولا حرف واحد فلما يتعلق بالدين الإسلامي، وبقيت الإدارة الفرنسية تتصرف في المساجد وأوقافها وتقبض بيد عن حديد على الوظائف الدينية وتصرفها حسب أهوائها وشهواتها السياسية[2].

وكما ذكرنا الإضطهاد الذي تعرض له الدين الإسلامي في مجال آخر وهو عدم الفصل بينه كديانة وبين الدولة بالفصل الذي حدث بالنسبة للديانتين المسيحية واليهودية سنة 1907م، فإلى نسبة 1947م كانت الدولة الفرنسية هي التي تشير الشؤون الإسلامية، لأن خوفها كان كبيرا من استقلالية الديانة الإسلامية وكانت تدعي أن المسلمين لم يتفقوا على كيفية الإشراف على ديانتهم[3].

بات جليا أن مشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر كان يحمل في طياته مخططا تنصيريا انطلق من قناعات فرنسية، يكون هذه الأرض كانت مسيحية في الأساس على عهد أجدادهم، وبالتالي وجب إرجاعها إلى أصالتها الحضارية المسيحية، مما كرس عندهم

---

[1]– شاوش جباسي: مرجع سابق، ص 38.

[2]– محمد بشير الإبراهيمي: فصل الحكومة عن الدين، مجلة البصائر، السنة الرابعة من السلسلة الجديدة، العدد 136–180 (1951–1952)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 13.

[3]– مازن صلاح حامد مطبقاني: جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية، جامعة طيبة، عمان، 1985، ص 32.

الشرعية الدينية للاحتلال، تبعا لذلك فإنه ليس من الغريب أن نجد الكنيسة تشير في مقدمة الزحف الاستعماري الفرنسي للجزائر[1]، ويتضح ذلك من خلال دراسة بداية الغزو الفرنسي للجزائر والإحصائيات لعدد المساجد الموجودة، أنها لم تكن قليلة، أعطت طابعا إسلاميا موحدا تلتقي فيه اهتمامات الحكام والمحكومين[2].

وإلى جانب حرص فرنسا على تهديم وتشويه المساجد الجزائرية وحرمانتها من الدعم المادي، المكتمل في الاوقاف، ومنع التدريس القرآني بها منعت التفسير بها كذلك[3]، بالإضافة إلى العدد القليل المتبقي عن المساجد الرسمية التي لم تطأها يد الاستدمار كانت هناك مساجد شعبية بناها الشعب من حرماله وأوقف عليها ما يلزمها من الأوقاف، وبظهور الحركة الإصلاحية ظهرت مساجد حرة كثيرة غير تابعة للدولة الفرنسية، ولا للزوايا والطرق الصوفية، ولكنها مساجد بناها المتأثرون بالحركة الإصلاحية، للصلاة ودروس الوعظ والإرشاد والإصلاح والوطنية، وانتشرت هذه المساجد الشعبية في الأرياف والقرى والمدن الصغيرة[4]، ومن أبرز المساجد التي كانت تلقى بها دروس الدين نذكر المسجد الكبير بالعاصمة والذي يحضر دروسه معظم عمال المسجد البسطاء، وخواص المسلمين الغرباء عن المدينة في الأصل، لكنهم مرتبطون بها عملا وشغلا، والقصد عن حضورهم هو توطيد علاقاتهم بواجباتهم الدينية، وكذا مسجد صيد الأسماك الذي كان إمامه ابن سماتة، يحضر دروسه عمال المسجد وبعض الخواص الراغبين في التعلم وكذلك طلبة القسم العالي بمدرسة الجزائر، إلى جانب مسجد سفير يحضر دروسه عمال المسجد وبعض تلامذه السنة الخامسة من مدرسة الجزائر وكذلك بعض الخواص من الجزائر[5]، حيث اختلطت وظيفة المساجد في الواقع بوظيفة الزوايا والمدرسة أحيانا، فقد كانت بعض المساجد تؤدي وظيفة

---

[1]– خيثر بعد النور وآخرون: مرجع سابق، ص 70.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 1830–1954،ج4، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1998، ص 398.

[3]– مازن صلاح حامد مطبقاتي: مرجع سابق، ص 32.

[4]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج10 ،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت،1998،ص44.

[5]– عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830–1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص ، ص 232،233.

المدرسة في نشر التعليم بجميع انواعه، فقاومت وصمدت وواصلت رسالتها الحضارية بجد وعناد بفضل تأييد الشعب الجزائري لها، وبذلك زاد بناء المساجد مما أدى إلى زيادة إكرام الشعب لرجالها والانفاق على مشاريعها الدينية، كأسلوب من أساليب مقاومة السيطرة الاستعمارية، والحكرمة التنصيرية وإبراز مقومات الحصانة الدينية للمجتمع الجزائري[1].

دور المساجد

فإنه لا يختلف جزائريان في كونها أبرز المؤسسات الدينية التعليمية، والتي عملت على الحفاظ على الشخصية الوطنية الجزائرية، فلا تكاد تخلو منها قرية من القرى الجزائرية، فقد كانت المساجد مركزا للعيادة، يجتمع فيه الناس لأداء فريضة الصلاة جماعة، والاستماع إلى إرشاد ووعظ الأئمة، إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم للأطفال، كما كانت ملتقا لاجتماع الأعيان، ومنشطة للحياة العلمية والاجتماعية، وهي قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة، لقد حرص الجزائريون عامة على إقامتها وترميمها وتوسيعها كلما دعت الحاجة إلى ذلك وكانت تعتبر بمثابة النادي (بالتعبير الحديث)، فيها تعرض المشاكل، وتطرح المسائل للنقاش تحت رئاسة إمام المسجد وعقلاء القرية[2]، ولكنها كانت تتعرض لمضايقات من طرف السلطات الفرنسية تتجلى اهمها في تدخلها بخصوص كل المناسبات الدينية، التي تقام داخل المساجد فكان لزاما الحصول على ترخيص مسبق لإحياء الحفلات الدينية، أو أداء الزيارات، وخصوصا إذا كانت لجمع الصدقات، التي يلتمسها المرابطون أو (شيوخ) الطريقة[3].

لذلك يمكننا القول أن المسجد لعب دورا بالغا خاصة من ناحية التربية والتعليم والإصلاح الديني وبعث النهضة العلمية بالإضافة إلى المحافظة على القرآن الكريم وعلى التراث الإسلامي في شتى مجالاته وقد اتخذه الرواد الجزائريون مركزا لنشر دعوتهم وبث تقاليدهم الإصلاحية والتبشير بأفكارهم الدينية.

---

[1]– خيثر عبد النور وآخرون: مرجع سابق، ص 82.

[2]– خيثر عبد النور وآخرون: مرجع سابق، ص،ص 81120.

[3]– شارل روبير أجيرون: مصدر سابق، ص 548.

الزوايا والكتاتيب

1- تعريف الزاوية

أ- لغة: الزاوية هي كلمة مشتقة من فعل الزوايا، أي اتخذ ركن للاعتكاف والتعبد، وزويت الشيء، أي حمته وقبضته وفي الحديث الشريف: "زويت لي الأرض مشارفها ومغازيها..."[1].

وزوي الكلام أي هيأه في نفسه، ونقول انزوى القوم بعضه إلى بعض، والزاوية من البيت جمعها زوايا وهي الركن[2].

وزاوت بكذا أي حملت له[3]، وزوي المالي أي بمعنى أخفاه عن ورثته[4].

ويعرفها علي دبوز لغة: على أنها هي الطريقة الصوفية، ومحلها وهي منبع اليقظة والنهضة[5].

ب- تعريف الزاوية اصطلاحا: يقصد بها عن المتصوفة[6] الموقع الذي يلزم فيه العبادة وهي ركن البناء أطلقت على المسجد الصغير أو المصلى، كما تطلق كلمة زاوية على مسجد خاص بطائفة من الصوفية، أو ضريح لأحد الأولياء يتصل بها غالبا مقبرة يدفن فيها بعض من لهم علاقة بالطريقة وقرابة بالوالي، يخصص لاستقبال الضيوف[7]، ويمكن تعريفها أيضا بأنها مدرسة ودار للضيافة الغرباء، وتعتبر مركز لنماذج الطرق الصوفية، مخصصة للعلم وللثقافة.

---

[1]- صحيح البخاري في الروض النظير: تحت رقم 61-1170 وفي شرح ابن ماجة: تحت رقم 52-30.

[2]- إبراهيم رجب وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، مؤسسة الثقافة، اسطنبول ، 1989، ص 408.

[3]- إبراهيم رجب وآخرون: معجم المصطلحات الإسلامية، مؤسسة الثقافة، اسطنبول، 1989، ص 128.

[4]- عاصم محمد رزق: معدم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مديولي، د. م .ن، 2002، ص 128.

[5]- محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، 1921-1975، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص 20.

[6]-المتصوفة: يعرفها ابن خلدون على أنها علم من العلوم الشرعية وأصله ان طريقة القول لم تزل عند سلفاء الأمة، وكبارها عن الصحافة، وهي طريق الحق والهداية، أنظر: ابن خلدون المقدمة، مكتبة الحكمة، لبنان، 1991، ص 172.

[7]- ابن مرزوق، محمد التلمساني:الحسن ومآثر ومحاسن مولاي أبي الحسن، الجزائر 1981، ص 409.

ويعرفها أبو القاسم سعد الله على أنها: مبنى يضم قبة وضريح الولي أو شيخ الطريقة ومسجدا وقبورا لأبناء وأحفاد الولي أو الشيخ وأحيانا يضم مكتبة وملجأ للغرباء، بعض الزوايا أصلها رباطات، هناك زوايا اشتهرت بالتعليم وأخرى بالعبادة واستقبال الزوار والفقراء[1].

وتعرف أيضا بكونها مركز للنشاط الديني، وملاجئ دينية لعمال الغير[2]، إذ الزاوية هي عبارة عن بناء يجمع بين هندسة المسجد والمنزل، وهي تنزوي في ركن بعيد عن المدينة، غالبا ما تكون فيه القرى النائية، فشكل الزاوية يوحي بالزهد والعزلة[3].

كما تعتبر مؤسسة اجتماعية تعتمد على الهيئات والتبرعات والأوقاف، وتقوم بتقديم خدمات اجتماعية، تتمثل في جانبين هامين تساهم بها في تنمية المجتمع وإصلاحه وهما:

ا- الجانب الاجتماعي: يتمثل في التكفل بالفئات الخاصة ويقصد بها الفئات المعروفة في المجتمع والتي تحتاج إلى معونة مالية من اليتامى والفقراء وعابري السبيل، حيث يقوم شيوخ الزاوية بتوزيع أموال الزكاة الواردة إلى الزاوية على هذه الفئات، كما تقوم الزاوية بحل النزاعات القائمة بين الأفراد والجماعات[4].

ب- الجانب الفقهي والديني: يتمثل في تعليم وتدريس القرآن الكريم والفقه، وأصول اللغة، ويعتمد في أدائها لوظائفها على أحد الطرق الصوفية المرتبطة بها هذه الرابطة ليست انتماء ايديولوجي أو فكري أو سياسي، فيكون هذا الانتماء قابلا للتحول أو الزوال، كما أن هذا الجانب الروحي لا يرتبط بالمستوى المادي أو الاجتماعي، وإنما هو رابطة وجدانية، أسسها الإيمان بالله ورسوله وإتباع سنته صلى الله عليه وسلم، ثم تجسيد ثمرة الإيمان في السلوك الفردي اليومي، هذه العلاقة تغذيها الزاوية فتقوي في الفرد دافع الأنا الجماعي، ويميز ذلك

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج9، مرجع سابق، ص 9.

[2]– تركي رابح: التعليم القومي للشخصية الجزائرية، ط 2، د.م.ن، 1991، ص 237.

[3]– حفيظي سليمة: زاوية الهامل، دراسة أثرية والأفكار الإسلامية، مذكرة لنيل شهادة ليسانس، قسم التاريخ، تخفيض آثار إسلامية، جامعة قسنطينة، 2010، ص 17.

[4]– نسيب محمد: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.س.ن، ص 27.

كله ما شاء الله من الأخلاق الفاضلة والروح الإيمانية العليا التي تجعل صاحبها يعمل على فعل الخير والإحسان إلى الخلق....[1]

ويهدف في كل ما يفعله إلى نيل رضا الله سبحانه وتعالى ويستعد دائما للتضحية من أجل نصرة الدين وعزة الأمة وشرف البلاد[2].

دور الزوايا في المجتمع الإسلامي

أدت الزوايا الدينية بمختلف أنواعها أدوارا كثيرة في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية، وكذلك الأدوار السياسية.

اهتمت بتخطيط القرآن الكريم ونشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية الثقافية مما ساعد على حمايته من النسيان والضياع والإندثار[3] وهذا من الجانب الديني.

كما كانت الزوايا تدرس مختلف علوم الدين واللسان والأخبار ضف إلى هذا العلوم الدينية التي كان بعضها مقصدا لكبار العلماء حيث اشتهرت وتحولت إلى مدارس عليا، كما تعد بمثابة مخابرات ودواوين المخطوطات في مختلف العلوم وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأبنائها بالعلم والتعليم والنسخ والتأليف والجمع، كما عملت على نشر الإسلام في المواطن والأصقاع التي لم يصل إليها خاصة في المناطق الصحراوية[4].

كانت الزوايا تهتم بإزالة الخلافات بين الفئات المختلفة، وذلك بفضل مركز شيوخها، باعتبارها المؤسسة الوحيدة في الريف التي يلجأ إليها الناس في حل خصوماتهم أو في طلب العلم، فهي مؤسسة دينية، علمية، تثقيفية....[5]

---

[1]– بوعبد الله غلام الله: دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، الملتقى الوطني، 1–2، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 21.

[2]– بوعبد الله غلام الله: مرجع سابق، ص 21.

[3]– يحي بوعريز: تاريخ الجزائر في المنظمات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 14.

[4]– نفسه، ص 115.

[5]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 261.

وعن الجزائر يمكن ان يظهر دور الزاوية في الحياة السياسية، من خلال الحديث عن خصائص المقاومة السياسية للاستعمار الفرنسي، حيث قامت الزوايا بصد هذا العدوان منذ دخوله إلى أرض الجزائر من المقاومات الشعبية إلى الثورة التحريرية، وهذا ما يؤكده حمدان خوجة بقوله: "إن شيوخ الطرق الصوفية أمروا جميع المواطنين الجزائريين أمام الغزو الفرنسي بالتعبئة العامة والوقوف صفا واحدا لمقاومة الغزاة المحتلين..."[1].

وكثرت الزوايا وانتشرت بشكل واسع ومكثف في القرن السابع عشر وما بعده، خاصة خلال الزحف الاستعماري الفرنسي في القرنين 19م ومطلع القرن العشرين[2].

واجهت الزوايا نفس مصير المساجد، حيث حورب الأئمة وشيوخ الزوايا، ووضع حد لنشاطهم الديني وفرضت عليهم مراقبة شديدة ودائمة، ونفي الكثير منهم وشردوا إلى مناطق مختلفة داخل البلاد وخارجها، وأرغم البعض على الاشتغال بالجوسسة لصالح الشرطة الفرنسية، ومن ثم إغلاق الكثير من الزوايا[3].

أ- نوع خلواتي: يدعي شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة، والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يلقبونهم "بالإخوان" حسب اختلاف الجهات والمناطق، فيفرظون عليهم أذكارا معينة، يتلونها في خلوات خاصة معزولة ومظلمة لمدة محدودة، حتى يفتح الله عليهم، وهذه الظاهرة هي التي استوجبت تسمية شيوخ هذه الزوايا الخلواتية بالطرقيتين، لأن لكل واحد منهم طريقة خاصة ذات تقاليد وأشكال وأذكار، يفرضها على أتباعه من الفقراء والأخوان، وعلى سبيل المثال، الخحضرة لدى العلوية، وحلقة البندير والأمواس لدى العيساوية والعمارية.

ب- نوع غير خلواتي: لا يدعي شيوخها معرفة أسرار غيبية دينية معينة، ولكن يتخذون لأتباعم "وردا" خاص من الأذكار، يتلونها وراء الصلوات، ويتصدون لتعليم القرآن أساسا

---

[1]– بن عودة جنب : دور الزوايا والطرق الصوفية أثناء ثورة التحرير الكبرى، أعمال الملتقى الوطني 1–2، حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية،وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 105.

[2]– يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 215.

[3]– خيثر عبد النور وآخرون: مرجع سابق، ص 73.

للأطفال وتلاوته، ولتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية بأنفسهم إن كانوا مثقفين، وبواسطة حفاظ القرآن الكريم وبعض المثقفين الآخرين من أنصارهم وأتباعهم، ومن هنا يمكن اعتبار هذا الصنف من الزوايا بمثابة كتاتيب قرآنية[1].

وقد بقي الشعب الجزائري متشبثا بدينه والدفاع عنه في الكتاتيب القرآنية وبعض الزوايا، وقد عكس بعض الإحصائيات مقاومة التجهيل حرفيا وفكريا ودينيا في مختلف المعاقل التي تحصنت بها العربية وصمدت فيها الروح الدينية، فقد أحصيت الزوايا وحدها ما بين سنتي 1871 و 1881 ألفي زاوية (2000) يتلقى فيها التعليم أكثر من ثمانية وعشرون ألف تلميذ، ففي قسنطينة وحدها سنة 1873، تنصبت في وجه الاحتلال تسعون زاوية[2].

ويقول محمد نسيب في مقال نشر في جريدة العصر حول الزاوية: "فلو بقيت الزاويا العلمية والمعاهد الإسلامية تؤدي رسالتها الدينية والتعليمية لما عششت الدعوات الهدامة في عقول أبناءنا ولا ظهرت المذاهب المنحرفة في مجتمعنا ولو بقي التعليم الديني في مدارسنا لما سمعنا اليوم في جزائر الجهاد والاستشهاد، من يطالب بفصل الدين عن الدولة ويدعو إلى حصر الإسلام بين جدران المساجد وإغلاق أبوابها عليه، حتى لا يسمع صوته، ولا يستجاب لندائه فلله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله[3].

الزوايا في منطقة القبائل

إن أهم ما تتميز به زوايا هذه المنطقة أنها ليست كسائر الأمكنة والأبنية التي يطلق عليها اسم الزاوية، كما يزعم بعض الناس، بل هي مدارس ابتدائية ومعاهد علمية أسست

[1]– يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص ، ص215،216.

[2]– عمر بن قينة: مرجع سابق، ص ، ص 37،38.

[3]صلاح مؤيد العقبي: الفرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، مكتبة الشرق، بيروت، 2002، ص 24.

لتحقيق القرآن الكريم والعلوم الأخرى المختلفة، لأهميتها من جميع النواحي وخاصة الناحية الدينية ترى من الواجب أن تتوقف عندها قليلا وتعطي لمحة عن حالتها العامة ودورها[1].

وسنتعرض لأهم الزوايا التي خدمت الدين الإسلامي بالمنطقة واللغة العربية في الجزائر ومنها:

- زاوية آيت بويحي بالأربعاء بني دوالة.
- زاوية أسحنونية بالأربعاء نايت إيراثن.

ومن بين اهداف هذه الزوايا تربية الطلبة تربية إسلامية علمية قوية وتغرس فيهم الأخلاق الحميدة[2].

قد كثرت المؤسسات الدينية وانتشرت خلال الزحف الاستعماري الفرنسي في القرنين التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وتعتبر منطقة القبائل من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا حيث بلغ عددها سنة 1933 أكثر من 40 زاوية ما بين صغيرة وكبيرة.

ولكن معظم شيوخ هذه الزوايا كان محضورا من التنقل أو جمع الصدقات أو الأوعطيات في شكل ما اصطلح على تسميته الزيارة وكان الغرض هو إشعارهم بتبعيتهم للسلطات الفرنسية[3].

وقد كان اهتمام سكان القبائل كبيرا بإقامة الشعائر الدينية، والحفاظ على العقيدة الإسلامية، بالدفاع عنها وبناء المساجد والأطرحة والزوايا، وحرسوا على التعليم القرآني حفظا وتفسيرا، وتخرج على أيديهم طلبة كثيرون من سكان منطقة جرجرة وغيرهم من الطلبة الوافدين إليها من المناطق الأخرى وإلى هؤلاء جميعا يعود الفضل في إعلاء شأن الإسلام وحفظه من التحريف بهذا عرفت المنطقة حياة دينية خصبة كانت على الدوام الحصن المنيع للدين الإسلامي، وبذلك كانت منطقة القبائل من الناحية العلمية والدينية ذات

---

[1]- يسلي مقران: الطرق الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 68.

[2]- يسلي مقران:مرجع سابق، ص 69.

[3]- شارل روبير وآخرون: مصدر سابق، ص 562.

شهرة خاصة ومما يدل على ذلك تسميات مؤسساتها، كجامعة سيدي التواتي البربري، ومن علمائها الشيخ أعراب صاحب الزاوية المشهورة في ناحية الأربعاء ببني راثن[1].

لذلك تعتبر الزاوية معدن العلم والقرآن والوعظ والإرشاد والبر والإحسان إن فضل هذه الزوايا عظيم على الجزائرين في عهد ظلامها، أيام الاستعمار وقبله، لقد اعتنت كل الاعتناء بتحفيظ القرآن والتعليم الديني وانجبت لنا علماء أجلاء، كانوا أعلام الإصلاح في الجزائر، فالشيخ محمد البشير الإبراهيمي مثلا، تعلم في زاوية سيدي ابن علي بن شريف في شلاطة بجبال القبائل، كما تعلم في زاوية الحواس في قرية ولاد سيدي حمد في ناحية عين أولمان بجنوب سطيف والعربي التبسي[2] الذي ختم القرآن في زاوية خنقة سيدي ناجي وامثلة ذلك كثيرة، ولعلى الزوايا هي المعاهد الوحيدة التي تعتني بتحفيظ كتاب الله ولولاها لضاع، كما كانت هناك زوايا اخرى أضرت كثيرا بالجزائر وتتمثل في تلك التي كانت جبالا للشنق تقتل بها الجزائريين، كانت بلاء أو فتنة جعلت الجزائر تدخل في ظلام، ونسميها الطرقية الاستعمارية، لأنها سلاحه وربيبته، وجنده المخلص الذي حارب الدين والإصلاح في الجزائر[3].

الكتاتيب القرآنية

وهي عبارة عن بيوت أحيانا تكون منفردة، واحيانا تكون مجمعات البيوت مختلفة الأحجام والأشكال، والأغلبية من تأسيس حفظة القرآن الكريم للإرتزاق والحصول على لقمة العيش، وقد بدأت هذه الكتاتيب تظهر منذ صدر الإسلام بالمدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انتشرت في سائر البلدان الإسلامية، ومنها الجزائر التي تطورت فيها تطورا واسعا في العصر الحديث، وتكثفت في عهد الاستعمار الفرنسي خلال القرنين

---

[1]– يسلي مقران:مرجع سابق، ص ، ص 63،64.

[2]– الشيخ العربي التبسي: الشيخ العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات الجدري التبسي وامه آمنة بنت عبيد بن فرحات الجدري التبسي المولود بدوار السفح من بلدية العقلة، دائرة الشريعة الواقعة في الدنوب الغربي من ولاية تبسة، حفظ القرآن على يد والده، ثم على يد عمه، ثم التحق بزاوية أولاد رشاش بالزوي لحفظ القرآن وقد حفظه دون سن الثالثة عشرة في أواخر 1904.أنظر : بوعلام بلقاسمي وآخرون:موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة ،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، د.م.ن،2007، ص108.

[3]– محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص، ص 20،21.

التاسع عشر والعشرين، كأسلوب ووسيلة لمواجهة سياسة التنصير والتمسيح والفرنسة، وحماية للشخصية العربية الإسلامية للجزائر، ولمقاومته سياسة التجهيل التي كانت تتبعها الإدارة الاستعمارية في البلاد[1]، وكانت معظمها في الجزائر بسيطة المظهر والمبنى، قليلة الإمكانيات المادية وأصحابها "الطلبة أو المشايخ" من الطبقة الفقيرة جدا والكادحة يقومون بتعليم القرآن في هذه الكتاتيب للحصول على لقمة العيش أساسا[2]، وتتواجد هذه الأخيرة في كل الحواضر والقرى بصورة مكثفة، ويطلق في الجزائر اسم "المسد" بسكون الميم وكسر السين، ويتولى حفاظ القرآن الكريم الذي يطلق عليها اسم "الطلبة" بضم الضاء المشددة وسكون اللام في بعض الجهات و "الفقهاء" في بعض الجهات الأخرى، و "المشايخ" في غيرها[3]، ويزدحم الأطفال بوليهم ذكورا وإناثا من مختلف الأعمار، لحفظ القرآن وفي العادة يتم تعليم القرآن في الفترة الصباحية لكن أثناء فترة الاحتلال جرت العادة في المدن على ممارسة تحفيظ القرآن وتعليمه في الأوقات التي تكون فيه المدارس الرسمية مغلقة بين الخامسة والسابعة والنصف صباحا[4].

كما قامت السلطات الفرنسية بمضايقة هذه الكتاتيب حتى لا تكون مزاحمة للمدارس الفرنسية.

دور الكتاتيب القرآنية

تكمن وظيفة الكتاتيب القرآنية في تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وتربيته لهم،وقد دعت الحاجة إلى تأسيسها من أجل تجنب المساجد أو اوساخ الأطفال وضوضائهم، والاحتفاظ بتفاوتها ووقارها، ليجد فيها المصلون والمتقيدون جو الخشوع في العبادة.

ويقبل الجزائرين فيها على إرسال أطفالهم في بعض هذه الكتاتيب الكبيرة بدون تراخ لأن القرآن الكريم مثل الرمز والعنوان لإسلام الجميع، والكل يحصرون على أن يبدوا المسلمين، حتى ولو كان البعض لا يطبق مبادئه[5].

حيث ارتبطت وظيفتها بتحفيظ القرآن وترتيله، ومن بين هذه الكتاتيب التي كانت مقاومة لسياسة الإستدامة نذكر

- مسيد سيدي قدور وضريحه.
- مسيد ابن علي وضريحه.

---

[1]– يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص 212.

[2]– خيثر عبد النور وآخرون: مرجع سابق، ص 80.

[3]– يحي بوريز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص 212.

[4]–يحي بوعزي موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص 213

[5]– ز.نفسه، ص 213.

- مسيد جامع الزاوية، وهي زاوية سيدي محمد الشريف الزهار.
- مسيد جامع سفير.

ورغم المظهر المزري أحيانا لهذه الكتاتيب القرآنية وفقر أصحابها، ورغم اختلاف الأساليب التي تطبق داخلها، إلا أن دورها كان هام جدا في المحافظة على القرآن الكريم، وعلى الطابع الإسلامي للجزائر شكلا ومحتوى، وفي مقاومة وإفشال سياسة التنصير والفرنسة.

هذه الكتاتيب إن لم تعط للجزائريين قدرا كبيرا من العلم فإنها أشبعت بهم الروحي وظلت تربطهم بماضيهم كما أعطتهم سلاحا قويا في استمرارية المقاومة والوقوف ضد ذوبان الشخصية الوطنية في شخصية المستعمر[1].

إن بعض الدارسين قد يحكون على نوع التعليم القرآني في الكتاتيب التقليدية والزوايا لتأخر عن مسايرة العصر ولكنه في نظرنا كان نواع من التعليم المقاوم، أي أنه كان يمثل أساس ايديولوجية وطنية تقوم على رفض الوجود الاستعماري المتعالي.

المدارس

ومن سلبيات سياسة التعسف الديني الفرنسية في الجزائر أنها قامت بإهمال اللغة العربية في مدارس البلاد، وجعلتها كلها فرنسية، بحيث لوتسنى لجزائري أن يدخل هذه المدارس كما خرج منها إلا فرنسيا[2].

ولكن الإسلام ظل حصن اللغة العربية في قلوب الجزائريين يمارسون به شعائر صلاتهم ويتعلمون عن طريقه لغتهم، ومن هنا قام العلماء بالعبىء الأكبر في المحافظة على اللغة طوال سنوات الاستعمار.

ومن بين علماء الجزائر الذين كان لهم دور كبير في المحافظة على التعليم الإسلامي ابن شنب الذي كان يبحث للجزائريين على التعلم طبقا لتعاليم الإسلام[1].

---

[1]– خيثر عبد النور: مرجع سابق، ص 82.

[2]– محمد بهي الدين سالم: مرجع سابق، ص 24.

وذهب إلى أن الدين عند العرب هو الذي أنشأ المدارس لأن المدارس ولدت مع الرغبة في معرفة وفهم القرآن الكريم، واستمرت النخبة المتعلمة بالعربية فقط بالدعوة لتعلم واحترام لغة الدين، وتفهم ذلك من الحملة التي أقيمت من أجل التعليم في المساجد وغيرها التي شارك فيها الكثير أمثال عبد الحليم سماية، والمجاوي[2].

وفي بعض الزوايا شارك فيها أمثال أبو القاسم البوجليلي الذي كان من بين رواد الحركة الإصلاحية التي ظهرت وأسيغت فيما بعد على يد عبد الحميد بن باديس.

فبظهور قضية فصل الدين في الدولة، والمطالبة بالمسلمين إليهم من شؤون دينية وأوقاف وقضاء وغير ذلك، كما فعلت فرنسا مع الأديان الأخرى، نجد أن الوقف كبينايات ومؤسسات دينية وتعليمية قد انتهى، فالجريمة ضده قد حصلت وروح القتيل قد أزهقت وهيهات أن تعود الحياة لمن فقدها[3].

لقد عادت الحياة إلى جامع كتشاوة وجامع علي بتشيني ولكن من يرجع الحياة إلى جامع السيدة وزاوية القشاش والعشرات الأخرى؟

إن الناس لا يعرفون من سواءات الاستعمار إلا الاستيلاء على الأراضي ومطاردة السياسيين واستبعاد الشعوب، ولكنهم لا يعرفون أن من جرائم فرنسا في الجزائر على المدارس وحرق المتب والوثائق ونفي العلماء، حرمان الطلبة من الدراسة في مساجدهم

---

[1]– أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزاءر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 332.

[2]– ابن شنب: من أهم الشخصيات المثقفة التي خدمت الثقافة العربية وعلومها، درس في عدة مدارس ومعاهد، في سنة 1886 التحق بدار المعلمين ببوزريعة، وتخرج أستاذ في اللغة الفرنسية، وعين معلما بالمكتب الرسمي بقرية سيدي "تامجارت" عمل فيها 4 سنوات إلى غاية 1892 و في 8 ماي 1898 عينته الأكاديمية الجزائرية الفرنسية استاذا بالمدرسة الكتابية بقسنطينة خلفا للأستاذ المجاوي، توفي في 05 فيفري 1929 قال فيه عبد الحميد بن باديس عندماعرفناه فقدناه، ترك ما يزيد عن 50 مصنفا في مختلف العلوم والفنون.أنظر عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد بن باديس، ج1،دار مداد،2009،الجزائر، ص ، ص ،151،149 .

[3]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي: ج5، مرجع سابق، ص 207.

وزواياهم[1]، ومن أجل ذلك تطرقنا إلى ذكر الأوقاف لأنها لا تنفصل على المؤسسات الدينية.

أما التعليم في المدارس فإن الجمهورية الثالثة قد قامت ابتداءا من سنة 1870 بإغلاق المدارس الابتدائية (36 مدرسة) والتكميلية لم تسلم من هذا الإجراء سواء (16 مدرسة) ففي سنة 1882م حوالي 10 آلاف بنسبة 1.9% ليصل في سنة 1914 إلى 05% ولم تزد سنة 1920 عن 06%[2].

وجرت العادة أن تؤسس هذه المدارس بجوار المساجد، نظرا للصلة الوثيقة بين الدين والعلم، ولكن هذا ليس شرطا غير أن كل مدرسة لابد أن يؤسس داخلها بيت (مسجد) للصلاة[3].

وتنوعت المعارف التي تدرس بهذه المدارس إلى 03 أصناف:

- العلوم الدينية: مثل تحفيظ القرآن وشرحه وتفسير الحديث وتعليم الفقه والتوجيه والمنطق والأصول[4].
- علوم اللغة والآداب.
- علوم الطبيعة والتجريبية.

وتوجد بالجزائر مجموعة من هذه المدارس ما يزال البعض منها قائما حتى اليوم، ولو كهياكل مثل مدرسة ابن مروان بعنابة، والكتانية وسيدي الأخضر بقسنطينة، والتاشفينية ببجاية، وسيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر[5].

---

[1]– أبو القاسم سعدالله،: تاريخ الجزائر الثقافي،ج5،ص 208.

[2]– عبد الحميد زوزو: تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص ص،73،74.

[3]– يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا عن تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص 211.

[4]– عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830–1962، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 52.

[5]– يحي بوعريز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص 212.

مدارس التعليم القرآني بوادي سوف

بعد التعليم القرآني التعليم الأكثر انتشارا في كامل انحاء القطر الجزائري خلال القرن أواخر التاسع عشر[1] وبداية القرن العشرين، خاصة بوادي سوف حيث انتشر بفضل المؤدبين والزوايا.

وهذا ما عبرت عليه إحدى الكاتبات الفرنسيات بقولها: "ليس من الغريب أن يجدوا واحدا مقابل عشرة يحفظ القرآن كله بوادي سوف، بينما في باقي إفريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة محصورة في الطلبة، وبعض الخواص بنسبة واحد من الألف...".

وكان تواجد هذه المدارس كثير جدا لا يخلوا حي بقرى ومدن وادي سوف من مدرسة قرآنية على الأقل، وقد تكون هذه المدارس تابعة للمساجد أو منفصلة عنها، وقد كانت بعض العائلات تشيد المدارس القرآنية مثل مدرسة الغزوي بالجهة الشمالية من حي الأعشاش التي أسست في حدود 1890م من طرق رجل فلاح وتاجر يدعى محمد القروي بن علي.

كانت هذه المدارس مقصد للعلم، لكن الجمهورية الفرنسية الثالثة عملت منذ تواجدها بالجزائر بالمراهنة على التعليم قصد التحكم في طبيعته ومستوياته لأنه يعتبر أخطر التحديات، ففتحت أول مدرسة بمدينة الوادي وأطلقت عليها اسم مدرسة الأهالي 1886 وصل عدد المتمدرسين فيها سنة 1900 إلى 278 تلميذ ومدرسة أخرى بمنطقة قمار سنة 1903م.

ومنه يمكننا القول أن المدارس كانت من أهم المراكز المكانية التي تنقل لغيرها الأفكار والمعتقدات، ويخرج لواء الجهاد لمقاومة الغزو الأجنبي[2].

[1]– محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، 1792–1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 48.

[2]– عبد القادر خليفي: مرجع سابق، ص ، ص 264،270.

بحيث عمل الشعب الجزائري على إنشاء مدارس جديدة، وجعلها كأسلوب ووسيلة لمواجهة سياسة الفرنسية والتعصب الديني، والتجهيل التي كانت تسعى لها السلطات الفرنسية.

ولذلك تحولت هذه المؤسسات الدينية وخلقت تأزرا واسعا، وأصبحت مراكز للقيادة والزعامة العسكرية الداعية لمحارية الاستعمار للمحافظة على روح المقاومة.

المبحث الثالث: نادي الترقي- جمعية العلماء المسلمين

وقد ظهرت بوادر النهضة العلمية والإصلاحية الحديثة في الجزائر، في مطلع القرن العشرين على يد جماعة من العلماء أمثال: عبد القادر المجاوي[1] وعبد الحليم بن سماية[2]، وغيرهم من الرواد الذين تأثروا بأفكار الحركة الإصلاحية التي ظهرت في المشرق الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والتي تسربت إلى الجزائر عبر الكتب والجرائد العربية، رغم الستار الحديدي الذي حاول الاستعمار أن يضربه بين الجزائر وباقي الأقطار العربية والإسلامية لعزل الشعب الجزائري ومنعه من الاتصال بإخوانه في تلك الأقطار الشقيقة، غير أن محاولات هؤلاء الرواد كانت جزئية وفردية وغير شاملة للوطن كله، إذ لم يكتسب العمل الإصلاحي صبغة عامة إلا بعد الحرب العالمية الأولى وخاصة ابتداءا من منتصف العشرينات ببروز أعلام النهضة والإصلاح الذين عادوا إلى الجزائر بعد أن انهوا تعليمهم في المعاهد الإسلامية بتونس ومصر والحجاز ،وقاموا بتأسيس مؤسسات للدفاع عن الدين الإسلامي.

لم يكن الجزائرون يعرفون الاجتماعات منذ الاحتلال الفرنسي، وكانت قوانين الأندوجينيا تحرم الاجتماعات، فكانت كل الحركات الجزائرية تتسم بقلة النظام داخل القطر الجزائري فيذكر أحمد توفيق المدني فيقول:" إلى أن وفقنا الله لوضع معقل بعاصمة القطر الجزائري، كان له تأثيره العظيم على الحياتين السياسية والاجتماعية، ألا وهو نادي الترقي الذي تمكنا من تأسيسه رغم القوانين الصارمة في طريق الدعوة الوطنية من جهة، وفي

---

[1]- المجاوي :(1848-1913) من العلماء الموسوعيين في عصره، عرف بغزارة علمه، كان معلما وأستاذا تخرج على يده عدد هام من بناة النهضة العلمية ترك عددا معتبرا من المؤلفات بلغت ثلاثة عشر كتابا أهمها إرشاد المعلمين، المرصاد في مسائل الاقتصاد. انظر: دريادي حميدة، عبد المجيد بن عدة: الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة 1848-1914، أطروحة ماجستير المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2013 ،ص23.

[2]- عبد الحليم بن سماية :(1866-1933) كان من رجال العلم والفلسفة، ومن العلماء القلائل الذين نشروا فكرة الإصلاح والتجديد قبل عبد الحميد بن باديس، كان معلم بالمدرسة الكائنة بشارع السفراء بباب الواد في الجزائر مع عبد القادر المجاوي، وقد ألف عبد الحليم بن سماية بعض الكتب من بينها كتاب فلسفة الإسلام، وله عدة مقالات في الصحافة العربية الجزائرية لاسيما في صحيفة الشيخ محمود كحول، وكانت مجلة المنار تعد الغداء الفكري بالنسبة للشيخ عبد الحليم بن سماية. انظر: عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج1 ،مرجع سابق ،ص ، ص148،147.

طريق الدعوة الإسلامية والعروبة الشاملة من جهة أخرى، في هذا النادي المبارك تمكنا من تحقيق الحلم الذي يراود دعاة النهضة العربية الإسلامية، ألا وهو تأسيس هيئة إسلامية عربية[1].

فخلال العشرينات ظهرت عدة جمعيات ونواد أيضا في العاصمة وغيرها وتوسع ذلك مع نشاط الحركة الإصلاحية وظهور الأحزاب السياسية، وقد رافق ذلك نوع من التسامح من الإدارة الفرنسية لإنشاء مثل هذه الخلايا الاجتماعية، مادامت تحت رقابتها الشديدة[2].

التعريف بنادي الترقي

تعريف النادي:

1. **أ- لغة:** إن كلمة ناد أصلها عربي مأخوذ من دار الندوة واستعملت عند الأوروبيين واليهود وكذلك المسلمين ،وقد ذكرت في القرآن الكريم أكثر من مرة لقوله تعالى ". أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.." [3]

.كما تعتني دار الندوة كل دار يرجع إليها ويجتمع فيها[4].وهو مجلس القوم ماداموا مجتمعين فيه، ونادى الرجل أهله وعشيرته وجمعه أندية ونوادي.

ب- اصطلاحا: هي مؤسسة شعبية أسسها الشعب لأغراض ثقافية ودينية بدون مساعدة الاحتلال، وتولى بنفسه عملية الإشراف عليه[5].

الترقي لغة: تفيد: ترقى به الأمر أي بلغ غايته، وترقى ترقيا أي رقي في الأمر درجة درجة، كان النادي يرقي به الإصلاح شيئا فشيئا[1].

---

[1]– أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص 165.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 1830–1954، ج5، مرجع سابق، ص 315.

[3]– سورة العنكبوت: الآية 29.

[5]– جماعة من العلماء: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، 2000، ص 38.

[5]– رابح تركي: التعليم القومي، مرجع سابق، ص 19.

اصطلاحا: فاسم نادي الترقي فيه نفحة قادمة من المشرق العربي حيث شاعت عبارة الترقي، دليلا على التقدم والحداثة ـ التي روج لها الأوروبيون في عالمنا الإسلامي ـ[2].

تسمية النادي:

أطلق على النادي اسم الترقي وعليه تم تعليق لوحة كبيرة تمتد فوق كامل واجهة الطابق الثاني تحمل اسم "نادي الترقي" ،ويذكرأحمد توفيق المدني في كتابه (حياة كفاح) انه هو صاحب التسمية ،حافظ المؤسسون الأوائل على هيأة النادي باستثناء تماثيل للأجسام عارية تحملها جدرانه قاموا على انتزاعها وأبقوا على بعضها الآخر إلى يومنا هذا وقد غطيت التماثيل بآيات قرآنية.[3]

تأسيس نادي الترقي

تأسس نادي الترقي بالجزائر في سنة 1927 يتكوين من السادة المثقفين الجزائريين تلقى فيه المحاضرات، وتقام فيه الحفلات ويستضيف المثقفين والمفكرين من مختلف جهات الوطن كالشيخ عبد الحميد بن باديس[4].

وإذا كانت العشرينات لم تشهد ظهور نوادي وجمعيات كثيرة فإنها بالمقابل شهدت تأسيس أشهر نادي في تاريخ الجزائر الحديث وهو نادي الترقي.

دور نادي الترقي في محاربة التنصير

حاول علماء نادي الترقي مقاومة التنصير، فجمع إلى جانب ابن باديس والميلي والعقبي جماعة من المسيحيين مثل الكاتب ميسيو بيرني، وجماعة المتدينين اليهود ومنهم الدكتور غزلان، وحاولوا بهذا التجمع لإبراز وحدة الأديان السماوية الثلاثة وإحياء المبادئ

---

[1]– جماعة من العلماء: المنجد في اللغة والأعلام، مرجع سابق، ص 39.

[2]– أحمد مربوش: الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007، ص .11

[3]. الوناس الحواس :النوادي الثقافية في عمالة الوسط ودورها في القضية الجزائرية :نادي الترقي نموذجا 1927 – 1954،أطروحة ماجيستير، تاريخ الجزائر،إشراف أحمد مريوش، المدرسة العليا للأساتذة،الجزائر ،2011،ص73.

[4]– عبد الوهاب بن خليف: الوجيز في تاريخ الجزائر، تقديم سليم قلالة، ط1، دار بني مزغنة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 76.

التي توحد الله جلى وعلى في القرآن والتوراة والإنجيل، وأن الأديان تتفق حول المبادئ والأسس النبيلة فمن الواجب لأن لا يحاول دين منها الإعتداء على الدينين الآخرين، لذا يجب محارية ومقاومة حركة التنصير بين المسلمين، وإن كان هذا التنصير لم ينل منالا من المسلمين، كما زادت المقاومة العنيفة ضد الإلحاد، إلا أنه لم يتم أصلا الاتفاق أثناء المناقشات فتقرر ترك العمل إلى المستقبل[1].

كما عمل النادي من جهة أخرى إلى محاربة هذه الحركات التنصيرية وذلك من خلال المحاضرات والخطب الواعظة لدحض هذه الأفكار، كما عمل النادي على مساعدة الفقراء والمحتاجين والتي كانت نقطة تركيز المنصرين المسلمين، ولعل ما زاد في مثل هذا النشاط الخيري تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية التي لعبت دورا هاما في هذا المجال ولعل ـ مساهمة النادي في دفع القومية الإسلامية من خلال عدة نشاطات ساهم في إبقاء الروح الإسلامية لدى الشعب[2].

دور نادي الترقي في نشر التعليم

لعب دور كبير في نشر التعليم الإسلامي، حيث قام بدور المدرسة أذهل الملاحظين حتى أن أحد الكتاب الفرنسيين قال في بعض مقالاته عن الجزائر في معناه: **"إن ما قامتبه جمعية العلماء _ نادي الترقي يشملها _ في ميدان التعليم وتوحيد الكلمة ونشر الوعي الديني وفي مدة قليلة من السنين عجزت عنه فرنسا في قرن ونصف قرن من الزمن"**[3]كما أنه كان وسيطا بين المدرسة وبين الجامع[4] ،وكان مركزا للدروس الدينية وأحكام الشريعة ولم يكتف بالتعليم ونشره بل أصبح يدرس مشاكله أيضا.

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 116.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، مرجع سابق، ص 416.

[3]–فضلاء محمد الطاهر: دعائم النهضة الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، 1981، ص 31.

[4]– رابح تركي: مرجع سابق، ص 223.

ظهور نادي الترقي

بتبلور الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر وتحمس أعيانها، وبانضمام أحمد توفيق المدني[1] إلى الحركة الوطنية في الجزائر بعد مجيئه إلى الجزائر أثر هام في تغيير ونضج الجزائريين، هؤلاء المصلحين كان لهم دور فعال بالعاصمة مدفوعين بدافع ديني قوي حيث أنشأوا في العشرينات مدارس خاصة لتعليم أبناء المسلمين وقد ختموا جهودهم بإنشاء نادي الترقي في 1927 الذي صادف تأسيسه مرور قرن على الحصار الفرنسي الجزائري 1827م[2].

وهكذا تأسس نادي الترقي في عاصمة الجزائر ليجتمع أغلب رجال الدين[3]، وكان أول محاضر بالنادي هو الشيخ عبد الحميد بن باديس بطلب من مؤسسي النادي أن يلقي محاضرة بالزيارة فلبى الدعوة، ففي يوم 18 جويلية 1927 على الساعة السادسة بعد الزوال عج النادي وقاعاته برجال الفضل على اختلاف طبقاتهم فأخذ الأستاذ عبد الحميد بن باديس في إلقاء المحاضرة التي تدور حول تاريخ النوادي والاجتماع عند الغرب والمسلمين[4].

وبعد افتتاح سلسلة المحاضرات من طرف ابن باديس بقي النادي يشهد محاضرات أسبوعية تتناول الأوضاع الدينية دون التعرض للوضع السياسي، ويعود ذلك حسب رأي الخطيب إلى سببين[5]:

---

[1]– أحمد توفيق المدني: (1899–1984) من مواليد مدينة تونس وهو من عائلة جزائرية، زعيم السياسي قدير درس بالزيتونة، شارك في النضال الوطني بتونس ضمن الحزب الدستوري، له عدة مؤلفات منها كتاب الجزائر 1931، وكتاب هذه في الجزائر، وكتاب حياة كفاح ثلاثة أجزاء عرف بنشاطه السياسي والصحافي. أنظر: جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850–1950، تر:عمر المعراجي، منشورات ANEP، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص 277.

[2]– أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، مرجع سابق، ص 20.

[3]– الطاهر بن عيشة: نادي الترقي والحركة الإصلاحية الشيخ الطيب العقبي والشيخ السعيد الزاهري، جريدة المحقق، السلسلة الثانية، العدد 58 (27 أفريل 2007) ،ص 15.

[4]– محمد العاصمي: أعظم نادي في الجزائر وإن كان بعد مئة عام، الشهاب، المجلد 03، السنة الثالثة، العدد 107، (04 أوت 1927) ص 154.

[5]– هم جماعة: محمد بن ونيش، ماماد المنصالي، عمر الموهوب، الزاوي الحاج، قدور بن مراد التركي، محمد أزميرلي وغيرهم للمزيد أنظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج2، الطبعة العربية، الجزائر، 1971، ص 21.

الأول: أن من أنشأ النادي هم جماعة أعيان أو بورجوازية المدنية وبالتالي فهم لا يريدون الدخول في نزاع مع السلطة.

الثاني: الخوف من انتقام السلطة الفرنسية فتغلق النادي ،وتضيع الجهود المبذولة لإبعاد الشباب الجزائري عن المقاهي والحانات[1].

أهداف نادي الترقي

تعتبر سنة 1927 رمزا من الرموز لنهضة الجزائر، فهي السنة التي أعلن فيها زعماء شمال إفريقيا عن مطلب الاستقلال، وظهر بعدها الحديث عن تأسيس جمعية المصلحين وهي الجمعية التي ستظهر بعد أربع سنوات في صورة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما أنها هي السنة التي ولد فيها نادي الترقي[2] هذا النادي الذي جاء في قانونه الأساسي في الفصل الثالث القمار، والخمر، والمناقشات السياسية كلها ممنوعة في النوادي، وفي هذا الصدد أجاب أحد المؤسسين لنادي الترقي في جريدة الشهاب بمقال تحت عنوان: **"أردناه ناديا وأرادوه مخمرة"**[3] حيث كان يهدف إلى تثقيف المسلمين بثقافة الإسلام ويحارب الآفات الخلقية التي تنشرها السلطة المستعمرة بين المسلمين بكل الوسائل ،لذا أنشأ هؤلاء المصلحين نادي الترقي لتطهير الجرائم في التعصب المذهبي الذي زرعه الاستعمار.

كان نادي الترقي قد نظم بين 1927-1929، حوالي ثلاثين محاضرة بالعربية وعشرة بالفرنسية، بلغ أعضاؤه 270 عضوا، وما يلفت النظر هو ان نادي الترقي كان يشجع الحياة الموجهة لأداء رسالة اجتماعية وذلك عند احتفالاته السنوية[4].

---

[1]- الخطيب أحمد: جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 106.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص 416.

[3]- الشهاب: مج 3، السنة الثالثة، العدد 109 (11 أوت 1927)، ص ،ص 172، 173 .

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954،ج5 ،مرجع سابق، ص .315

كما ساهم النادي من الناحية الأدبية في ظهور الخطبة الإصلاحية، فقد عرف النادي عدة خطب وبالمعنى الذي نقصده هنا وهو استعمال اللغة العربية الفصيحة والإرتجال في الكلام وتناول الموضوعات الإصلاحية، وكان أبرز الخطباء بالنادي: الشيخ الطيب العقبي، والشيخ عبد الحميد بن باديس، وأحمد توفيق المدني.

ثانيا: جمعية العلماء المسلمين:

لقد تمكن بعض الجزائريين على الرغم من معارضة السلطات الإستعمارية من الذهاب الى جامعات العالم العربي قصد التعلم، نظرا لعدم وجود جامعات و مدارس في الجزائر فكانت وجهتهم الزيتونة في تونس ، القرويين في المغرب ، الأزهر في مصر و كذلك المدينة المنورة و بعد عودتهم الى الجزائر عملوا على إنشاء مدارس حرة لتعليم اللغة العربية و تحفيظ القرآن كما عملوا على نشر جرائد تدعوا إلى إصلاح الحياة الدينية بالجزائر، و تحقيق الوحدة العربية و الإسلامية و كنتيجة للشعور بضرورة وحدة العلماء في أعمالهم، كما كان في ذلك مقاصدهم فقد ظهر في سنة 1924 تنظيم سمي " الإخاء العلمي " [1] و الذي كان يهدف إلى توحيد صفوف العلماء المسلمين الجزائريين [2]، على أن الهدف الأسمى لجموع العلماء كان

إنشاء جمعية إسلامية تقوم على إعادة بعث روح التمسك بمبادئ الدين الحنيف ،و لعب عبد الحميد ابن باديس دورا بارزا في الترويج لهذه الفكرة من منطلق تكوينه الديني الا أن الفكرة بقيت مجردأمنية حتى سنة 1931 .

تاسيس الجمعية :

الساعة الثامسة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي الحجة عام 1349 هـ الموافق للخامس من ماي 1931، اجتمع بنادي الترقي بالعاصمة [3]إثنان و سبعون من علماء القطر الجزائري و طلبة العلم فيه من أجل تلبية تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء الجزائر، وهي تأسيس جمعية دينية و قد لبى هذه الدعوى قرابة الخمسون عالما .[4]

---

[1]– الزوبير بن رحال :مرجع سابق،ص.67

[2]– تركي رابح : مرجع سابق،ص39.

[3]– مسعودي الشيخ: أوراق من الذاكرة ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ،الجزائر،2011،ص.30

[4]– أحمد طالب الإبراهيمي:آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1،ط1929،1–1940،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997،ص.71.

حيث يعود الفضل في ظهور الحركة الإصلاحية [1] و ازدهارها في الجزائر إلى تظافر مجموعة من العوامل ذكرها البشير الابراهيمي [2] و هي كالتالي :

أولا : دعوة الشيح محمد عبد إلى الإصلاح و إن كانت قد وجدت لهاأعداء داخل المجتمع الجزائري ، إلاأنها أثارت في نفوس الناس من التطلع إلى ما هو أفضل .

ثانيا : الثورة التعليمية التي أحدثها الأستاذ عبد الحميد ابن باديس بعد عودته من المشرق العربي، حيث سعى إلى ترغيب الناس في التعليم بواسطة الدروس التي كان يقدمها، و التربية الصحيحة التي يأخذ بها تلاميذه ، و الحقيقة أن حركة التعليم في الجزائر التي تعتبر نواة حركة الإصلاح الديني ترتبط بدروس عبد الحميد ابن باديس .

ثالثا : عودة مجموعة من الجزائرين الذين كانوا يتلقون العلم في الحجاز و مصر، و تونس و غيرها بعد الحرب العالمية الاولى 3

[1]– الحركة الإصلاحية : من الناحي اللغوية مشتقة من الفعل أصلح ،وصلح ،وتدل على تغيير حالة الفساد ،أي إزالة الفساد عن الشيء،ويقال هذا يصلح لك،أيوافقك ويحسن بك،ويقال أيضا صالح لكذا ،أي فيه أهلية للقيام به وبصفة عامة الصلاح ضد الفساد ،ومعناه في القرآن الكريم تختلف حسب مقام الآية وحسب التفاسير ونذكر على سبيل المثال الآية 116 من سورة النساء"لاخيرفي كثيرمن نجواهم الا من امربصدقة او معروف اواصلاح بين الناس"والمقصود بالصلاح بين الناس هو ايضا الخير الذي يترتب على إظهاره،أما الإصلاح بالمعنى المقصود في بحثينا فيظهرأنه يدل على يقظة ووعي أغلبية رجال الإصلاح لآنهم كانوا يشعرون بآلام شعوبهم و يدركون الآخطار المحيطة بهم، ويفكرون بعمق في أسباب الداء ووصف الدواء.أنظر:محمد طاهري :مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ،ط2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1992،ص...ص،11....13

[2]– يوسف مناصرية: النشاط الصهيوني في الجزائر1897–1992، دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2013،ص541

[3]– محمد الصالح الصديق ، مرجع سابق ، ص 120

حيث سبق نشأة جمعية العلماء المسلمين مرحلةإعداد روحي، تمثلت في انطلاق موجة من الشبان الجزائريين صوب تونس، و المغرب و الشرق الأدنى بهدف دراسة علوم اللغة و الدين الإسلامي بعد محاربة السلطة الإستعمارية لكل معقل ديني[1].

ولعله من المفيد عند الحديث عن تأسيس الجمعية أن يرجع الباحث بالإضافة إلى وثائق الجمعية كسجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو مانشر في مجلة "الشهاب" وبعض الصحف المعاصرة ،إلى ماكتبه المؤرخون المعاصرون أو غيرهم الذين درسوا تاريخ الجزائر الحديث .[2]

ثم إلى الوثائق الفرنسية التي نقلت عشية الإستقلال من الجزائر ووضعت في الأرشف الوطني الفرنسي لما وراء البحار في مدينة اكس ان بروفانس،والتي أتيحت الفرصة للباحثين للإطلاع عليها.

قانونها الأساسي :

عقدت جمعية العلماء المسلمين جلستها التمهيدية يوم الثلاثاء **(أنظر الملحق رقم 04)** السابع و العشرون ذي الحجة 1349هـ الموافق للخامس من ماي 1931 م، الساعة الثامنة صباحا و عين للرئاسة المؤقتة ابا علي الزواوي و للكتابة محمد الامين العمودي ، و بذلك تم إعداد القانون الأساسي**(أنظر ملحق رقم02)** الذي قرأه كاتب الجلسة، و أقرته الجمعية بالإجماع، و انقضت بذلك الجلسة الأولى ، ليتم إنتخاب الهيئة الإدارية في المساء. و قد تم وضع شرط توفر عدة اعتبارات في المترشحين لعضوية المجلس الإداري، و طبقت طريقة الإقتراع، عرضت بذلك أسماء معينة على الحاضرين أين تم الموافقة عليهم و أصبحوا يشكلون المجلس الإداري،و كانت القائمة المقترحة مكونة من ثلاثة عشر عضوا وانقضت

[1]– عمار عمورة: مرجع سابق ،ص .171

[2]– مازن حامد صلاح مطبقاني: مرجع سابق،ص.55

الجلسة على الساعة الخامسة مساءا، و في هذا الصدد يتساءل مازن حامد صلاح مطبقاني اذا كان بالإمكان وضع قانون الجمعية الأساسي و مناقشته و إقراره خلال جلسة لا تزيد على ثلاث ساعات؟[1] و هل كان هذا القانون معدا و معروفا لدى الجميع أو معظمهم مما سهل هذا الأمر ؟ ليجد الإجابة في قول نائب رئيس الجمعية الشيخ الإبراهيمي الذي جاء كما يلي : " فاعلنا تأسيس الجمعية في شهر ماي بعد أن حضرنا لها قانونا أساسيا مختصرا على قواعد من العلم و الدّين لا تثير شكّا و لا تخيف ".[2]

و لعل قصده أن هذا القانون طبيعي بحيث لا يثير شك و لا خوف الإدارة و لا الطريقين .

كان هناك اختلاف حول من صاغ هذا القانون فالبشير الإبراهيمي قال أنه كلف بصياغته من قبل ابن باديس [3]، و توفيق المدني يقول هو الآخر أنه هو من قام بكتابة هذا القانون إلا أن المتفق عليه أن الهيئة العامة هي التي صادقت عليه ،و هو يضم خمسة أقسام [4]تحتوى على ثلاثة وعشرين فصلا،أشارت فيه الجمعية للأهداف التي تسعى لتحقيقها .

[1]– أبو القاسم سعدالله: الحركة الوطنية ،ج3،مرجع سابق،ص.83

[2]– مازن حامد صلاح مطبقاني: مرجع سابق،ص[2].66

[3]– نبيل أحمد بلاسي: مرجع سابق، ص .60

[4]– أحمد توفيق المدني :حياة كفاح ،ج2، مصدر سابق،ص260.

تشير المصادر التاريخية الى أن الجمعية تشكلت من صفوة علماء الجزائر الذين ينتمون إلى مدرسة التجديد الإسلامي أمثال الطيب العقبي ، عبد الحميد ابن باديس ، البشير الإبراهيمي العربي التبسي .[1]

اتخذت هذه الجمعية على عاتقها مقاومة الإستعمار بواسطة المدرسة الروحية، حيث اتخذت التعليم الديني ستارا لها و تظاهرت بأنها دينية مطلقة لا شأن لها بالسياسة و بهذا استطاعت أن تنتهج طريقها دون مراقبة .[2]

و يذكر البشير الإبراهيمي نائب رئيس الجمعية بهذا الشأن فيقول : لو تأخر ظهور جمعية العلماء المسلمين عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا " .

و ما زاد من إنزعاج المستعمر حركة بناء المدارس التي تربي العقول و الغاية منها إيجاد أمة تعرف كيف تطالب ، و من تطالب ، و لماذا تطالب ؟.[3]كانت الجمعية بمثابة العقد الثمين للجزائر ، حيث لم يمض على إنشائها مدة وجيزة حتى ضربت موجة الإصلاح بها الى أقصى البلاد .[4]

---

[1]– Le reformisme musulmman en algéie 1925 à 1940,assai d'histoire religieuse :Ali Merad et social ,deuxiémeédition ,el hikma alger ,1999pp ,117,118.

[2]– تركي رابح عمامرة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5،منشورات ANEP.55، د .س ن،ص

[3]–عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان :إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الهدى للطباعة والنشروالتوزيع ، د.م.ن، د.س.ن،ص.56

[4]– عبد الرحمن شيبان : من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،جمع وإعداد قسم إحياء تراث الجمعية ،دار المعرفة الجامعية ، الجزائر ،د.س.ن،ص.15

مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

_ الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية النّاس.

_ الإسلام هو دين البشرية

_ القرآن الكريم هو كتاب الإسلام

_ السنة الفعلية و القولية الصحيحة هي تفسير و بيان للقرآن

_ التوحيد أساس الدّين فكل شرك في الإعتقاد أو القول هو باطل مردود على صاحبه .

_ وجوب التكاثف حتى زوال الشدّة بإذن الله ثم بقوة الحق و سلاح العلم و العمل والحكمة و يبدو أن إنشاء و تأسيس الجمعية جاء ردا على الإستفزاز الإستعماري الذي مارسته الجمهورية الفرنسية الثالثة باحتفالاتها [1]، الصاخبة بمناسبة مرور قرن على احتلال الجزائر و كان الرد هادئا كما عكسته لغة " القانون الأساسي " للجمعية بأنها جمعية دينية مسالمة لمحاربة الآفات الإجتماعية التي تنضوي تحتها ضمنا ، محاربة الروح الإستسلامية للإحتلال و تنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة الخالية من الشوائب التي الصقها بها الإستعمار الفرنسي من أدعياء الدّين (من رجال الزوايا) و الأئمة الموظفين لدى الإحتلال و أمثالهم.[2]

[1]– الإحتفالات المئوية: وهي ذكرى مرور قرن على احتلال الجزائر من طرف فرنسا (1830–1930)،خصص لهذا الإحتفال مبلغ مالي ضخم ،حضر له منذ 1927،حضره رئيس الجمهورية الفرنسية شخصيا،باالاضافة الى عدد كبير من رجال الدين المسيحين من مختلف دول العالم وقدر مبلغ هذا الإحتفال ب:7000000 فرنك فرنسي قديم على أن تستمر هذه الإحتفالات من بداية جانفي إلى غاية 5 جويلية 1930،رغم معارضة النواب المسلمين لها .أنظر : عبد الرحمان بن

[2]–إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصره،(الفترة الأولى 1920–1936)،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984،ص،ص 306،305.

[3]– عمار عمورة: مرجع سابق ،ص، ص42، .43

و تذكر بعض مصادر الجمعية أن التفكير في العمل الإصلاحي المنظم يعود إلى بداية القرن العشرين و على وجه التحديد عام 1913 حيث التقى ابن باديس بالإبراهيمي في المدينة المنورة ، و ناقشا ما يمكن عمله اذا ما عادا الى الجزائر للقيام بحركة إصلاحية.[1]

و يذكر نبيل أحمد بلاسي في كتابه: جمعية العلماء و دورها في الحركة الوطنية أنه يجدر بنا أن نتأمل ما جاء في مذكرات أحد رجال الجمعية إذ يذكر فيها أنه في عام 1927 دعا الشيخ عبد الحميد ابن باديس الطلاب العائدين من جامع الزيتونة و المشرق العربي لندوة يدرسون فيها ، الأوضاع السيئة التي آلت إليها الحياة الدينية في الجزائر وما يمكن عمله لإصلاح هذه الأوضاع، و كان من لبى الدعوة البشير الإبراهيمي و العربي بن بلقاسم التبسي و غيرهم .[2] اذ يمكننا القول أن فكرة إنشاء جمعية دينية ليست غريبة على الوعي الإسلامي فهي لا تستند الى التراث الثقافي فحسب ، بل أولا إلى معطيات قرآنية ،هذه الفكرة القرآنية تعززها تعاليم الرّسول صلّى الله عليه و سلم، فالجمعية التي تدعو إليها جموع ابن باديس كانت مجعولة لجمع العلماء و المتعاطفين مع الحركة الإصلاحية دون تمييز إجتماعي أو فكري كما أنه من المفيد أن نضيف بأن الظروف التاريخية و العناصر الخارجية، كانت مناسبة لإنشاء هكذا جمعية دينية إسلامية في الجزائر [3]،تقوم على أساس الإصلاح الديني[4]

---

[1]– نبيل أحمد بلاسي : مرجع سابق ،ص، ص55، 56.

[2]– نفسه،ص.57

[3]– الزبير بن الرحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889–1940، دار الهدى للطباعة والنشر ،الجزائر ،د.س.ن،ص45

[4]– الإصلاح الديني : يتمثل في رؤية العلماء لوجوب البداية في تطهير النفوس من الخرافات والأوهام وإعدادها لتلقي العلوم الصحيحة بحيث أن المبادئ اذا تغلغلت اليمكن نزعها أننظر :علي مراد الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التريخ الديني والإجتماعي (1925–1940)،تر:محمد يحي: طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ، دار الحكمة ،الجزائر ،2007،ص.87

والعلمي[1] ضد سياسة فرنسا الإستعمارية و الفرنسة و التنصير التي أرادت دولة الإحتلال فرضها على الجزائريين .[2]

و قد انبثقت عن الجمعية ثلاث إتجاهات :

- إتجاه إجتماعي : اتخذ العلماء من القرآن الكريم كتاب الإسلام و من السنة المحمدية و من الصحابة و التابعين و أتباع التابعين مثلا أعلى للتعامل في الحياة أما غير ذلك فقد حرموه كما كان لها إتجاه سياسي أيضا[3] .
- إتجاه ديني : هو محور دراستنا فقد كان ينادي بالإسلام الذي اختاره الله لتسعد به البشرية لأنه يدعو الى الأخوة و المساواة و العدل و الإحسان و تحرم كافة أنواع الظلم، و المناداة بجعل الحكم شوري حتى لا يتفرد الحاكم بالحكم . و ذلك استنادا الى الآية الكريمة:
- "وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾"[4] .

و يذكر أبو القاسم سعد الله أن عوامل ظهور هذه الجمعية ماتزال غير مدروسة، وأن معظم الباحثين يستندون إلى المقولة التي تذهب إلى أن الجمعية ظهرت كرد فعل على الإحتفالات المئوية، و يتساءل اذا كان ذلك يكفي ؟و من جهة أخرى يقول:"**إنناإذا عرفنا الظروف الظروف التيظهرت فيها الأحزاب في عهدنا قد نهتدي إلى تفسير الظروف التي ظهرت**

---

[1]– الإصلاح العلمي: يتمثل في تذليل العقبات وتمهيد الطرق ،التف حوله المصلحون إلى الناحية الثانية وهي الإصلاح العلمي ،فدرسوا مسارب الجهل إلى جسم الأمة وكيف تكون محاربتها ففتحوا المدارس وهذبو أساليب التعليم فكانت في الشعب الجزائري نهضة علمية مباركة تضم بين أبنائها لجنة من العلماء والخطباء والكتاب ، لأجل إصلاح الدين والعلم بالجزائر أنشأت جمعية العلماء المسلمين .أنظر: علي مراد :مرجع نفسه ، ص87.

[2]– أحمد الخطيب :جمعية العلماء المسلمين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985، ص92.

[3]_اتجاه سياسي : شاركت الجمعية إلى جانب اعمالها الإسلامية في الكثير من الأعمال السياسية سواءا بصفة مباشرة او غير مباشرة لتحفظ لكل تلك الاعمال السياسية طابعها العربي الإسلامي و لتوجه السياسة توجيها عربيا إسلاميا .أنظر : أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، مصدر سابق ،ص 167

[4]– سورة الشورى : الآية 38

فيها الأحزاب و الجمعيات في العهد الإستعماري، و لكن المطلوب لا يتحقق دائما بالطريقة التي خططت فالرياح أحيانا تجري معاكسة للمطلوب .[1]

حيث اجتمع أربعة علماء من الجمعية قائلين : " **ان العامل القوي لتوحيد الشعب الجزائري هو الدين و أن الغرض من إنشاء الجمعية هو العودة إلى الإسلام الصحيح**" .[2]

وبهذا برزت الجمعية التي كانت مجرد فكرة ،انفق عليها العلماء سنين في التشاور والتخطيط من أجل إخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود في 05 ماي 1931 ،وأمضى علماء الجمعية عي التشاورات أثمرت خطة عمل تقضي بإنشاء مدارس حرة للتعليم العربي ،والتربية الإسلامية ،والعمل على نشر الدعة الإسلامية ،في المساجد كما نادت باستخدام النوادي والجمعيات ،وإنشاء فرق الكشافة الإسلامية.[3] يقول أحمد توفيق المدني أن الجمعية اقتحمت ميدان حرب محفوف بالمزالق والأخطار ،وأول من حاربت كان أنصار الإستعمار ، ثم قاومت وحطمت البدع والضلالات الدينية ،التي استغلها الإستعمار تحت ستار الطرقية،حتى تمكنت من تطهير الدّين وأرجعته لتعاليمه الطاهرة الأولى، ثم أخذت في الحملة التعليمية العربية الإسلامية . فوفقها الله إلى تكوين ذلك الجيل الصالح الذي أخرجته مدارسها ،والذي هو اليوم قوة العروبة في البلاد.

[1]– أبو القاسم سعد الله : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج4 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996 ، ص 143

[2]– نبيل أحمد بلاسي : مرجع سابق ،ص.57

[3]– مازن صلاح حامد مطبقاني:مرجع سابق،ص.57

وسائلها :

عملت جمعية العلماء المسلمين على افتتاح مئات المدارس و إعادة تاهيل الكثير من المساجد بالإضافة الى إصدار العديد من الجرائد الإصلاحية كالبصائر، و ذلك من أجل توعية الشعب و محاربة الآفات الإجتماعية التي ظهرت بالوسط الجزائري، و فيما يلي سنذكر بعض مساجد الجمعية التي كان لها دور كبير و مساهمة عظيمة في تسهيل زرع الفكر الإصلاحي .

مسجد سطيف : فكرة تأسيسه كانت نابعة من علماء المنطقة ليتم افتتاحه في 20 أكتوبر 1931 ، و كان محل دعاية للخير ، تقام فيه الصلوات و يذكر فيه اسم الله ، كان سبب في اجتماع المسلمين بمنطقة سطيف ، كان الهدف من تشييده هو محاربة الآفات الإجتماعية التي ظهرت بالمدينة المتمثلة في القمار و الفجور و الخمر التي تجاوزت حدود المعقول و خربت الأخلاق الصالحة و كادت تغيب ما كان يميّز سكان المنطقة، خاصة عن غيرهم من الأوربيين من حياء و حفاظ على الأعراض . و بذلك فإن الفكرة جاءت لمحاربة مظاهر هذه الأمراض التي من بينها ضعف الوازع الديني في نفوس الأفراد في الجزائ،ر و من ثم تقويتها لاستمالة الجمهور إليها و تسهيل زرع الفكر الإصلاحي ، أقيمت بهذه المساجد محاضرات في أصول الدّين و العبادات و الأحكام و الأخلاق و الدعوة لرفع المظالم عن الدّين الإسلامي .[1]

و قد وضعت له هيأة إسلامية محضة تشرف عليه، و قد حضر البشير الإبراهيمي افتتاح هذا المسجد و ألقى به خطابا ".

الجامع الأخضر بقسنطينة : تم فتح الدروس العلمية الإسلامية بالجامع الأخضر يوم السبت 02 أكتوبر 1933 ، و كان يشرف على عملية التدريس به أعضاء من جمعية العلماء و

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي : مصدر سابق ، ص،ص 91،94 .

تتمحور الدروس التي تلقى به حول تفسير القرآن الكريم ، أحكام التجويد ، الحديث الشريف العقائد الدينية ، الأخلاق الإسلامية... و قد ضم هذا الجامع سنة 1937 ثلاثمائة تلميذ تقريبا منقسمين إلى أربعة مستويات تدرس فيه مختلف المواد كسائر المعاهد الإسلامية الأخرى تقريبا،أما أساتذته فكانوا ستة [1]، من بينهم عبد الحميد ابن باديس . و كان الجامع الأخضر بمثابة معهد يتوافد عليه الطلبة على حد قول الأستاذ عبد الحميد ابن باديس أن هذا الجامع يمثل خطوة في تأسيس كلية علمية للعلوم الإسلامية و ما هؤلاء الطلبة إلا نواة لذلك المشروع العظيم .[2]

مسجد عين مليلة : قام الشيخ عبد الحميد ابن باديس سنة 1935 بشراء مسجد عين مليلة الذي كان معرضا للخطر و استمرت معاملات الشراء شهرين كاملين ،و قد كتب هذا المسجد باسمه و جعله لإلقاء الخطب، و الوعظ و الإرشاد و أداء الصلاة وحث على فتح مكتب للصبيان و تعليم الدّين و العربية، و طلب من المسؤولين اذا بلغ عدد التلاميذ أربعون أن يبلغوه كي يجعل لهم معلما .[3]

و بذلك تمكنت الجمعية من تقوية تمسك سكان المنطقة بالدين الإسلامي و من ثم حثهم على الإبتعاد على كل المنكرات و ما يفسد عقيدتهم .

أما المدارس فقد أسس رواد جمعية العلماء المدارس الإصلاحية في كل مدن و قرى الجزائر لما تتميز به المدرسة من بعث النهضة و إيقاظ الأمة، و حفظ اللغة من تدخلات الإدارة

---

[1]– عبد المجيد جرش الجزائري : حركة التعليم في هذه السنة ،الجامع الأخضر ، مجلة البصائر ، العدد 2 ، السنة 2 ، المطبعة الجزائرية ،(25 جوان 1937) ، ص .01

[2]–عبد الحميد ابن باديس : الدروس العلمية في الجامع الأخضر بقسنطينة ، مجلة الشهاب ، مج 10 ، ج7 ، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة ،(13 جويلية 1934) ، ص 392،

[3]– الفتى القبائلي: رحلات جمعية العلماء لعمالة قسنطينة ، مجلة البصائر ،العدد 16،السنة 1،المطبعة الجزائرية (24 أفريل 1936) ، ص .08

الفرنسية و مشرفيها .[1] . وفي هذا الشأن قال أبو القاسم سعد الله : " **المدرسة كانت للتربية و التعليم و تخريج إطارات الثقافة العربية الإسلامية** "[2]

و كما يعتبرها الشيخ البشير الإبراهيمي[3] جنة على حد قوله : " **المدرسة جنّة الدنيا و كل شعب لا تبنى له مدرسة تبنى له السجون** " .[4]

من بين مدارس جمعية العلماء نذكر : " **مدرسة الإيخاء تاسست في 3 جوان 1931**، عمّ إشعاعها منطقة الزيبان كلها و غيرها ، كان المشرف على التعلم بها كل من الشيخ محمد الطرابلسي الميزابي و الشيخ محمد خير الدين و الشيخ عمر البسكري....، و كان يعقد خارج أوقات الدراسة إجتماعات لسماع دروس الوعظ و الإرشاد و إيقاظ الوعي، و تهذيب الشباب يتداول عليها الأستاذان محمد خير الدين و عمر البسكري .[5]

أما بالنسبة للتسمية التي سميت بها هذه المدرسة فهي جاءت تعبيرا عن الأخوة الصحيحة التي ربطها بها الإسلام من تضامن بين أبناء المتعلمين .

---

[1]– العربي الزبيري : تاريخ الجزائر ، ج1 ، مرجع سابق ، ص197.

2– أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية ، ج3 ، مرجع سابق ، ص[3]90

[3]– ذكر البشير الإبراهيمي سنة 1951 في تقريره السنوي المقدم إلى إجتماع الجمعية المنعقد في أكتوبر من نفس السنة أن عدد مدارس الجمعية وصل إلى 125 ،باستثناء المدارس التي عطلت من طرف الإدارة الفرنسية ، وباعتبار أن قاعدة الجمعية كلنت عمالة قسنطينة فقد أسست الجمعية العديد من المدارس بلغت سنة 1938 خمسة وثمانون (85) مدرسة أنظر: العربي الزبيري :تاريخ الجزائر المعاصر ،ج1، مرجع سابق، ص.197

[4]– عمار بن قينة : المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات والنتائج،مرجع سابق ،ص.43

[5]– محمد الحسين فضلاء: المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر ، القطاع القسنطيني ، ج1 ، دار الأمة ، د م ن ، 1999،ص 112.

مدرسة الفتح بسطيف : خصصت للتعليم الإبتدائي و كانت تعلم بها اللغة العربية و كان هدف هذه المدرسة هو نشر الإسلام الصحيح و إعداد جيل لمحاربة الإستعمار .[1]

مدرسة تهذيب البنين بتبسة: جاءت فكرة إنشاءها من طرف الشيخ العربي التبسي و كانت هذه المدرسة في البداية عبارة عن محل يباع فيه التبغ ليتبرع به صاحبه أحد مصلحي المنطقة ليتحول بذلك هذا المحل إلى شبه أقسام يدرس بها مؤقتا إلى حين تأسيس المدرسة . و أطلق على هذا المشروع مدرسة تهذيب البنين، و أدار المدرسة حينها الأستاذ الصديق سعدي ليتم سنة 1934 بناء المدرسة، و جعل بها ستة أقسام ومن معلميها البارزين محمد الشبوكي ، عبد الحفيظ بدري ، و العربي التبسي الذي كان يتولى تدريس الآدب العربي فيها و إلقائه الدروس على الشباب و الكهول، و الشيوخ و في البداية كانت المدرسة تدرس البنين فقط لتضاف لهم البنات و كانت أولهن إبنة الشيخ العربي التبسي .[2]

و بذلك يمكن القول أن هدف الجمعية من بناء المدارس العربية هو الدفاع عن الشخصية

الجزائرية وأصالتها و عروبتها وتجنيبها منطغيان اللّغة الأعجمية عليها ، وهذا يدل على

أن مدارسها ما كانت إلا ثورة ثقافية دينية، سواء في الشرق نظرا لتطرقنا لأهم مدارس الجمعية في الشرق الجزائري أو في باقي القطر الجزائري، وقد ذكر البشير الإبراهيمي أن مدارس الجمعية كلها بنيت بهندسة واحدة تقريبا . كما لا يسعنا ان ننشئ مدرسة التربية و التعليم بقسنطينة و المدرسة الاسلامية بالجزائر و مدرسة الحديث بتلمسان [3]

[1]– علي مرحوم : مدرسة الفتح بسطيف، مجلة البصائر ، العدد 231،السنة 6، المطبعة العربية ، الجزائر، (29ماي 1953)، ص.52

[2]– محمد حسين فضلاء : المسيرة الرائدة ، ج1 ، مرجع سابق ، ص، ص 78 ، 79.

[3]– عمار بن قنية : المشكلة الثقافية في الجزائري ، التفاعلات و النتائج ، مرجع سابق، ص.43

الصحف :

سعت الجمعية إلى إبلاغ و إيجاد من يؤيدها في تحقيق أهدافها فعملت على جلب الطبقة المثقفة لتوسيع قاعدتها و استعملت في ذلك الإعلام لأنه يعتبر الوسيلة الأساسية في تثقيف المواطن و تكوين الرأي العام، فكانت الصحف و الجرائد التي تصدرها ناطقة باللغة العربية سعيا منها لتكسير الحاجز الذي وضعته السياسة الفرنسية المتمثلة في اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، و كانت معظم الصحف الصادرة باللغة العربية تتعرض للمضايقة و الرقابة المشددة من طرف الإدارة الفرنسية .[1]

و يقول أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن : " **الصحافة كانت تنشر المبادئ و الأهداف و الدعوة الى اليقظة و الدفاع عن الجمعية ضد خصومها من الإدارة الفرنسية** " .[2]

و من صحف الجمعية نذكر : جريدة السنّة النبوية المحمدية ،كانت تصدر كل أسبوع باسم جمعية العلماء و يشرف عليها عبد الحميد ابن باديس و سنعرض تفاصيل أكثر حول هذه الجرائد في الفصول اللاحقة .

جريدة الشريعة المحمّدية : هي الأخرى كانت أسبوعية تصدر بلسان حال جمعية العلماء.[3] بالإضافة إلى جريدة الصراط السوي التي كانت هي الأخرى تصدر بلسان حال جمعية العلماء يرأسها عبد الحميد ابن باديس .[4]

و يمكن القول أن جرائد الجمعية لم يكتب لها الإستمرار حيث تم تعطيل جريدة السنّة بعد ثلاثة أشهر فقط من تاريخ صدورها، لتصدر الجمعية جريدة الشريعة لتعطل هي الأخرى من

---

[1]– العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصر ، ج1 ، مرجع سابق ، ص .203

[2]– أبو القاسم سعد الله : ج3 ، مرجع سابق ، ص 90

[3]– عبد المالك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830–1962،ج2، دار هومه ،الجزائر ،2006، ص.231

[4]– عبد الحميد بن باديس :لسان الشباب الناهض بالقطر الجزائري،ج1، دار المعرفة ،د.م.ن، ص10.

طرف السلطة الإستعمارية فأصدرت مرة أخرى الجمعية جريدة الصراط ، و هذه الصحف الثلاث كان مقرها في قسنطينة لتوزع بعدها على باقي مناطق القطر الجزائري ،وعلى العموم فإن الصحف التي أصدرتها الجمعية السنّة ، الشريعة ، الصراط كانت تهاجم الطرقية و الرذائل الإجتماعية، وقد قال ابن باديس في شأن إضطهاد جرائد الجمعية : " **إن هذه الصحف لقيت من ناحية الإدارة الفرنسية البغض و التنكيل و الإضطهاد فسقطت الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ، و تقرر بعدها منع الجمعية من إصدار أي صحيفة أخرى ...لتأذن لها الإدارة الفرنسية بعد مدة بإصدار جريدة فكانت بذلك جريدة البصائر** " . [1] بالإضافة الى جريدة الشّهاب أيضا.

أهم اهدافها :

كتب الكثير من الؤرخين عن أهداف جمعية العلماء المسلمين فبعضهم يلخصها في التعليم العربي و محاربة الخرافات و تصفية الإسلام مما علق به من الشوائب خلال القرون الماضية، و بعضهم ربطها بالنشاط السياسي و معاداة الإستعمار و بفكرة تكوين الدولة الجزائرية .[2]

بينما نظر آخرون إلى العلماء على أنهم مجموعة من أنصاف المثقفين عادوا إلى الجزائر من الخارج يحملون معهم مذاهب هدامة و قد لخص أحد أعضاء الجمعية سنة 1935 أهدافها فيما يلي :

_ إحياء الإسلام بإحياء القرآن و السنّة و إحياء اللغة العربية و آدابها، و إحياء التاريخ الإسلامي و آثار قادته .

و بذلك يمكننا أن نجمل أهم أهداف هذه الجمعية في النقاط الاتية :

[1]– محمد الحسين فضلاء :المقدمة ،مجلة البصائرعدد1، ،السنة 1 ،المطبعة العربية ،الجزائر(3 ديسمبر 1983)،ص.80

[2]– أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية ، ج3 ، مرجع سابق ، ص.86

_ كانت الجمعية تهدف إلى تربية النشيء وفق التعاليم الإسلامية مستلهمة ذلك من أفكار المصلح الشيخ محمد عبده .

_ تطهير العقيدة الإسلامية من البدع و الضلالات التي أحدثها رجال الطرقية في دين الإسلام .

_ محاربة الجهل و الآفات الإجتماعية كالميسر و الخمر و كا ما يحرمه الشرع و ذلك بالرجوع إلى السلف الصالح .

_ إحياء اللغة العربية التي كانت مهددة في عقر دارها .

_ تقوية الشعور بالشخصية الوطنية..[1]

_ المطالبة باسترجاع المساجد المحولة الى كنائس و تحرير الأوقاف المسيطر عليها من طرف الإستعمار الفرنسي .[2]

_ محاربة سياسة التنصير و التبشير المسلطة على الشعب الجزائري .

و يبدو أن للجمعية أهدافبعيدة تتمثل في أهم عمل سياسي قامت به وهو ترويحها لفكرة الأمة الجزائرية، و الدفاع عن أصالتها و الوقوف ضد التجنيس و الإندماج في الوسط الفرنسي.[3]

و الحقيقة فإن الجمعية لم تقصر عملها على ما سطرته في قانونها الأساسي فقط ، بل خاضت في المسائل السياسية كذلك،[4] لأن الظروف المحيطة بها و بالوطن الجزائري أنذاك

---

[1]– عبد الرحمان شيبان : من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، مرجع سابق ، ص، ص .15،16.

[2]– محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصر ، ج1 ، مرجع سابق ، ص.250

[3]– ناجي عبد النور : البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية الجزائرية ، د.م.ن، د.س.ن، ص36.

[4]– عمر بن قيتة : في الأدب العربي الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1995،ص57.

قد فرضت ذلك و شعورا منها بالمسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقها كجمعية رائدة تخوض صراعا حضاريا مع إستعمار غاشم، الذي كان يهدف إلى مسح الشخصية الجزائرية و طمس معاليمها .[1] و دخلت الجمعية معترك السياسة بشكل بشكل صريح منذ مشاركتها في المؤتمر الإسلامي سنة 1936 الذي تجمعت فيه معظم القوى الوطنية و السياسية ما عدا حزب نجم شمال إفريقيا ، الأمر الذي جعل خصومها من رجال الطرق ينتقدونها إنتقادا لاذعا[2] ، و قد برر احمد مريوش مشاركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المؤتمر الإسلامي بما يلي : " **الظاهر أن وجود العلماء في المؤتمر قد استدعته الظروف بل لعله كان لزاما عليهم أن يساهموا بالقدر الكافي في تحقيق التوازن داخل المؤتمر ، لأنهم يمثلون الفئة الأعظم من الأمة، و لذلك لابد عليهم أن يتقدموا هم كذلك بمطالبهم التي تركزت أساسا في الحفاظ على الذاتية و الهوية الجزائرية** .[3]

و لذلك يمكن القول بأن جمعية العلماء المسلمين برزت قوتها ككتلة سياسية متماسكة في سنة 1936 و خاصة منذ أن قام عبد الحميد ابن باديس يوم 03 جانفي 1936 بدعوة جميع المسلمين في الجزائر إلى مناقشة القانون السياسي للمسلمين الجزائريين ، كضرورة ، و

الخروج بخطة مشتركة حول الموضوع لكن هذه الفكرة لم تظهر بصفة ملموسة إلا يوم نجاح لجبهة الشعبية في فرنسا في إنتخابات 3 ماي 1936، و تشكيل حكومة يسارية في 04 جوان 1936 .[4]

---

[1]– كمال عجّالي : مساهمة جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على الهوية الوطنين 16،ديسمبر 2001،جامعة منتوري،قسنطينة، الجزائر ،2010،ص .104

[2]– محمود قاسم:الإمام عبد الحميد بن باديس،الزعيم الروحي للحرب الجزائرية،دار المعارف ،مصر 1986،ص29

[3]– أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، مرجع سابق،ص196.

[4]– عمار بوحوش :مرجع سابق ، ص...ص،258...261

و من جهة لأخرى قامت الجمعية بتدعيم موقفها إعلاميا و ذلك عن طريق إصدارها لجريدة البصائر في شهر فيفري 1936، فعن طريق هذا المولود الإعلامي الجديد تمكنت الجمعية من نشر أفكارها التحريرية و تبليغ رسالتها السياسية و الإعلامية إلى جميع الجزائريين و خاصة المقيمين بالخارج،إلاّ الحدث الكبير في تاريخ الجمعية يبقى يوم 15 ماي 1936 حين دعا العميد عبد الحميد ابن باديس الدكتور بن جلول زعيم فيدرالية المنتخبين المسلمين إلى عقد مؤتمر إسلامي و مناقشة الإصلاحات السياسية في الجزائر ، و بذلك يمكن القول باختصار أن الجمعية قد تحولت الى حزب سياسي هدفها هو خلق " **جبهة إسلامية**" و بطبيعة الحال ، فإن إنغماسها في السياسة سوف يترتب عنه إنشقاق في صفوفها، لأن نسبة كبيرة من أعضائها كانوا يفضلون عدم التحالف مع " **فيدرالية المنتخبين المسلمين** " الموالية لفرنسا، و الداعية للحصول على الجنسية الفرنسية مقابل التخلي عن الهوية الإسلامية للجزائريين ، و كيفما كان الحال فقد انعقد المؤتمر الإسلامي[1] يوم 07 جوان 1936

بالجزائر العاصمة [2]، كما ذكرنا سابقا ، و خرج المؤتمرون ببرنامج سياسي موحد – مثلما كانت ترغب جمعية العلماء –**(أنظر ملحق رقم 03)** حيث كان من بين ما استخلص من توصيات المؤتمر الإسلامي ان كل فريق استطاع إدراج النقاط التي يراها أساسية و جزء من برنامجه السياسي. لكن إبتداءا من شهر جويلية 1936 بدأت جمعية العلماء تعاني من المشاكل التي نجمت عن تزعمها للمؤتمر الإسلامي، و قد بدأت المؤامرة يوم 18 جويلية 1936 أي يوم تكمن الحاكم العام للجزائر من أن يضغط على مفتي الجزائر العاصمة أنذاك (الذي يطلق عليهاسم كحول) لكي يصدر فتوى يقول فيها بأن أعضاء المؤتمر

---

[1] – Miuhamed Guenaneche: Le movement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939) ,traduit par: Sid Ahmed Bouli ,entreprise nationale du livre ,Alger ,1990,p70.

[2] –Guenanech Mouhamed et Kaddache Mahfoud: Le partie du peuple Algérien(1937-1939) ,Documents et T émoign nages ,ed O.P.U ,Alger ,1985 ,p11

.

الإسلامي لا يمثلون السكان المسلمين الجزائريين[1]، و بأنهم عبارة عن أقلية من المهجرين الذين يريدون إثارة الفوضى في البلاد و نستعرض أهم نقاط هذا الحدث في الفصول الآتية[2]

و مما لا شك فيه أن الجمعية قد شاركت إلى جانب أعمالها الإسلامية العربية في أكثر الأعمال السياسية سواءا بصفة مباشرة أو غير مباشرة، لتحفظ لكل تلك الأعمال السياسية طابعها العربي الإسلامي و لتوجه السياسة توجيها عربيا إسلاميا [3]، و يتجلى ذلك في مشاركتها في المؤتمر الإسلامي الذي كانت أهم مبادئه :

_ الأمة هي مصدر كل سلطة و هي التي تعين و تعزل الحكام و تحاسبهم

_ الأمة هي التي تضع القانون عن طريق أهل الحل و العقد

و بذلك انتشرت أفكار جمعية العلماء بشكل سريع ولافت للنظر بفضل ما بذلته من جهود من أجل المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية، و التمسك بالهوية الوطنية التي حاربها الإستعمار باساليبه المختلفة بدعوى التحضر و المدنية التي جاء لينشرها، و قد انصبت دعوى رجال الإصلاح من خلال الجمعية على الرجوع إلى مناهج الدّين الإسلامي واقتفاء آثر السنة الشريفة، و القضاء على الخرافات و البدع التي انتشرت بين رجال معظم الطرق الصوفية و ساعد على توسعها الإستعمار و قد الحوا على ضرورة توحيد المبادئ الدّينية بين المواطنين و العمل على نشر المدارس و الصحف و النوادي و الجمعيات الدينية [4]. و تم ذلك عن طريق جمعية العلماء التي تلخصت مبادئها في " **الجزائر وطننا ، العربية لغتنا ،الإسلام ديننا** " و تجنيدها لمجموعة من الوسائل المتمثلة في : المدرسة ، المعلم ، الخطيب ، المحاضر ، الواعظ ، الشاعر، و كل من كانت تتوسم فيهم الإخلاص للذين و الوطن

[1]– André Nouschi: La Naissance du Nationalisme Algérien éd,Minuit ,Paris ,P86.

[2]– عمار بوحوش : مرجع سابق ، ص،ص 260،261.

[3]– أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، مرجع سابق ، ص.167

[4]– كمال عجالي : مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطني مرجع سابق ،ص106.

حفاظا على كيانه من التلاشي و الذوبان أمام ضربان القوى الإستعمارية المصممة على ضربه في العمق، و بذلك حققت الجمعية الجهاد الكبير بما كانت تنشره من مبادئ الدّين الإسلامي و الوطنية الحقة التي تعيد للفرد الجزائري توازنه و تعرفه بمقوماته و تعيدهلمنابع الإسلام الصافية التي سار عليها السلف الصالح بفضل رجالها الذين بذلوا الغالي و النفيس فكانوا بحق سدا منيعا حفظ للجزائر كيانها و تسلمت لها بفضلهم شخصيتها و هويتها الإسلامية .

و مما سبق نستنتج أن سياسة التسلط الفرنسية على المؤسسات الدينية الجزائرية قد أتت على الأخضر و اليابس التي تجلت في خطر الروح الصليبية من أجل إنزال راية الإسلام و إعلان التحدي، بغلق مؤسسات التعليم العربي و مصادرة الأوقاف و نشر البدع في الأوساط الشعبية و تشجيع الخرافات و نفي الأئمة و إغراء آخرين حتى يصبحوا أداة في يدها فالإستراتيجية الإستعمارية كانت حملة شرسة، مما استوجب تجنيد كافة أبناء الشعب الجزائري للوقوف ضد هذه الحملة و خصوصا من قبل الطبقة المثقفة و ذلك من خلال الإلتحاق بالمؤسسات التعليمية الفرنسية التي تدرس اللغة الفرنسية ،حتى يكون العداء نحو اللغة كالعداء نحو أصحاب اللغة و كذا التفطن للغزو المارد و الزاحف المتمثل في التنصير و التمسيح و توعية الشعب من خطر حملة المستعمر الصليبية و تجنيد الأئمة و المصلحين لتحصين الجزائريين بالعقيدة الإسلامية و السعي إلى تشجيع و تمويل مؤسسات التعليم العربي ، و مساعدة رجال العلم و الإصلاح في تنشيط الحركة الفكرية في الجزائر و الإلتفاف حول العلماء حتى يلقوا الدعم الشعبي، و مساعدتهم في محاربة البدع و الحرافات و السلوكات المنحرفة .

الفصل الثاني : دور رواد الإصلاح في مواجهة السياسة الفرنسية في توجيه الخطاب الديني بالجزائر

المبحث الأول : عبد الحميد ابن باديس

المبحث الثاني :الطيب العقبي

المبحث الثالث :محمد البشير الإبراهيمي

المبحث الأول : عبد الحميد ابن باديس

مولده و نشأته:

ولد رائد النهضة و الحركة الوطنية عبد الحميد ابن باديس يوم 04 ديسمبر 1889 الموافق ل 11 ربيع الثاني 1307هـ بقسنطينة ، كان الولد الأكبر لوالديه، من حملة القرآن الكريم [1]، نشأ في وسط عائلة شهيرة من الشرفاء ، كان جده المكي ابن باديس قاضيا و أول مستشار عام يعين في قسنطينة ،و تقلد الوسام على يد نابليون الثالث شخصيا و كان يدعى للإستشارة في الجزائر و في باريس ، أما والده مصطفى بن المكي [2] فكان مندوبا ماليا ، و عضوا في المجلس الأعلى [3]. عرف والده بالحفاظ على شعائر الدّين و الغيرة عليه و والدته كانت أمنيتها أن يصير عالما من العلماء المسلمين .[4]

تعلمه:

كانت الدروس الأولى التي تلقاها ابن باديس في حفظ القرآن الكريم على يد الششيخ محمد المداسي فأتمّ حفظه وهو في الثالثة عشر من عمره ،و لمّا أبدى نجابة و ذكاء مميزين قدمه أستاذه إلى لإمامة الناس في صلاة التراويح لمدة ثلاث سنوات ،و ذلك في الجامع الكبير

[1] - عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2 ، مؤسسة نويهض التعاقدية ، بيروت ، لبنان ، 1990م ، ص 28.

[2] - أندري ديرليك : عبد الحميد ابن باديس مفكر الإصلاح و زعيم القومية الجزائرية (1889-1940) ، تر: مازن صلاح مطبقاني ، عالم الافكار ، الجزائر ، 2013 ، ص 137.

[3] - شارل روبير أجيرون : تاريخ الجزائر المعاصرة ، (من انتفاضة 1871 الى اندلاع حرب التحرير 1954) ، تر: محمد حمداوي إبراهيم ،مج2، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص 514.

[4] - أحمد محمود الجرار: الإمام المجدد عبد الحميد ابن باديس والتصوف ، ط 1 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 15.

بقسنطينة،وبعد حفظه للقرآن الكريم انتقل ابن باديس للدراسة على يد الشيخ حمدان لونيسي ، حيث تلقى على يده علوم الفقه والحديث .[1]

قبل أن ينتقل إلى الزيتونة بتونس 1908م لاستكمال دراسته ، و بالرغم من هذا التكوين العربي المحض الذي تكونه فإنه كان يعرف اللغة الفرنسية و يقرأها و لكنه كان يدعي جهلها، و لا يكلم الفرنسيين إلا عن طريق مترجم .[2] ومع العلم أنه يتردد أبدا على المدرسة الفرنسية .

و الحقيقة أن ابن باديس قد تخرج من المعهد الزيتوني بثقافة عربية إسلامية تقليدية كما هو معروف، و تاقت نفسه عقب انتهائه من الدراسة بتونس إلى زيارة الشرق فعقد رحلة طويلة إلى البقاع المقدسة لآداء فريضة الحج ،و إلى مصر ليطّلع على سير العلم فيها و يقارن بين الطريقة الزيتونية و الطريقة الأزهرية في تدريس العلوم الإسلامية [3]،أتاحت له هذه الرحلة الإجتماع في المدينة المنورة بصديقه و رفيقه في الجهاد و بعد ذلك الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي .[4]

شخصيته و عوامل تكوينها :

لابن باديس شخصية فذة تكونت من عناصر معينة في الجزائر من تاريخ و دين و قومية و لغة و عظمة و ما يتصل بها من تقاليد و تراث ضخم ، شخصية يفرضها بقوة جاذبيتها

[1] - مازن صلاح حامد مطبقاني: عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي ، بني مزغنّة، الجزائر ،2015، ص،ص31،30.

[2] - شارل روبير أجيرون : تاريخ الجزائر المعاصر(من انتفاضة 1871 الى اندلاع حرب التحرير 1954) ، مصدر سابق ، ص 514.

[3] - باعزيز بن عمر :من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد ابن باديس و محمد البشير الإبراهيمي ، ط2 ، منشورات الخبر ، الجزائر ، 2008 ، ص33.

[4] - بوبكر حداد: شخصيات وطنية ،الزيتونة للإعلام والنشر، الجزائر ، دت ، ص16.

على الأقارب و الأباعد من الجزائريين و غيرهم و لم يؤثر فقط بمن كان قريب منه كالطلبة و الرفاق في الإصلاح و النضال بل على النخبة المتخرجة من المدارس الفرنسية رغم الخلاف الموجود في التكوين و الإتجاه و الطرق التي يسيرون عليها .[1]

يذكر شارل روبير أجيرون في مؤلفه تاريخ الجزائر المعاصرة " **أن شخصية عبد الحميد كانت من طراز الشخصيات النبوية ، زاهدا و ذا نظر ثاقب كما كان يجيد تلاوة القرآن كما كان مصلحا دينيا و سياسيا**" .[2] و نذر ابن باديس في سبيل عقيدته إخلاصا لا يضاهي ، كما كان كاتبا بارعا .[3] و كانت مزاياه الخلقية و فضائله الفكرية عاملا جعله بسرعة محط أنظار إخوانه في الدين و اهتمامهم .

هذا فيما يخص شخصيته باختصار أما عوامل تكوينها فيمكن إدراجها في النقاط التالية : و التي أشار ابن باديس إليها في خطاب ألقاه بمناسبة ختم القرآن و قد نشر في مجلة الشهاب (الخاص بالختم) المجلد 14 يونيو- يوليو(جوان – جويلية) 1938 ذكر فيه العامل الأول و هو والده [4] الذي رباه تربية دينية خلقية فاضلة و وجهه وجهة صالحة في الحياة و اختار له طريق العلم ، يقول ابن باديس مصورا هذا العامل في تكوينه : " **إن الفضل يرجع أولا غلى والدي الذي ربّاني تربية فاضلة و وجهني وجهة صالحة ، و رضي لي العلم طريقة أتبعها**"[5] أما العامل الثاني فيتمثل في أساتذته و توجيههم الذي تعدى حد

---

[1] - باعزيز عمر : مصدر سابق ، ص30.

[2] - شارل روبير أجيرون : تاريخ الجزائر المعاصرة (من انتفاضة 1871 الى اندلاع حرب التحرير 1954 ، مصدر سابق ، ص 515 .

[3] - محمد الصالح الصديق : شخصيات و مواقف ، دار البدر للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ،ص،ص 2010 ، 250.

[4] - محمد حسن فضلاء :الشذرات، من مواقف الإمام عبد الحميد ابن باديس ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2010 ، ص 57.

[5] - رابح تركي عمامرة : الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة ، ط2 ، دار موفم للنشر ، الجزائر ، 2009 ، ص45.

التعليم و التثقيف إلى التربية و التهذيب و التوجه السديد . و بالنسبة للعوامل الأخرى فتمثلت في مؤازرة زملائه له في جمعية العلماء المسلمين أمثال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، الطيب العقبي ، العربي بن بلقاسم التبسي ... إضافة إلى تجاوب الشعب الجزائري له ، و أخيرا تاثره بالقرآن الكريم اذ وهب له الجزء الأكبر من حياته [1] بتعليمه و تفسيره للناس و شرح سنة الرّسول صلى الله عليه و سلم وفقا لطريقة متميزة .[2]

أعماله و اثاره:

قام ابن باديس بافتتاح مدرسة بالمسجد الأخضر بقسنطينة [3] سنة 1912 و ذلك بعد انتهاء دراسته سنة 1911 ،و في سنة 1925 شرع في نشر" المنتقد" الجريدة المستقلة العاملة من سبيل سعادة الشعب الجزائري بمساعدة فرنسا ،[4] لم يكن يخفي مبادئه وهي الحق فوق كل أحد و الوطن قبل كل شيئ ،[5] و تعرضت المنتقد بسبب انتقاده بها للسياسة الفرنسية إلى المنع من الصدور في عددها الثامن عشر .

كما كان من أبرز الشخصيات التي حاضرت بنادي الترقي ،و الذي تعاقب على منبر الخطابة به العديد من الشخصيات و من مختلف التوجهات و التيارات الخاصة دعاة الإصلاح المؤسسون الأوائل لجمعية العلماء المسلمين . حيث كانت معظم الدروس و

[1] - رابح تركي عمامرة : الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة،مرجع سابق ،ص...ص ،46...52.

[2] - عشيراتي سليمان: ابن باديس من برزخية القول إلى حضور الفعل ملامسة لفقه سياسة الإصلاح السياسية ،ج2،دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر ،2014،ص...ص، 18...23.

[3] - مسعود بشير : مصدر سابق ، ص 31.

[4] - عبد الحميد ابن باديس : الشهاب ، مج 13 ، ج7 ،(سبتمبر 1927) ، ص 304.

[5]- الوناس الحواس : مرجع سابق ، ص، ص 153،152.

الخطب العامة التي ألقاها في نهاية العشرينات في مختلف الموضوعات الإجتماعية الدينية في هذا النادي .

و يبدو أن الشيخ عبد الحميد ابن باديس يمثل حقا الزعيم الخطيب فهو قد ملك مقاليد الكلام الذي ينزل في القلوب سكينة السلام .[1] يرى ابن باديس أن الجهاد الأكبر موضوعه النفس و وسيلته القرآن و غايته صنع الفرد المؤمن و تخريج المسلم صحيح عقيدته .[2]

و الحقيقة ؛أنه حارب رواسب عصور الإنحطاط ، و حاربه في هذا الميدان الجامدون و المتحجرون و لكن عبد الحميد لم تضعف له عزيمة و في ميدان الدين حارب عبد الحميد العلماء لتزييفهم لتعاليم الإسلامية السمحة و عاب على العلماء إسرافهم في ملاحظة أدق تفاصيل العبادات و افتراضاتهم الوهمية التي يضيع العمر في تحديدها و تحليلها .

وفي ميدان الأخلاق هبّ عبد الحميد ابن باديس لغحياء القيم الأخلاقية المرتبطة بتقوى الله تعالى و نفع الإنسانية ، و رسم خطة قويمة للأمّة تسير عليها في حياتها لتعود إليها شخصيتها المتميزة المتأهلة لحمل رسالة الحياة .[3]

و من جهة أخرى قام عبد الحميد ابن باديس بالتدريس و الوعظ و الكتابة ظلت إهتماماته مركزة على إحياء مجتمعه، على الرغم من أن إهتماماته كانت تتراوح بين المربي و والهيج السياسي حيث كان يدرس أحيانا و يعظ أحيانا، و يدعو للإصلاح الإجتماعي و السياسي في أوقات أخرى .[4]

---

[1] - محمد الحسن فضلاء: الشذرات ،من مواقف عبد الحميد ابن باديس ، مرجع سابق ، ص 19.

[2] - عشراتي سليمان : ابن باديس مخاضات العبور إلى العدوة الأخرى قراءة في تفاصيل المسيرة نحو خط النار ، ج1 ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، 2005 ، ص 75.

[3] - محمد الصالح الصديق : مرجع سابق ، ص 247.

[4]- اندريه ديرليك : مرجع سابق ، ص 167.

و هو أيضا خبير بمذهب مالك ابن أنس متفقه على غيره من أصحاب المذاهب ، يقرأ التفاسير ثم يجعل من عقله مصفاة لها، فلا يخرج منها إلاّ ما صحّ و نفع . و عمل ابن باديس على إرسال طلابه إلى الأزهر الشريف و إلى جامعة الزيتونة فعادوا علماء عاملين في خدمة أبناء الجزائر كلها .[1]

و لعل من أبرز أعماله إتمامه تفسير القرآن الكريم ، كما عمل على تنقية الدين من البدع و الخرافات و الأباطيل، و حمل على البدع حملة شعواء لم تاخذه في الحق لومة لائم حتى عاد للدين صفاؤه و نقائه و أعاد لأبناء الجزائر هويتهم الوطنية العربية الإسلامية ، و هو صحفي وقور هادئ رزين يختار الموضوع و يحدد المشكلة و يصف الدواء [2]و يهتم بمصالح المسلمين في جميع أنحاء الجزائر .[3]

و كان قوي في الحق و لم يطق الإستعمار ذلك فعطّل كل صحيفة و بقيت الشهاب طويلا حتى الحرب العالمية الثانية ،و لمّا اندلعت الحرب فرضت الرقابة على ابن باديس و منع من مغادرة مدينة قسنطينة . ومن أبرز مؤلفاته نذكر :

1 _ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير

2 _ من الهدي النبوي

3 _ رجال السلف و نساؤه

4 _ عقيدة التوحيد من القرآن و السنة

[1] - محمد بهى الدين سالم : مرجع سابق،ص، ص 36،37.

[2] - عمار طالبي : ابن باديس حياته و آثاره ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، 1983 ، ص 88.

[3] - فضيل عبد القادر : محمد الصلاح رمضان : إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2010 ، ص 46.

5 _ أحسن القصص

6 _ رسالة في الأصول

7 _ مجموعة كبيرة من المقالات السياسية و الإجتماعية

8 _ مجموعة خطب و فتاوى .[1]

و تشير المصادر التاريخية الى أن عبد الحميد ابن باديس عند عودته من الزيتونة إلى الجزائر شرع بالتعليم التربوي فأسس سنة 1926 مدرسة بمسجد سيدي بومعزة بقسنطينة كما – ذكرنا سابقا و أطلق عليها اسم المكتب العربي، و غايته في ذلك تعليم الأطفال الذين بلغوا سن التعليم و لم يتمكنوا من الدخول للمدارس، أو الذين يزاولون تعليمهم في المدارس الفرنسية لكنهم بحاجة لتعلم لغتهم و دينهم ، لينقل هذه المدرسة سنة 1930 إلى بناية الجمعية الخيرية تصديا لسياسة الفرنسية الإستعمارية .[2]

كما عمل في هذه الفترة على تأسيس جمعية دينية في سنة 1924 ليكتب لهذه الفكرة النجاح سنة 1931 بتاسيس جمعية العلماء و يعين رئيسا لها إلى غاية وفاته .[3]

و كان يأمل ان يصلح ما أفسده الدهر و المستعمر الفرنسي ، قال عنه البشير الإبراهيمي : "**أنه كان كالشمس لجميع الناس** " . أما شارل أندري جوليان فقال عنه أنه: " **كان أقوى شخصية إسلامية** "

[1] - محمد بهى الدين سالم : مرجع سابق ، ص 38.

[2] - عبد القادر فضيل : محمد الصلاح ، رمضان ، مرجع سابق ، ص ، ص 42،43.

[3] - الزبير بن رحال : مرجع سابق ، ص 67.

و يبدو أن عبد الحميد ابن باديس كان قد إستفاد من نصيحة والده : " **يا عبد الحميد أنا أكفيك أمر الدنيا ، أنفق عليك ، و أقوم بكل أمورك ما طلبت شيئا إلا لبيت طلبك كلمح البصر، فاكفني أمر الأخوة ، كن الولد لصالح العالم الذي ألقى به وجه الله .**"[1]

و كان كما أراد له والده عالما صالحا مفيدا للجميع مرجعا بل مصدرا للعلم و العمل و الاجتهاد ،و مثال للصبر و التحدي لبلوغ الغاية سواء كانت من أجل العلم أو من أجل الصبر على قيود الإدارة الاستعمارية، لتكلل جهوده بأن قامت نخبة من طلبته و طلبة مدارسه بالنهوض بالجزائر، و إرجاعها إلى الحظيرة العربية الإسلامية و الوقوف ضد سياسة التسلط الإستعماري .

نشاطه الدعوي الإصلاحي ضد سياسة فرنسا :

لا يمكن الفصل – عمليا – بين جوانب شخصية الشيخ عبد الحميد ابن باديس لاعتبارات عديدة ذلك أن شخصيته ثرية الأبعاد و تتحرك على عدة مستويات ، فهو المربي و المعلم و الكاتب و الخطيب و الداعية و المصلح و بالتالي لا تنفصل شخصية الدعوية الإصلاحية عي شخصيته التربوية أو التعليمية .[2]

و لذلك يمكن القول أن الشيخ عبد الحميد ابن باديس عمل بشتى الطرق مع مجموعة من علماء الجزائر للتصدي لمخططات الإستعمارية ضد الشعب الجزائري الأعزل وتمثلت أهمها فيمايلي:

_ محاولة إيقاف حركة التبشير و التنصير المستمرة بين الجزائريين التي تستغل ظروفهم الصعبة لتنصيرهم أو لتحويلهم عن دينهم الإسلامي .

[1] - بسام العسلي : عبد الحميد ابن باديس و بناؤه قاعدة الثورة الجزائرية ، دار الرائد ، الجزائر، 2010 ، ص 95.

[2]- أحمد عيساوي : أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر ، ج1 ، مؤسسة البلاغ للنشر و الدراسات و الأبحاث ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، ، الجزائر ، 2013 ، ص 158

_ محاربة فساد الطرق الصوفية و نشرها و ترويجها للبدع و الخرافات و الأوهام و الأباطيل و تواطئها البشع مع الإدارة الإستعمارية لاستغفال الشعب الجزائري .

_ إيقاف زحف الفرنسية و انقاذ اللغة العربية المحاربة من قبل المستعمر .

_ مقاومة سياسة التنصير و التشويه التي تمارسها السلطات الإستعمارية تجاه قيم و دين الشعب الجزائري .[1]

_ الإعداد الصحيح لبناء الفرد الجزائري العربي المسلم الواعي و المتسلح بدينه و قيمه و لغته .[2]

و الحق أن عبد الحميد ابن باديس راح يحارب آفات الإستعمار المهلكة ،و يوقد نار الوطنية في الصدور بخطبه الملتهبة و مقالاته التي كانت تنتشر في الشهاب و المنتقد و غيرها .[3]

إسهاماته الصحفية :

كان ابن باديس يرى بأن حلقات الدرس في الجامع لا تكفي لتحقيق ما يطمح إليه من تغيير و ما يصبو إليه من تجديد . لذلك أسس منذ 2 جويلية 1925 صحيفة " المنتقد " التي كان عنوانها وحده عبارة عن برنامج كامل، فقد أرادها لتحطيم عالم قديم عالم كانت تهيمن عليه الزوايا و الطرق الصوفية شعارها " **اعتقد و لا اعتقد** " فكان ابن باديس أراد أن يقول من خلال اختيار هذا العنوان أن إخلاصنا الحقيقي هو في القضاء على هذا الشعار و في انتهاج النقد لكل ما هو قائم .[4]

---

[1]- نفسه ، ص، ص 159 ، 160.

[2] - عبد الكريم بوصفصاف : الفكر العربي الحديث المعاصر ، محمد عبده و عبد الحميد ابن باديس ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 231.

[3] - محمد الصالح الصديق : مرجع سابق ، ص ، ص 247 ، 248.

[4] - محمد الميلي : ابن باديس و عروبة الجزائر ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007،ص12.

أوقفت هذه الصحيفة من قبل الغدارة الإستعمارية بعد عددها الثامن عشر .[1] و من بين المساهمين فيها المؤرخ مبارك الميلي ، الذي نشر مقالا بعنوان " **العقل الجزائري في خطر** " و هناكمساهم آخر هو الطيب العقبي الذي نظم شعرا بعنوان " **الى الدين الخالص** " .[2]

و بعد منع المنتقد من الصدور أنشا ابن باديس الشهاب (1926-1939) .

فعلى الرغم من الطابع الديني الذي يوحي به هذا العنوان فإنه يعبر[3] من جهة أخرى على الطموح إلى إضرام النار، نظرا لما في الشهاب من معاني النار و الضوء .[4]ثم جريدة الصراط و هي جريدة أسبوعية صدرت بتاريخ 1934 يديرها عبد الحميد ابن باديس أوقفت هي الأخرى من طرف الإدارة الفرنسية ، بالإضافة الى جريدة " السنة النبوية " التي صدر العدد الأول منها سنة 1932 و توقف صدورها في 1933 .

أما الشريعة المحمدية صدر العدد الأول منها يوم الإثنين 24 ربيع الاول 1352هـ يرأس تحريرها الأستاذان الطيب العقبي و السعيد الزهراوي كسابقتها " السنة النبوية " .[5]

كما أنشا أيضا جريدة البصائر الأسبوعية التي كان عددها الأول في 27 ديسمبر 1935 استمر صدورها حتى قيام الحرب العالمية الثانية ن أوقفت الجمعية صحفها و كذلك

[1] - سعيد بورنان : نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا (1936- 1956) ، تقديم : محمد الصالح صديق ، دار هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2001 ، ص 61

[2] - يحي بو عزيز : موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، مرجع سابق ، ص725.

[3] - سعيد بورنان ، مرجع سابق ، ص 61.

[4] - محمد الميلي ، مرجع سابق ، ص 12.

[5] - فضيل عبد القادر : محمد الصالح رمضان ، مرجع سابق ، ص 46.

إجتماعاتها في الإجتماع الذي قررت فيه السكوت وقت الحرب، كما قررت أيضا رفض طلب فرنسا من الجمعية أن تعلن باسمها و تكتب في صحافتها تصريحات و مقالات ضد دول المحور ألمانيا و إيطاليا .[1]

وفاة ابن باديس:

بعد أن اثمرت دعوة ابن باديس في الجزائر و المغرب العربي ، و أتت أكلها بموت ميتة الأبطال المجاهدين المصلحين بين كتبه و تلاميذه في 16 من أفريل عام 1940 م، عن عمر يناهز 51 عاما ،[2] و ذكراه باقية خالدة بقاء و خلود التعاليم الصالحة في المجتمع الصالح و كتب على قبره ما يلي : " **الله أكبر ، هنا يرقد العلامة الجليل الأستاذ الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة العربية في الجزائر و زعيمها المقدام ، توفي مساء الثلاثاء 8 ربيع الأول – 16 أفريل سنة 1940 رحمه الله و رضيعنه** " .[3] و قد حامت حول وفاته الكثير من الشكوك ، فالبعض يرجعها إلى إصابته بداء السرطان الذي أصيب بهالأمعاء و البعض يؤولها إلى مرض سل العظام ، و مع هذا كله فان– **إقامته قبل وفاته كانت محددة من طرف الإدارة الإستعمارية في مدينة قسنطينة ليس له أن يبرحها إلى غيرها من نواحي البلاد** – مما جعل وفاته غير طبيعية في هذه الظروف الحياتية الصعبة و الشاقة ،وافى الأجل الإمام عبد الحميد ابن باديس مساء 16 أفريل 1940 كما ذكرنا ، و شيعت جنازته في موكب جنائزي و يوم مشهود ، يذكر عبد الرشيد –زروق " **أن المشيعون له خمسون ألف أو يزيدون** " و قد رثاه الشاعر محمد العيد ال خليفة بقصيدة

[1] - محمد الميلي : مرجع سابق ، ص 13.

[2] - عمارة عمورة : مرجع سابق ، ص 172.

[3] - محمد بهي سالم : مرجع سابق ، ص 39.

إرتجلها عندما وقف لأول مرة على قبره نقشت فيما بعد على رخامه ، و علقت على ضريحه و مما جاء فيها :

يا قبر طبت و طاب فيك عبير هل أنت بالضيف العزيز خبير ؟

هذا ابن باديس الإمام المرتضى عبد الحميد إلى حماك يصير

العالم الفذ الذي لعلومه صيت بأطراف البلاد كبير

بعث الجزائر بعد طول سباتها فالشعب فيها بالحياة بصير

إلى أن يقول :

نم هادئا فالشعب بعدك راشد يختط بنهجك في الهدى و يسير

لا تخشى طبيعة ما تركت لنا سدى فالوارثون لما تركت كثير .[1]

و يذكر الشيخ عبد الحميد ابن باديس في العدد الأول من جريدة " المنتقد " : **إننا قوم مسلمون جزائريون في نطاق مستعمرات الجمهورية الفرنسية لأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو الى كل كمال إنساني ،و نحرص على المحافظة أهم مقومات قوميتنا و أعظم أسباب سعادتنا و هنائنا** " .[2]

و حقيقة كان كذلك الإمام عبد الحميد ابن باديس طوال فترة حياته و جهاده ،عاش من أجل إحياء أمة و بعثها إلى الوجود لتحيا حياة حرة كريمة ، و بالرغم أنه لم يكن من دعاة الإستقلال جهرا لظروف و أسباب معينة إلا أنه كان بالطبع من المتحمسين لها ، و في نفس

[1] - عبد الرشيد زروقة : جهاد ابن باديس ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر (1913- 1940) ، ط2 ، دار الشهاب ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص ... ص ،103...105.

[2] - مسعود جباري : الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، رسالة ماجستير ، إشراف: محمد دراجي ، جامعة الجزائر ، 2002 ، ص 49.

الوقت يدرك أيضا أن الطريق طويل و صعب و أن تحرير البلاد لا يأتي إلا بالعمل على – بعث مقومات الشخصية الجزائرية من سباتها و لكنه كان على يقين بأن الجزائر ستنال يوما ما إستقلالها . قائلا في هذا الشأن: " **ليس من العسير بل أنه من الممكن ان يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي و تتغير فيه السياسة الإستعمارية عامة و تصبح البلاد الجزائرية مستقلة** " .

و بهذه الحياة الحافلة بالجهاد و المواقف الكريمة و الشجاعة يبقى الشيخ عبد الحميد ابن باديس و رفاقه في الإصلاح قوة تحرك ، رابطة تجمع ، نورا يهدي ، عطرا ينعش و برهانا قويا على أن الإيمان و الشجاعة يصنعان التاريخ و يحطمان أقوى الأعداء و يصنعان تحد لطغيان الإستعمار .

المبحث الثاني : الطيب العقبي

مولده و نشاته :

ولد الطيب العقبي في ليلة 15 جانفي 1890 و هو الطفل البكر لأبيه و قد تزامن مولده مع نهاية العقد الذي ولد فيه الإبراهيمي و ابن باديس ،و أمضى العقبي جزءا من طفولته الأولى في مسقط رأسه [1] سيدي عقبة .[2]

عوامل تكوين شخصيته :

تظافرت عوامل عديدة في تكوين شخصيته سؤاء منها الوراثية او المكتسبة منها :

التربية الأسرية : لقد ترعرع العقبي و نشأ وسط أسرة متواضعة الجاه ، عرفت بالورع و التقوى و قد أورثت تلك الصفات الحميدة لابنها فكانت أمه تقية متدينة محبة للعلم فلقنت ابنها تلك الخصال الحميدة ،و برغم رعاية الأمومة التي حظي بها العقبي منذ صباه فإنه لم يكن على إقتناع تام بدور أبويه في تربيته و قد فضل الإعتراف بفضل الله على فضل الوالدين و أشار إلى ذلك بقوله : " **أدبني ربي فاحسن تأديبي ... و لولا فضل الله عليّ و عنايته بي صغيرا يتيما لما كنت هديت سواء السبيل** " .

البيئة الاجتماعية : مما لا شك فيه أن مرحلة صبا العقبي كانت أقرب إلى البدواة منها إلى الحضارة وقد تركت تلك المرحلة بصماتها على نفس العقبي ، إذ كانت البيئة شبه صحراوية عربية إسلامية حافظت على أصالتها و لم تتاثر بالحضارات الغربية الدخيلة و لعل ما

[1] - أحمد مريوش : مرجع سابق ، ص 28.

[2]- سيدي عقبة: إحدى دوائر ولاية بسكرة اليوم بها استشهد الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري و دفن بالمنطقة و بني على ضريحه مسجد ما يزال قائما الى اليوم، و سميت البلدة نسبة إلى هذا الفاتح العظيم الذي كان له الفضل في إدخال إلى شمال إفريقيا . أنظر : أحمد مريوش : مرجع نفسه ، ص 28.

يميزها أيضا إحتواؤها على المآثر الإسلامية ، اذ بها ضريح الصحابي الجليل عقبة ابن نافع الذي يمثل رمز الإسلام .[1]

هجرة العائلة إلى الحجاز : و ذلك لم يكن جديدا على العائلات الجزائرية في ظل الإستعمار فرارا من بطشه، و عدم الخضوع لقوانينه المتعسفة و القهر الديني الذي أصاب المسلم الجزائري في عقيدته الإسلامية ، كان العقبي أصغر أفراد العائلة المهاجرة سنا . استخدمت عائلة العقبي العامل الديني المتمثل في زيارة البقاع المقدسة قصد الحصول على رخصة الخروج من الإدارة الفرنسية .[2]

تعلمه :

إذا كانت التربية هي عملية تعديل السلوك فإن التعلم هو اكتساب المعرفة و العقبي نشأ وسط بيئة علمية ثقافية ، اذ أدخلته عائلته منذ استقرارها بالحجاز الى الكتاتيب القرآنية لاستكمال حفظ القرآن الكريم الذي حرم منه في الجزائر .[3] و في المدينة المنورة حفظ العقبي القرآن الكريم على أيدي معلمين مصريين ، و لم يقتصر العقبي على القرآن ، بل درس العلوم الدينية و تعلم فن التجويد و أتقنه و أصبح من المرموقين ، و قد مكنه رصيده الثقافي من متابعة دراسته الشريعة و العلوم الإسلامية ، و في استجواب للعقبي أجراه معه أحد الفرنسيين الذي طرح عليه عدة إستفسارات تدور حول العوامل التي أثرت في تكوينه الشخصي و تحصيله العلمي ، و كان رد العقبي أن هناك ثلاث مناطق [4] هامة أثرت في

[1] - نفسه ، ص28.

[2] - كمال عجّالي : آثار الطيب العقبي ، جامعة باتنة ، 2004 ، ص 02.

[3] - أحمد مريوش : مرجع سابق ، ص 34.

[4] - نفسه ، ص 35.

حياته و هي : مكة المكرمة ، المدينة المنورة و الحجاز و ما أخذه من علمائها ، كما درس على يد شيخه حمدان لونيسي و أخذ عنه العلم و الأخلاق .

و شاءت الأقدار أن يتعلم على يدي أستاذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، كما تعلم الإبراهيمي على يدي أستاذ العقبي بالمدينة المنورة (زيدان الشنقيطي).[1] و لعل جامع الدين هو ما أهل العلماء الثلاثة لخوض مسيرة إصلاحية مشتركة في أرض الجزائر مع مطلع العشرينات ، اقترب العقبي من رجال تيار الجامعة الإسلامية و رواد النهضة العربية .[2] و تعتبر دراسة العقبي النظامية في المعاهد محدودة إذا ما قورنت بدراسة بعض أقرانه من رجال الإصلاح أمثال ابن باديس و الإبراهيمي و العربي التبسي و غيرهم . فالعقبي بالإضافة إلى قسوة ظروفه الإجتماعية عاش أشبه بالسائح لكثرة ترحاله .[3]

أعماله الإصلاحية:

كان الطيب العقبي من أهم أعضاء نادي الترقي ، الذي جعله قلعة للفكر و الذكر حيث أصبح هذا النادي سوق الجرائد ، عرف به الطيب العقبي كخطيب حيث ارتبط اسمه بهذا النادي إرتباطا وثيقا، و أصبح اسمه مقرونا به كما كان يمثله نقطة إرتكاز و هو الشحنة المعبئة التي لا تنفذ طاقتها لأنها تستمد قوتها من إرادة الله و بفضل محاضراته و دروسه عرفت الأمة الجزائرية وجها جديدا في ظلمة الجمهورية الفرنسية الإستدمارية .[4]

---

[1] - محمد عبد الله زيدان الشنقيطي : أديب لغوي و شاعر ولد في شنقيط بموريطانيا أقام في مصر ثم رحل الى مكة المكرمة و اتصل بأميرها " عبد الله " فأكرمه و انتدبته الحكومة العثمانية أيام السطان عبد الحميد الثاني للسفر إلى إسبانيا و الإطلاع على ما فيها من المخطوطات العربية، ثم رجع إلى المدينة المنورة و منها إلى مصر و اتصل بمحمد عبده ، توفي بالقاهرة سنة 1904،عن عمر يناهز 90 سنة ،وله مؤلفات هامة أهمها: النّية الكاملة،المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية .أنظر أحمد مريوش، مرجع سابق ،ص36.

[2] - كمال عجال : مرجع سابق ، ص 03.

[3] - يحي جلال : تاريخ المغرب الكبير ، ج4 ، دار النهضة العربية ، 1981 ، ص 212.

[4] - محمد الطاهر فضلاء : الطيب العقبي رائد الإصلاح الديني في الجزائر ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007، ص54.

و يبدو أن العقبي بدأ حركته الإصلاحية بنادي الترقي ، إذ عمره بعلمه و إرشاده و خطبه التي عالج فيها الإصلاح الديني حيث إستطاع بفضلها أن يجلب تلك العصابات الخارجة عن الشرع .[1] كما جعل العقبي النادي ملتقى الجمع لمناقشة القضايا الدينية حول مستقبل الامة .[2] و الظاهر أن مهمة العقبي في النادي لم تكن يسيرة فقد كانت عبارة عن إمتحان عسير له في حياته الإصلاحية ، لأن العقبي تربى في مناخ خال مالعجمةاللسانية على خلاف ما وجد عليه المجتمع العاصمي .[3] شرع العقبي في دعوته الإصلاحية بعد أن رأى الحال التي وصلت إليها الحياة الدينية في الجزائر ولاقى العتاب من أتباع الطرقية ، لكنه تصدى لهم بالقلم و الخطبة ، كتب في الصحف مثل جريدة صدى الصحراء 1926، المنتقد والشّهاب لصاحبها ابن باديس،ثم انشأ لنفسه جريدة الإصلاح سنة 1927 م .[4] استدعي كخطيب و محاضرا كما ذكرنا في نادي الترقي سنة 1930 م .

و تشير المصادر إلى أن الطيب العقبي عندما أنشئت جمعية العلماء المسلمين في 5 ماي 1931 شارك فيها، و أصبح رقما مهما في هيئتها ، إذ عين هو من العلماء الثلاث الكبار ، و إثر إنعقاد المؤتمر الإسلامي في الجزائر العاصمة في صائفة 1936 م ، شارك العقبي في الوفد الذي سافر إلى باريس لتقديم المطالب الجزائرية ، و عند عودته أتهم باغتيال المفتي كحول و بعد محنة عسيرة خرج العقبي بريئا من هذه التهمة ،و في سنة 1929 في الثامن من شهر ديسمبر أعاد إصدار جريدة الإصلاح مرة ثانية .[5]

---

[1]- أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي ،مرجع سابق ، ص، ص130،13.

[2] - رابح تركي : مرجع سابق ، ص 222.

[3] - أحمد مريوش : مرجع سابق ، ص 129.

[4] - أحمد مريوش : الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، رسالة ماجستير ، إشراف: أبو القاسم سعد الله ، معهد التاريخ بوزريعة ، جامعة الجزائر ، 1991-1992 ، ص ،ص 44،43.

[5] - كمال عجّالي : مرجع سابق ، ص 05.

هذه الجريدة التي تعد من أبرز جرائد الإصلاح الدينية التي وجهت عناية خاصة لإصلاح العقيدة و تطهيرها من الشوائب التي علقت بها من طرف المستعمر .[1]

هذا من جهة ، و من جهة أخرى قام العقبي بمحاربة البدع و الخرافات أشد محاربة ، فكان أعنف رجل في الجمعية واجه ظاهرة الشعوذة و الخرافة و البدعة و استهدف بذلك إسترجاع قيم الدين الإسلامي، و مبادئه و تنقية العقيدة من الضلالات لأن ذلك أساس كل عمل دعوي إسلامي كما شنّ حملة قوية على رجال الزوايا و الطرق الصوفية المتعاقدين مع الإدارة الإستعمارية الضّالة و أهل الشرك العاملين على تنويم الفكر الجزائري ،و إبعاده عن دينه الصحيح .[2] و قد نظم العقبي في هذا الشأن الكثير من القصائد منها قصيدته المشهورة " **إلى الّدين الخالص**"،و كانت قد صدرت في جريدة المنتقد باعتبارها ؛أول جريدة عبر فيها الشيخ عن روحه المتاججة في الإصلاح الديني .[3]

نادي الطيب العقبي بضرورة قيام نهضة عربية إسلامية جزائرية بعيدة عن الخرافات و التبشير و التنصير التي تسعى الإدارة الإستعمارية لغرسها بالمجتمع الجزائري الذي لا حول له و لا قوة آنذاك و التمسك بتعاليم الإسلام الصحيحة إنطلاقا من القرآن الكريم و السنة النبوية، من أجل التصدي و الوقوف بوجه سياسة فرنسا الرامية لطمس الهوية الوطنية و تحطيم جدارها الحامي و هو الدين الإسلامي و القضاء على معالمه ، و العقبي ليس العالم الوحيد الجزائري الذي نادى بضرورة التوعية الشعبية بمخاطر السياسة الفرنسية و مؤامراتها المحاكة ضد العقيدة الإسلامية .

[1] - قوادري زهرة : القضايا العربية الإسلامية من خلال جريدة الإصلاح للشيخ الطيب العقبي (1927-1948)، رسالة ماجستير ، إشراف أحمد مريوش ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ، الجزائر ، 2008-2009 ، ص 50.

[2] - قوادري زهرة : مرجع سابق ، ص 50.

[3] - نفسه ، ص 54.

وفاتـــــــــــه:

استمر الطيب العقبي في نهجه الجديد حتى سنة 1948 حين توقفت جريدة (الإصلاح) ثم بدأ الرجل في الخلود إلى بيته و ناديه بسبب بوادر مرض السكري عليه ، و في سنة 1950 إعتمر ،و عند عودته أصبح ملازما لبيته أكثر من ذي قبل لتفاقم المرض عليه ، و لمّا اندلعت الثورة كان المرض قد أنهكه جدا ، و تعرض كغيره لمداهمات الجنود الفرنسيين مرات عديدة دون إحترام سنّه و لا مرضه ، وافاه الأجل في 21 ماي 1960 .[1]

المبحث الثالث : محمد البشير الإبراهيمي

مولده و نشاته :

ولد البشير الإبراهيمي بقرية رأس الوادي بناحية سطيف بالشرق الجزائري في 14 جوان 1889 . [2] و في الحقيقة أنه هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد مكان ولادته ، فبعزيز بن عمر مثلا يذكر في مؤلفه عن ذكرياتي مع الإمامين عبد الحميد ابن باديس و البشير الإبراهيمي أنه ولد بقرية سيدي إبراهيم [3]،في حين نجد شارل روبير أجيرون يذكر أنه ولد ببجاية [4] ، و الرأي الأرجح هو رأي أحمد طالب الإبراهيمي كونه ابنه ، اسمه الكامل محمد البشير بن محمد السعيد طالب الإبراهيمي من أسرة علم و تقوى درس الكثير من أجداده في الأزهر الشريف .5

---

[1]- كمال عجال : مرجع سابق ، ص 04.

[2] - أحمد طالب الإبراهيمي : مصدر سابق ، ص09.

[3] - باعزيز بن عمر : مصدر سابق ، ص 100.

[4] - شارل روبير أجيرون : تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 الى اندلاع حرب التحرير 1954 ، مصدر سابق ، ص 515.

[5]- البشير الإبراهيمي ، مصدر سابق ، ص 40.

كان يتمتع بذاكرة قوية سمحت له بحفظ القرآن في سن مبكرة [1](التاسعة) على يد والده [2] حسبنا يذكر بوبكر حداد ، أما أحمد طالب الإبراهيمي فيقول: أنه قد أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمي الشيخ المكي الإبراهيمي ،[3] الذي اكتشف مواهبه المبكرة ، و هذا ما يؤكده بوعلام بلقاسمي .

تعلمه:

حفظ الطفل البشير الإبراهيمي على يد عمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي القرآن الكريم و عند بلوغه سن الرابعة عشر (14) توفي عمه الأستاذ فاضطر الشاب الإبراهيمي إلى أخذ مكانه في التدريس [4] ، عندما بلغ العشرين من عمره هرب الى خارج البلاد كي لا يطبق عليه قانون التجنيد الاجباري الاستعماري سنة 1912 ذهب الى مصر بقي بها لاثة اشهر ثم التحق بابيه المقيم بالمدينة المنورة و الذي هرب من القمع الاستعماري عام 1908 ، واصل تعلمه بالمدينة و هناك تعرف بالشيخ عبد الحميد ابن باديس عام 1913 .[5] و كان للقران الكريم اثر كبير على حياة البشير الإبراهيمي خاصة و على نثره الفني أيضا .[6]

[1] - بوعلام بلقاسمي و آخرون : موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ، د. م. ن ، 2007 ، ص 79

[2] - بوبكر حداد : مرجع سابق ، ص 18.

[3] - أحمد طالب الإبراهيمي : مرجع سابق ، ص 09.

[4] - نفسه، ص45.

[5] - بوعلام بلقاسمي : مرجع سابق ، ص ، ص 79،80.

[6] - محمد ناصر : تاريخ الجزائر و أعلامها ، مج 2 ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2015 ، ص 07.

أعماله الاسلامية:

تشير المصادر التاريخية إلى أن البشير الإبراهيمي شد الرحال الى دمشق رفقة 80 ألفا من سكان المدينة المنورة سنة 1917 ،حيث أصبح الشيخ الإبراهيمي يلقي الدروس في الجامع الآموي في دمشق [1] و اشتغل كذلك أستاذا في المدرسة السلطانية بها فدرس على يديه الكثير من الأدباء و العلماء و الفلاسفة ، و في نهاية الحرب العالمية الأولى في عام 1918 عرض عليه الأمير فيصل منصب إدارة المعارف و التعليم في المدينة المنورة إلّا أنه رفض ذلك، لأنه كان يستعد للعودة إلى وطنه و تنفيذ خطة تحريره التي وضعها مع الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس فعاد إلى أرض الوطن عام 1920.[2]

ساهم البشير الإبراهيمي المفكر و المصلح [3] في إنشاء جمعية العلماء المسلمين و ذلك بالتنسيق مع الشيخ عبد الحميد ابن باديس من أجل الحفاظ على الإسلام النقي الذي يهدده الإستعمار و تم الإعلان عن ميلاد تيار ديني متمثل في جمعية العلماء في 05 ماي 1931 بنادي الترقي بالعاصمة ، شرع الشيخ الإبراهيمي في نشر الفكرة الوطنية و الإصلاحية في المنطقة ، فكان يجوب المداشر و القرى و المدن ليخطب في الشعب و يوعيه، وقام بإنشاء الكثير من المساجد الحرة و النوادي و المدارس في مختلف المناطق الجزائرية أهمها : دار الحديث بتلمسان التي كان يلقي بها أكثر من عشر دروس يوميا فبدأ الشعب يكتشف حقيقة دينه الذي يرفض الظلم و الهوان و الشعوذة و الجهل .[4]

نفيه :

[1] - أحمد طالب الإبراهيمي : مصدر سابق ، ص 42.

[2] - بشير بلاح : تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989 ، دار المعرفة ، الجزائر ، ص 14.

[3] - عمر بن قينة : صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام و قضايا و مواقف) ، كولوريوم ، الجزائر ،د.س.ن، ص 209.

[4] - بشير بلاح : مرجع سابق ، ص 100.

في عام 1939 عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية طلبت السلطات الفرنسية من الشيخ عبد الحميد ابن باديس إصدار بيان تاييد للحكومة الفرنسية إلا انه رفض أن يدخل نفسه في حرب بين الدول الإستعمارية ،فوضعته تحت الإقامة الجبرية في قسنطينة ، ثم اتصلت بنائبه البشير الإبراهيمي و عرضت عليه الطلب نفسه إلا أنه رفض ذلك رفضا كليا ، فقال له الحاكم العام الفرنسي بتلمسان أحضر حقيبتك و ودع أهلك فرد عليه الإبراهيمي قد فعلت ذلك لأنه كان يعلم ما سيطلبه منه ، و بأن مصيره النفي، فنفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في 10 أفريل 1940 إلى منطقة آفلو التابعة لولاية الأغواط و بعد أسبوع من نفيه تلقى نبأ وفاة أخيه الشيخ عبد الحميد ابن باديس، و بعد أيام وصله خبر إنتخابه كرئيس لجمعية العلماء المسلمين خلفا لعبد الحميد ابن باديس ،و بقي 3 سنوات بآفلوا يسير أمور الجمعية بطرق سرية فأنشا فروعا لها بالأغواط قضى وقته بالمنفى في المطالعة و الكتابة ألّفأرجوزة شعرية تتألف من 3600 بيت تناول فيها تاريخ الجزائر و قيم و تقاليد شعبها، و كشف فيها ألاعيب وحيل الإستعمار ضد المجتمع الجزائري كما ألّف أيضا" **رواية الثلاثة**" و هي أيضا عبارة عن مسرحية شعرية من 877 بيت .[1] و الواقع أنه بعد ثلاثة سنوات من النفي عاد الإبراهيمي إلى مدينة تلمسان ثم انتقل إلى العاصمة لتسيير شؤون الجمعية ، كان يقضى أوقاته في الكتابة و إلقاء الخطب و الدروس ،استغلّ انشغال فرنسا بالحرب لينجز أكبر عدد ممكن من المدارس و المساجد و تكوين الرجال لأنه كان يعلم انه بعد نهاية الحرب ستعود الإدارة الإستعمارية لعرقلة أعمال الإصلاح كما كانت تفعل من قبل [2] انتقل الشيخ الإبراهيمي إلى جوار ربه يوم 20 ماي 1965 [3] .

[1] - أحمد طالب الإبراهيمي ،:مصدر سابق ، ص 100.

[2] - عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين و علاقتها بالحركة الوطنية ، رسالة دكتوراه ، معهد التاريخ ، جامعة قسنطينة ، 1983 ، ص 33.

[3] - بوعلام بلقاسمي : مرجع سابق ، ص 82.

هذه الإنجازات تحسب و تضاف لأعمال الرائد المصلح الجزائري الإبراهيمي في خدمة الدين الإسلامي ،و الدفاع عن العقيدة و الهوية الوطنية إلى جانب الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس و الشيخ الطيب العقبي، هؤلاء الرواد الذين لعبوا دورا كبيرا في حركة الإصلاح الديني في الجزائر و التي كانت لبنة هامة في بناء قيم إسلامية حقيقية تقوم على الكتاب و السنّة حيث ربطت مطالبهم الشاملة و الجامعة بين البعد التربوي و الغصلاحي كما خاطبت العقول و أدركت الأحاسيس، و انمت الشعور الوطني لدى الفرد الجزائري كما كان لأعمالهم و إنجازاتهم دور كبير في تنوير الطريق أمام الجزائريين المحرومين .

الفصل الثالث: الوسائل والأساليب التي اعتمدتها فرنسا في توجيه الخطاب الديني في الجزائر

المبحث الأول: الطرق الصوفية

المبحث الثاني: الحركات التبشيرية والتنصير

المبحث الثالث: إقامة المحاكم الفرنسية ونفي الأئمة

المبحث الاول : الطرق الصوفية

إن الحديث عن الطرق الصوفية و ما قامت به سلبا أو إيجابا طيلة الوجود الفرنسي بالبلاد الجزائرية يتطلب تقديم لمحة عن التصوف في الإسلام .

1 _ التصوف في الإسلام

_ أصله و نشأته :

التصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من **" صوف "** للدلالة على لبس الصوف.[1] ويعتبر ظاهرة دينية و مفهوم معين للإسلام عرفه التاريخ الإسلامي قوامه فلسفة روحية ترتكز على الذكر و الإعتكاف وفق أساليب تربوية لتحميل النفس على الطاعة حتى ترتقي إلى مراتب عليا من الإيمان ، و لئن ذهب بعض المتصوفة إلى أن كبار الصحابة و حتى التابعين كانوا من أهل التصوف ليثبتوا أنه ليس دخيلا على الإسلام، فإن الراجح أنه نشأ في مطلع عصر الدولة العباسية ليس فقط لاتساع الفتوحات و ركون المسلمين إلى حياة الترف و البذخ، مما ولد نفورا من تلك الحياة المادية و الإتجاه نحو الزهد و الإنقطاع للعبادة [2] و إنما لأسباب أخرى أهمها : إمتزاج المسلمين بأجناس ممن أسلم من البلاد الشرقية و هم أناس حديثوا العهد بالإسلام باإضافة إلى العقائد الواردة عند اليونان و الهند و التي تقوم على قهر النفس وكبتها وتحقير الدنيا و ذمها و الزهد فيها .[3]

مما جعل البعض يرجع أصل كلمة الصوفية إلى الصوف[4] الذي كان لباس العياد و الزحفاء [5] كما كان تفسير آخر يقض بأن أصل الكلمة تعني الصّف أي البعيد ، و الحق أن نسبة الصوفية إلى الصوف مطابقة لما عليه الكثير منهم إقتداء بالرسول صلى الله عليه و سلم الذي نسب إليه لبس الصوف في بعض ما ورد من الآثار في ذلك قول أنس فيما رواه ابن ماجة : أن الرسول صلى الله عليه و سلم **" أكل خشنا و لبس خشنا ، لبس الصوف و**

---

[1] - ماسينيون و مصطفى عبد الرزاق : التصوف، تر: إبراهيم خورتشيد و آخرون ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، 1984 ، ص 25.

[2] - الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ص 228.

[3] - التليلي العجيلي : الطرق الصوفية و الإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939) ، مج2 ، منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، 1992 ، ص 26.

[4] - محمد دبوب: مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية و الإجتماعية و الإقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي ، أطروحة ماجستير ، تاريخ إسلامي ، إشراف: بشار قويدر ، جامعة الجزائر ، 2000 ، ص24.

[5] - صلاح مؤيد العقبي : الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر ، تاريخها و نشاطها ، دار البراق ، لبنان ، بيروت ، 2002 ، ص 35.

احتذى المخصوف " . كما ورد أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كانوا يؤثرون لباس الصوف على غيره من أنواع اللباس الأخرى ، تجنبا للبس الفاخر من الثياب و ممن عرف بذلك الصحابيا أبو ذر الغفاري و سلمان الفارسي رضي الله عنهما و أرضاهما .[1]

و قد عرفه الدكتور أبو القاسم سعد الله و هو من أبرز الذين بحثوا في تاريخ الجزائر الثقافي بقوله :

"و بناءا على كل التعريفات المقبولة أو المعقولة فإن التصوف الحقيقي هو الذي تتوفر فيه الشروط الأساسية منها معرفة الكتاب و السّنة و معرفة حقيقة العلم بهما و الجمع بين العلم و العمل و السعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل و النظر و التفكير في مخلوقاته بالإضافة إلى الّتقى و التجرد عن هوى النفس و حب الدّين و الإبتعاد عن مغريات السياسة و السلطة و عدم التعاون مع الظلمة و المتجبرين ".[2]

و من أهم ما ميز التصوف أنه أصبح متمثلا في جماعات تربط بينها علاقات وطيدة تنظم الحياة بين مختلف الأطراف المكونة لها ، وفق خصائص تميزها عن بقية التجمعات البشرية الأخرى ، و ذلك بعدما كان في مرحلته الأولى عبارة عن سلوك فردي [3]. و بالتالي يمكن القول أن الصوفية في تعريفها الشامل عبارة عن حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث هجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد و شدة العبادة كرد فعل مضاد للإنغماس في الترف ،ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية و يتوخى المتصوفة تربية النفس و السمو بها ، بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف و المشاهدة لا عن طريق إتباع الوسائل الشرعية و لذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية الهندية و الفارسية و اليونانية المختلفة ، و يلاحظ أن هناك فروق جوهرية بيبن مفهوم الزهد و التصوف أهمها أن الزهد مامور به ، و التصوف جنوح عن طريق الحق الذي إختطه أهل السنّة و الجماعة .[4]

أما فيما يخص الطريقة فهي عبارة عن طريق خاص بنوع من الناس ، يتميزون عن غيرهم برؤيته معينة في المنهج اللازم إتباعه للوصول إلى الحقيقة المطلقة عبر مراحل محددة تجتهد كل طريقة في استقائها من مناهج و مصادر تعتقد أنها يقينية و انطلاقا من هذا

---

[1] - نفسه ، ص 36.

[2] - أبو القاسم سعد الله : الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، ص 109.

[3] - التليلي العجيلي : مرجع سابق ، ص 30.

[4] - الموسوعة المسيرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 228..

المفهوم ، نستطيع القول أن كل طريقة صوفية كانت تعتمد على سلسلة من الصالحين و الأعلام و ذلك من أجل الدلالة على صحتها و شرعيتها .[1]

و في رأي أهل السنة فان الطريقة هي التي تأسست على صفتين هما : إنقطاع القلب في الأغيار و خلو اليد من الدنيا الغادرة، و أن أول طريقة هي تلك التي كانت على يد أبي بكر الصديق و لهذا كان للتصوف طرق كثيرة ، إذن فالطريقة هي حلقة الوصل بين الشريعة الإسلامية و الحقيقة الإلهية ، و هي الموصلة إلى النجاة و السعادة ، و هنا لا يمكن اعتبار الطريقة سلما للوصول فقط و لكنها أيضا مجموعة من الشعارات و الممارسات و الأذكار التي تختلف فيها كل طريقة عن الأخرى في الأزمنة و العدد ، لذلك نجد أن كل طريقة لها ذكر يردده أتباعها بطقوس خاصة ، كما أن الطريقة عند البعض تعني إتصال المريد بالشيخ و ارتباطه به حيا أو ميتا و ذلك بواسطة مجموعة من الأذكار يقوم بها المريد .[2] بإذن من الشيخ أول النهار و آخره و يلتزم به بموجب عقد بينه و بين الشيخ و هذا العقد يعرف بالعهد و صورته أن يتعهد الطرف الأول و هو الشيخ بأن يخلص المريد من كل شدة وقع فيها و يخرجه من كل محنة متى ناداه مستغيثا به ، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة أما الطرف الثاني و هو المريد يتعهد و يلتزم بمجموعة الأذكار و لا يتركها طيلة حياته كما يلتزم بعد إستبدال الطريقة بغيرها من سائر الطرق و هذه هي الطريقة عند المتصوفة و التي هي أحد أصول التصوف عند أصحابه .[3]

الطرق الصوفية في الجزائر:

يعتبر العهد العثماني أزهى عصور الطرق الصوفية في الجزائر ، ذلك أن العثمانيين كانوا يبجلون رجال الطرق الصوفية فيتبركون بهم و يزوروهم قبل انطلاقهم للغزو و الجهاد و يعود ذلك كما يقول الدكتور سعد الله إلى : **" إن الترك كانوا في تكوينهم الديني و النفسي و الحربي من أتباع الطرق الصوفية "** . و لذلك وجد مروجوا الأفكار الصوفية مجالا مناسبا لنشر أورادهم بين الناس فاتسع مجال إنتشار هذه الطرق فعمت مختلف أنحاء القطر الجزائري .[4] و عندما دخل الفرنسيون الجزائر سنة 1830 و انهارت دولتها بقيت الطرق الصوفية محتفظة بمكانتها بين جماهير الشعب الجزائري رغم ما أصاب البلاد من هدم و خراب .

---

[1] - التليلي العجيلي : مرجع سابق ، ص 30.

[2] - المريد : يقصد به الذي يريد الوصول إلى الله تعالى عن طريق الأذكار بالمحافظة عليها . أنظر : جناة بن حدة ، الطرق الصوفية و تأثيرها على المجتمع الجزائري في العهد العثماني ، مذكرة ليسانس ، إشراف صالح حيمر ، جامعة تبسة ، ص 9.

[3] - نفسه ، ص،ص 9،10 .

[4] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، مرجع سابق ، ص 465.

و هكذا أصبح رجال الطرقية الملجأ الأمين لقيادة الجماهير الشعبية للدفاع عن هويتها و وجودها أمام إستعمار غربي يود القضاء على كل شيء و بذلك بقيت الطرق الصوفية هي المؤسسة الوحيدة المتواجدة بعد انهيار المؤسسات الرسمية أمام ضربات الإستعمار الفرنسي و قد ظلت خاصة في الأرياف تؤدي دورها الديني و التعليمي إلى جانب العسكري يضا فلقد بحث الشعب الجزائري عن قوى تقوده لمواجهة عدو متفوق عسكريا فلم يجد سوى زعماء الطرق الصوفية الذين كان يعتبرهم رجال دين أتقياء ورعين ، همهم خدمة الإسلام و الدفاع عنه و هكذا مثّل الدين الإسلامي المحرك لكل العمليات التحريرية للشعب الجزائري خلال القرن التاسع عشر، فقد كان الدين الإسلامي بما انطوى عليه من قوة روحية كان للذين يؤمنون به و يتمسكون به درعا قويا .[1] و الظاهر أن ظهور هذه الطرق في الجزائر كان على حساب التفاوت من حيث الأهمية و الظهور إذ هناك طريقة قديمة و أخرى حديثة ، كذلك نجد منها الأصلية التي ظهرت في الجزائر و تفرعت فيها ، كما أن هناك العكس و هي تلك التي هي في الحقيقة فروع لأصول موجودة خارج الجزائر، خاصة في المغرب الأقصى و في الشرق كما نجد الطرق الكبيرة ذات الآلاف من الأتباع الذين يتوزعون على كامل البلاد، و أخرى صغيرة محدودة الأتباع و المكان، و سنحاول في هذا المبحث أن نذكر على الأقل أقدم طريقة و أحدثها .

01 _ الطريقة القادرية : يمكن اعتبارها من أقدم الطرق الصوفية تأسيسا و أقدمها ظهورا و وجودا مؤسسها هو أبو صالح سيدي عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحي الزاهي بن محمد بن داود بن موسى الجون بن عبد الله المحطي بن لحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب [2] عرف باسم الجيلالي أو الكيلاني أو الجيلي و كلها نسبة إلى مكان ميلاده و هو الجيلان و هي مدينة يقال أنها تابعة لإقليم طبرستان بعراق العجم، و رأي آخر يرى أنها في بلاد فارس .[3] ولد عبد القادر الجيلاني سنة 471ه/1078م لما بلغ الثانية عشر من عمره انتقل إلى بغداد و التي كانت تعج بالفقهاء و الأعلام و القمم العوالي من أهل التصوف ، كما أنها كانت محط أنظار طلاب الدين .[4] حفظ القرآن و تعمق في أصول المذهب الحثيلي و فروعه على يد أكبر الفقهاء الحنابلة أمثال أبي الوفاء بن عقيل ، و بهذا استطاع الشيخ الأخذ بعلوم الشريعة منها التي تساعده في وضع تعاليم طريقته التي سميت على اسمه فيما بعد ، و يعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني عند المتصوفة بسلطان الأولياء كانوا يلقبونه بمولى بغداد [5] و أعظم ما عرف عليه على الإطلاق هو استقامته على دين الله حسّا معنا ظاهرا و

---

[1] - عبد القادر خليفي : مرجع سابق ، ص ، ص 261،262.
[2] - خير الدين الزركلي : الأعلام و قاموس التراجم ، ج2 ، ط2 ، د .م .ن ، ص17.
[3] - صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق ، ص 11.
[4] - نفسه ، ص 143.
[5] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، مرجع سابق ، ص 42.

باطنا و له آثار تعتبر ثروة لا يستهان بها من الكتب و الرسائل نذكر منها : فتوح الغيب ، الفيضات الربانية ، الغنيمة لطالب الحق ، الفتح الرباني .[1]

إنتشار الطريقة القادرية في الجزائر :

كان دخول هذه الطريقة إلى الجزائر على يد أبو مدين شعيب بن حسين ، حيث التقى هذا الأخير بالشيخ الجيلاني في جبل عرفات ، و تتلمذ و درس على يده في مكة ثم عاد إلى الجزائر و استقر في بجاية أين بث طريقته الصوفية القادرية فأقبل عليه طلبة العلم من كل الأصقاع لأن بجاية في هذه الفترة كانت عامرة و مزدهرة بالعلوم و المعارف و الثقافة [2] كما كان قدوم ابراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق الى المغرب الاقصى من العوامل التي ساعدت على نشر الطريقة القادرية في شرق البلاد و غربها ، بداية كانت في الاوراس مكان استقراره حيث اسس الطريقة القادرية في بلدية منعة حيث وصل عدد الزوايا حينها التي تخلد اسم عبد القادر الجيلاني قرابة مائتي (200) زاوية .[3] أهم ما تتصف به طريقة الجيلاني هو تسامحها تجاه الأديان الأخرى و يعتمد أنها أم الطرق في الجزائر كان أشهر من انتمى إليها من القبائل الجزائرية : قبيلة هاشم بالغرب الجزائري التي تنتمي إليها عائلة الأمير عبد القادر

و لهذه الطريقة أربع فروع في الجزائر و هي منتشرة في كل القطر لها 33 زاوية و 521 طالبا و 4 شيوخ و 301 مقدما، و ليس لها في الجزائر رأس واحد و و فروعها مستقلة و إنما تتبع زاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد .[4]

و مما لا شك فيه هو أن الطرق الصوفية في الجزائر خلال الإحتلال الفرنسي تعددت و تنوعت بين ما كان أصلها في بغداد أو المغرب و مصر و ليبيا و الحجاز ،حيث كانت الزيارات و الصلاة متبادلة لأن الأصول و الإهتمامات واحدة [5] و من الطرق التي نشأت في المغرب و أصبح لها فروع في الجزائر نذكر : الطيبية [6] و العيساوية [1] و الحنصالية [2] و من الطرق التي نشأت و ظهرت بالمغرب و تونس .

---

[1] - صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق ، ص 143.

[2] - يحي بوعزيز : موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، ج1 ، مرجع سابق ، ص، ص 440،441.

[3] - صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق ، ص 146.

[4] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3 و 4 ، ص 243.

[5] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، مرجع سابق ، ص 506.

[6] - الطريقة الطيبية : نسبة إلى الطيب بن عبد الله بن إبراهيم ، زاويتها الرئيسية كانت في المغرب الأقصى و شيخها واحد و هو المعروف بالشريف وزان ، و لها 234 مقدما في الجزائر و 8 زوايا و 21 وكيلا و 2.547 امرأة و هي منتشرة في كل أنحاء الجزائر، سيما الجهات الغربية و يزور رئيسها الجزائر ليتفقد زواياه باتفاق مع السلطات الفرنسية

ثم انتقلت الى المشرق نجد الشاذلية [3] أما الطريقة الشهيرة التي نشأت في بغداد و كان لها فروع و مقدمون في الجزائر فهي القادرية كما سبق الذكر .

و من الطرق الصوفية التي ظهرت في ليبيا و انتقلت إلى الجزائر نجد المدنية [4]و

مقابل خدمات يؤديها لها ،و كان شيخها قد اختار الحماية الفرنسية حتى في المغرب الأقصى . أنظر: أبوالقاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، مرجع سابق ، ص297.

[1] - العيساوية : هي فرع من فروع الشاذلية تنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عيسى المتوفى عام 931ه/1524 م و دفين مكناس بالمغرب ،و قد تأسست الزاوية العيساوية في وزرة سنة 1203ه/1788 م على يد أحد أحفاد علال المغربي ، إتخذت طابعا يختلط فيه الهزل و الجد و الدين و الشعوذة و ذلك تنفيسا على الروح المكبوتة و تفجيرا ، لما في داخل الإنسان من غم و هم و لكن باستخدام وسائل العنف ضد الجسد و تبسيط الدين إلى درجة القيام بأعمال السحر و الخرافة، أصلها في مكناس حيث الزاوية الأم لكن علاقتها بها كانت ضعيفة بمضايقات الفرنسيين لها ، لها أتباع في الجزائر و لها 10 زوايا و 3 وكلاء و 50 شاوشا و شيخ واحد . أنظر: أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، ص 298.

[2] - الحنصالية : مركزها الرئيسي في قسنطينة و نواحيها و الهضاب العليا و التل و لها 18 زاوية و شيخ واحد و زاويتها الأصلية في المغرب الاقصى و لها 48 مقدما و 102 شاوشا يشرفون على 3.485 من الإخوان و 438 امرأة كما لها 176 طالبا و الحنصالية، اعتبرت من الطرق المسالمة و من شيوخها أحمد بن مبارك المعروف بالعطار من علماء قسنطينة . أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، ص 279.

[3] - الشاذلية :هي طريقة أصلية مغربية نسبة للشيخ الحسن علي الشاذلي المولود بالمغرب الأقصى سنة 1198 و المتوفى سنة 1258 بجبال عمارة قرب سبتة ،درس في تونس ثم رحل إلى المشرق توجه إلى قرية شاذلة خارج مدينة تونس و اختلى فيها بعض الوقت ،ثم توجه إلى مصر و استقر فيها و كانت له طريقته الخاصة في التصوف و ذلك عن طريق ممارسة الأخلاق و الفضيلة و التوحيد . و لقد تفرعت الشاذلية طرق عديدة منها: الدرقاوية و الشيخية و الزرقاوية و البكرية و الجزولية و الراشدية و طرق صوفية أخرى من الصعب إحصاءها لكثرتها و تشعبها في المناطق الممتدة بين الحجاز شرقا و المغرب الأقصى غربا، و تعتبر الشاذلية من أهم الطرق الصوفية الأخرى التي عملت في هذه المناطق و غيرها من مناطق إفريقيا و يقال أنها مبنية على الذكر و ترك التدبير و الجمع على الله مع عدم التفرقة ، لها 4 فروع بالجزائر و 11 زاوية و 195 طالبا و 9 شيوخ و 99 مقدما و 652 امرأة منتشرة في قسنطينة و الجزائر و كان يمثلها الشيخ محمد الموسوم صاحب زاوية قصر البخاري توفي 1883 . أنظر: عمار هلال ، الموسوعة التاريخية للشباب ، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء ، منشورات وزارة الثقافة و السياسة ، الجزائر ، 2007 ، ص 100.

[4] - الطريقة المدنية : مركز إشعاعها طرابلس و هي من الطرق الفرعية لكن أصلها من المدينة المنورة، و هي شاذلية الأصل و لها في الجزائر زاويتان و 14 مقدما و شاوشا واحدا و 1673 إخوانيا و 11 وكيلا، و توجد في النواحي الغربية و الوسطى و لها يد في نشر فكرة الجامعة العربية الإسلامية و علاقات مع سلاطين الأمير و قد إزدهرت في عهد السطان عبد الحميد الثاني و من شيوخها محمد الطاهر المدني الذي استقر باسطنبول ، كما أن لهذه الطريقة أصول درقاوية . أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، ص297.

من تونس دخلت الطريقة البوعلية [1] التي يراها بعض المؤرخين انها طريقة ليست بذات الاهمية لا سياسيا و لا اجتماعيا و لا ندري ان كان الفرنسيون قد وظفوا منها عناصر لصالحهم في الجزائر كما فعلوا مع غيرها ، ولا تكاد المصادر المطلع عليها التي تعرض الطرق الصوفية تذكر تأثير البوعلية في الجزائر [2]

ومن جهة أخرى كانت الشابية [3] و التي دخلت هي الأخرى من تونس الشقيقة .

و تشير المصادر إلى أن الطريقة السلامية أيضا انتقلت من تونس إلى الجزائر .

أما الطريقة الرحمانية[4] ،و إن كانت تظهر جزائرية فإن أصلها يرجع إلى الخلوتية بمصر.

وتبقى التيجانية [1]، التي تبدو جزائرية الظهور أيضا ،و لكن صاحبها قد دخل مختلف الطرق من قبل وبعد أن ظهرت طريقته رحل بها لأسباب مختلفة إلى المغرب الأقصى و من هناك ظهرت و انتشرت ثم عادت إلى الجزائر.

---

[1] - البوعلية : ترجع إلى بوعلي السني دفين نفطة ، و تاريخه هو القرن السادس هجري (توفي في 610 ه) و قد اشتهر بالنفطي لأنه دفينها و السني لأنه انتصر لأهل السنة ضد أهل المذاهب الأخرى، كان من المتحمسين للسنة و نظرا لقربها من الحدود فإن بعض الجزائريين تأثروا بهذه الطريقة التي ترجع إلى القادرية ، كان أتباعها موجودين في قسنطينة و عنابة و تبسة و وادي سوف، و هي الجهات التي تقصدها السلطات الفرنسية التي كانت حريصة على جمع أخبار هذه الطرق ، كان لها زاوية فرعية في خنشلة و لها مقدم اسمه عمارة بوخشم و لها عدد آخر من المقدمين و الشواش و كان لها بقسنطينة وحدها 4 زوايا ،كما لها 364 من الإخوان و فيهم بعض النسوة و ستة مقدمون . أنظر: أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، ص، ص 274، 275.

[2]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، مرجع سابق ، ص،ص 274 ،275.

[3]- الشابية : تاريخ الشابية في الجزائر يرجع إلى القرن 16 و هي طريقة ناصرية لأنها تأسست على يد أحمد بن مخلوف ، كان أحد أتباع الشيخ محمد بن ناصر الدرعي نشطت هذه الطريقة في نواحي القيروان ظهر منها تياران ، تيار ديني يمثله مسعود الشابي ،و تيار سياسي يمثله عبد الصمد الشابي، و كان عرفة القيرواني هو الذي ثار ضد الحفصيين ثم ضد العثمانيين، أما شيخها الفعلي فهو محمد عبد الهادف كان ابنه مسعود يساعده في نشاطه ، لهذه الطريقة قواعد تسير عليها شبيهة بأذكار الطرق مثل تكرار الإستغفار مائة مرة و لا إله إلا الله مائة مرة و اللّهم صلي على سيدنا محمد و على آله و سلم مائة مرة بعد صلاة الفجر، و قد لعبت دورا سياسيا في عهد الإستعمار فهي من الطرق التي تجمع بين الدين و الدنيا و يذكر الفرنسيون أنهم وجدوا من قادة الشابية مساعدة أثناء إحتلال تونس ، كما لاحظ الفرنسيون أن الشابية كانت و مازالت في عهدهم قوية في وادي سوف، لأن أهل الوادي ما يزالون على إحترامهم لأجداد الشابية .أنظر: أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، مرجع سابق ، ص،ص 277،245.

4 - الرحمانية : نسبة إلى شيخها محمد بن عبد الرحمان الإدريسي الحسن الأزهري الذي جاء بها من المشرق ، ظهرت هذه الطريقة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر هجري عرفت إنتشارا واسعا و كان لها في مقاومة الإحتلال الفرنسي اليد الطولى بفضل شيوخها و أتباعه الذين أعلنوا الجهاد المقدس على الغزاة المحتلين، و انتشرت كثيرا في وسط و شرق و جنوب الجزائر و أكثر أتباعها من الطبقات الفقيرة الشعبية لها 177 زاوية ،156.214 إخواني ، توفي مؤسسها بمسقط رأسه سنة 1208 ه /1894 م . أنظر : صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق، ص ...ص ، 155...160.

و آخر الطرق المهمة هي الطريقة السنوسية[2] التي دخلت الجزائر من ليبيا بعد أن إنتقلت إليها من الحجاز ، بالإضافة إلى الطريقة الدرقاوية التي سنأخذها في بحثنا كنموذج لتواطؤ الطرق الصوفية مع الإستعمار و مساندتها لدولة الباطل.

نحن هنا لا نبحث في الطرق الصوفية في حد ذاتها و لكن في بعضها التي كانت مؤيدة و موالية للإستعمار إن صح التعبير ، فإذا كان الفرنسيون قد توصلوا إلى بعض الطرق المغربية و جعلها في خدمتهم مثل الطيبية ،فأنهم إكتفوا بالنسبة للقادرية مثلا بالسيطرة على فروعها في الجزائر، و مراقبة نشاط من يأتي باسمها من المشرق و كذلك فعلوا مع السنوسية التي صوروها في أحيان كثيرة على أنها مصدر خطر عليهم حيث كان الفرنسيون ينظرون إلى هذه الطرق على أنها جمعيات سرية تعمل على تحطيم الوجود الفرنسي في الجزائر.[3] و الحقيقة أن هذه الطرق الصوفية لعبت دورا هاما و خطيرا في مقاومة الإستعمار، و إن كان الدور الذي لعبته هذه الطرق لم يكشف عنه النقاب تماما و كما يلزم إلى الآن، إذ أن معظم أتباع هذه الحركات اعتبروا أن الجهاد السياسي المتصل بالوطن و حريته والوقوف في وجه أعدائه و المغتصبين جزءا من واجبهم لا ينفصل عن الجهاد في

---

[1] - التيجانية : مؤسسها أبو العباس أحمد بن مختار التيجاني الماضوي نسبة إلى مدينة عين ماضي بولاية الأغواط ولد سنة 1737 و توفي سنة 1823، حفظ القرآن الكريم صغيرا و كان مفتونا بالفقه المالكي ، كان أول أساتذته السيد قادري أحمد بن حسان من مدينة فاس ،ثم تتلمذ على يد شيخ آخر كان مقدما للناصرية محمد بن عبد الله و نشر طريقة عمر التيجاني إلى تأسيس زاوية في كل مكان يحل به و قد أسس زاويته بفاس 1215ه ، و الطريقة التيجانية لها فروع في معظم القارة الإفريقية و مصر و الحجاز و كانت منتشرة في الصحراء و منطقة الهضاب العليا بها 32 فرعا و 165 مقدما و 162 شاوشا و 19.812 إخوانا ، و 5.164 امرأة . و منذ سنة 1897 أصبح للطريقة التيجانية فرعان: الأول بعين ماضي و الثاني بتماسين و لكل منهما شيخه ،و هناك من يقول أن لها فرع ثالث في مدينة فاس المغربية و قد سلكت طريق الطريقة القادرية تقريبا ، إمتازت بتعليمها البسيط و مذاهبها الواضحة التي كانت قريبة جدا من التفكير الشعبي السائد أنذاك في جميع أنحاء العالم الإسلامي . أنظر : صالح بن القبي: الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم ، منشوراتANEP،الجزائر،2002، ص، ص 119، 120.

[2] - السنوسية : نسبة إلى محمد بن علي السنوسي يرجع نسبه إلى إدريس الأكبر أول خلفاء الأدارسة بالمغرب ، ولد السنوسي في 1787 بالقرب من مستغانم في الجزائر، تتلمذ على يد فقهاء و علماء مستغانم قام برحلة إلى الحجاز و عاد منها إلى مصر اتصل بعلماء الأزهر و انتهى به المطاف في برقة . كانت السنووسية تشتمل على فصول الدراسة و أماكن لإيواء الطلبة حيث تحاشت السنوسية منذ البداية الدخول في أمور السياسة . أنظر : شوقي عطا الله الجمل : الأزهر و دوره السياسي و الحضاري في إفريقيا ، الهيئة العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1988 ، ص ... ص ، 111 ...113.

[3]- صالح بن الفني :مرجع سابق ، ص 19.

سبيل نشر الدين .[1] هذه الحركة الصوفية التي كانت لها اتصالاتها و وسائلها أما عن طريق الحج رغم القيود عليه أو الرسائل المرموزة أو الشخصيات المتنكرة و غيرها . كما أن هناك رجال يمثلون بعض الطرق الصوفية كانوا من بين الذين خاضوا الحرب ضد المستعمر و نذكر أبرزهم : محمد بن عبد الله (أبو معزة) من الطريقة الطيبية، و موسى الدرقاوي الذي جاء من مصر و دخل في الطريقة المدنية (الدرقاوية) ،و حارب الفرنسيين مدة طويلة حتى قتل في الزعاطشة 1949 .[2]

دور الطرق الصوفية في مقاومة الإستعمار الفرنسي:

لقد لعبت الطرق الصوفية عامة دورا هاما في دحر الإستعمار بكل الطرق و الوسائل و بذلك كل ما لديها من أجل تحرير البلاد ، فكان لها دور عسكري و إجتماعي و ديني و هذا الأخير هو محور دراستنا .

الدور الدّيني للطرق الصوفية :

كانت الطرق الصوفية هي المؤسسة الوحيدة التي بقيت متواجدة بعد انهيار المؤسسات الرسمية أمام الممارسات الإستعمارية عليها ، حيث ظلت قامة خصوصا بالأرياف تؤدي أدوارها و خاصة الديني و التربوي فقد كان لها فضل كبير في الحفاظ على القرآن الكريم و تعليمه للصغار و الكبار و عملت على نشره بصور مكثفة و متواصلة و ساعد ذلك على محو الأمية من جهة و حماية من النسيان و الضياع و الإندثار من جهة أخرى فكان أغلب الناس كبارا و صغارا يحفظونه كله أو جله أو بعض أجزائه .[3] كما عملت على نشر الإسلام في المواطن و الأصقاع البعيدة التي لم يكن قد وصل اليها و خاصة الأقاليم الصحراوية النائية و الأدغال الإستوائية كما فعلت التيجانية و السنوسية و القادرية .كما احتضنت اللغة العربية و انفقت بسخاء على تعليمها و تدريسها في كل أوساط المجتمع ، و كان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل و الأمية و نشر العلم و المعرفة في أوسع مجالاتها .[4] كما إستند زعماء المقاومات الشعبية وهم من زعماء الطرق الصوفية إلى العبارات الدينية في إثارة الهمم لدى الناس، فبهذه العبارات استطاع زعماء الطرق الصوفية إثارة عزيمة و إرادة الشعب الجزائري في محاربة المستعمر حيث قال أحد الضباط الفرنسيين في هذا الصدد : **" إنه و بالفكرة الدينية يسير القانون و بالإستجابة للديانة الإسلامية أصبح الزعماء الأوائل لهذا المجتمع محاربين "** و من هنا يتبين أن الفرنسيين عرفوا أهمية الدين

---

[1] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، مرجع سابق ، ص،ص 506 و 507.

[2]- أبو القاسم سعدالله تاريخ الجزائر الثقافي ج5، مرجع سابق، ص 508.

[3] - يحي بو عزيز : تاريخ الجزائر في القرنين 19 و 20 ، ج1 ، منشورات متحف المجاهد ، الجزائر ، 1994 ، ص 222.

[4]- يحي بو عزيز : موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، مصدر سابق ، ص 222.

لدى الجزائريين ، فنبهوا حكومتهم على مواجهة رجاله ، و العمل على التقرب من زعماء الصوفية . و الدارس لتلك الفترة يلاحظ أن تفطن الاحتلال لقوة نفوذ الطرق الصوفية و خطورتها الدينية جعله يسعى لاحتوائها و استيعابها و السيطرة عليها لبسط نفوذه و أحكام سيطرته بعد أن عجز على تحقيق أمانيه ، حيث سمحت لهم السلطات بالتنقل بين أتباع الطرق بعدما كانت قد منعت ذلك ، وكان شيوخ بعض الزوايا يتلقون مقابل الخدمات التي سيؤدونها للإدارة الفرنسية تنازلات و مراتب و تشريفات، كانوا يجمعون الصدقات **" الزيارات "** بكل حرية يبق الأتباع مهما يكن متى أمر فلقد أصبح كبار شيوخ الزوايا وسط المجتمع المسلم الذي إزداد تدهور أوضاعه من سنة لأخرى ، فيظهرون بمظهر الإقطاعيين الأثرياء فقد عميت أبصار الذين لم يكن همهم سوى إطفاء تعطشهم إلى جمع المال و الإستحواذ على مداخيل الأوقاف بدل الوفاء بواجباتهم تجاه جموع المريدين الأوفياء الذين يحيطون بهم و الذين صاروا أشبه بقطعان غنم ، مسخرة لجز الصوف عن قريب ،فإذااتجهنا إلى العقائد الأولى التي تأسست عليها الطرق نجد أنها قد انمحت من الذاكرة أو كما قال الحاكم العام في الجزائر: **"حلت الإنتهازية محل الصرامة التي اشتهرت بها تلك النظم الدينية في الماضي "** [1] ،تلك هي الإشارات التي تأذن بالتحدث عن إنحطاط الطرفية التي لعبت في الماضي دورا هاما في الحياة الدينية الجزائرية لأن مقدمي هذه المؤسسات لم تنحصر في إمامة الناس فحسب و لكنهم كانوا يلعبون دور المتحكم و الوساطة و المعاملة النزيهة، و لكن تدخل السلطات الفرنسية في هذه المؤسسات الدينية من جملة العوامل التي ساهمت في تردي سمعتها و بالتالي إنحرافها .

لقد تميزت الطرقية بمطالبة اتباعها بالطاعة العمياء و الاحترام الكامل، و الانقياد المطلق لشيخ الطريقة [2] هذا ما ساعد على انحيازها لصف السلطات الاستعمارية ، حيث كانت هذه الاخيرة راضية عن هذا التحول الذي حدث في صف الطرق الصوفية ، هذه الظاهرة التي ستؤدي الى تغيير وجه الطرق الصوفية من الاساس [3] و بظهور الصحافة الاصلاحية التي كانت بمثابة هجمة قوية على ممارسات الشياخ و الشعوذة و البدع ،التي كانت مشجعة من طرف فرنسا ،و التي عملت على تضليل الناس عن الدين، بممارسات غير مسبوقة كالذبائح و الزيارات المبالغ فيها ، كانت الادارة الفرنسية تراقب هذا التحول في المجتمع، و تدرس عواقبه، و تعرف انه سيزعزع جذور الطرق الصوفية التي طالما .حاربتها وخافت من خطره[4]

---

[1] - Charles Robert Ageron: les algeriens musulmans et la France , 1871-1919 ,tom2 , paris ,1968 ,p ,p 486 ,487.

[2]- مازن صلاح حامد المطبقاني : مرجع سابق ، ص 31.

[3]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، مرجع سابق ، ص 329.

[4]- نفسه ، ص 330.

لقد كان المجتمع الجزائري غداة ظهور حركة الاصلاح يعج بالخرافات و البدع و الاوهام التي عششت في عقول ابنائه ، بفعل بعض الطرقيون الذين أحدثوا وثنية في الإسلام ما أنزل الله بها من سلطان و أصبح شيخ الطريقة يتصف بأوصاف ربوبية، فهو الذي يعطي و هو الذي يمنع و هو منبع كل خير و مصدر كل شر . كانت أول صحيفة دعت إلى تحرير الأمة الإسلامية الجزائرية من ضغط و سيطرة رجال الطرق الصوفية هي صحيفة " المنتقد " سلف " الشهاب " [1]التي أعلنت في صدور أول عدد منها مبدأها الإنتقادي و الهجومي على البدع و الخرافات تحت عنوان **" العقل الجزائري في خطر "** .

و قال فيها الشيخ البشير الإبراهيمي الكثير و من بين مقولاته ما يلي : " ان هذه الطرق المبتدعة في الإسلام هي سبب تفرق المسلمين، و نعلم أننا حين نقاومها نقاوم كل شر ، إن هذه الطرق لم تسلم منها بقعة من بقاع الإسلام، و أنها تختلف في التعاليم الظاهرة كثيرا ، و لا تختلف في الأثار النفسية إلا قليلا و تجتمع كلها في نقطة واحدة و هي التحذير و الإلهاء عن الدين و الدنيا ..."

و قد عد الشيخ الإبراهيمي الصوفية داءا عضالا يجب التخلص منه ، لتحرير عقيدة المسلم من التشويش و تطلق لعقله العنان في التشبع و فهم الشريعة .[2]

فقد أصبحت هذه الطرق حاجز بينهم و بين مصادر الشريعة و كأنها دين جديد حسب رأيه، و يقول في الفهم الخاطئ للإسلام من طرق الطرق الصوفية : " فكل راقص صوفي، و كل ضارب بالطبل صوفي، و كل عابث بأحكام الله صوفي و كل مسلوب العقل صوفي..."[3] قد كانت هذه الطرق تبرز على المسرح كل مرة في ثوب جديد و أصبحت موظفة بعناية من قبل الإدارة الفرنسية، حيث لم يعد هناك خوف ظاهر منها ، لأنها و بعد تأسيس الجمعية الطرقية الإسلامية 1937 [4] التي أعلنت أنها لا تتدخل في السياسة و مفهوم ذلك بلغة أخرى عدم إنتقاد السياسة الفرنسية في الجزائر . و مقر هذه الجمعية هو الزاوية التيجانية بمدينة قسنطينة، و كاتبها هو أحمد بن بسام ، و استمرت الإدارة الإستعمارية الفرنسية تحرك أصحاب الطرق الصوفية لأغراضها، و كانوا من جهتهم يحسون أنهم يدافعون عن وجودهم المهدد في الواقع من الإدارة نفسها كما عرفنا و ليس من الحركة الإصلاحية، و قد إنعقد بالعاصمة مؤتمر أخر لأصحاب الطرق يسمى (جامعة إتحاد الزوايا) في أفريل سنة 1938 و دام 3 أيام، و كان يهدف إلى وقف التعليم العربي و توقيف دروس الوعظ و الإرشاد في المساجد و معاقبة المعلمين بدون رخصة و كان رئاسته للسيد مصطفى القاسمي (زاوية الهامل) و لم تكتف فرنسا بالمواقف الفردية لشيوخ الطرق الصوفية في الجزائر ،

---

[1]- عبد المجيد بن غدة و أخرون : مرجع سابق ، ص 53.

[2]- محمد البشير الابراهيمي : الطرق الصوفية ، ط1 ، مكتبة الغرباء الأثرية ، الجزائر ، 2008 ، ص 06.

[3]- نفسه ، ص 07.

[4]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، ص 334.

بل نسقت فرنسا و نظمت و خرجت بطبخة جديدة على حد تسمية أبو القاسم سعد الله و**" سمتها مؤتمر الزوايا على مستوى المغرب العربي كله"** . و انعقد المؤتمر في مدينة الجزائر في شهر أفريل 1939، بالإضافة إلى الجزائريين حضره جمع من البلدان المجاورة كتونس و المغرب ، و كان هذا المؤتمر برئاسة الشيخ مصطفى القاسمي أيضا، و كالعادة ذهب وفد من المؤتمرين لمقابلة الحاكم العام و تقديم فروض الطاعة لفرنسا. و قد وضعوا ثقتهم في فرنسا و سياستها و قرروا ما يلي :

1 _ قطع الطريق على المشوشين، أعداء فرنسا في الجزائر (و هو ما كانت فرنسا في الماضي تنسبه لأصحاب الطرق الصوفية أنفسهم)

2 _ على المسلمين الجزائريين الثبات الراسخ على إخلاصهم لفرنسا و تضحيتهم في سبيلها، و محبتهم لها ... و يطول بنا الحديث إذا استعرضنا كل ذلك فهدفنا هو معرفة استخدام فرنسا للطرق الصوفية الجزائرية ضد الجزائر نفسها . [1]

و كان النقد غالبا موجها للطرقية دون تمييز ، أي إلى الظاهرة في حد ذاتها باعتبارها مؤثرا اجتماعيا سلبيا و معرقلا لمسيرة الإصلاح بعدما كانت تمثل قوة الجزائريين بداية الاحتلال، و نظرا لعلاقتها بالمستعمر فإن الهجوم عليها كان كاسحا، و حتى الإستعمار نفسه بقوانينه و تعسفاته ، لم يحظ بمثل الهجوم الذي شن على الطرق الصوفية على حد تعبير الدكتور أبو القاسم سعد الله .

و لعل هذه الهجمة في الجزائر كانت أشد من غيرها في العالم الإسلامي ، نظرا لشراسة الاستعمار من جهة، و سيطرة الطرق على عقول الناس من جهة أخرى ففي غياب التعليم حكم الفرنسيون على الجزائريين بالإعدام المعنوي من خلال عدة ظواهر و من بينها الطرق الصوفية، فمثلا الطريقة التيجانية بالرغم من دورها في المغرب و غرب إفريقيا في مقاومة الاستعمار و نشر الدين الإسلامي ، فإنها في الجزائر قد اعتبرت طريقة متسترة على فظائع الاستعمار .[2]

لكن يجب ألاّ تضع كل الطرق الصوفية و المرابطين في كيس واحد ، إن أصلها متشابه و ممارستها تكاد تكون واحدة ، و أساليبها متقاربة ،و لكن أهدافها و مواقفها و وسائلها قد اختلفت باختلاف رجالها و ظروفهم، فمن الطرق الصوفية ما كافح بشتى الوسائل و كذلك المرابطون ، و لكن الموجة كانت أقوى منهم، و قد ظلوا منطويين على أنفسهم و

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، ص ،ص 336 ،337.

[2]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائري الثقافي ، ج 4 ، مرجع سابق ، ص 339.

مخلصين لتراثهم النضالي فربوا جيلا على ذلك فكانوا الشرارة ضد فرنسا، و منها من كان دورها سلبي و انتهت بتأييدها للمستعمر كالطريقة الدرقاوية . [1]

و من الملاحظات الهامة التي أبداها معظم الكتاب الفرنسيين أمثال رين أن الطرق الصوفية التي تحالفت مع فرنسا فقدت حيويتها و انخفض عدد أتباعها بينما الطرق التي ظلت على عدائها أو حيادها اكتسبت أتباعا و تجددت ،و لذلك نصح بعدم اتخاذ أسلوب المواجهة و الانتقام ضد الطرق العدوة كهدم الزوايا و اعتقال الزعماء و نفيهم لأن ذلك يخدمها و يضر بالمصلحة الفرنسية .

و من جهة أخرى يمكن القول بأن الطرق التي استفادت من حماية الفرنسيين و استفادوا هم من خدمتها ظلت بدون تطور لان الخدمات التي قدمها رؤساؤها للفرنسيين قد اضرت بهم لدى المخلصين من قومهم .[2]

و اعتبر الكاتب الفرنسي رين ضرب الزوايا و أصحابها خطأ ارتكبته الإدارة لان ذلك ادى الى تعاطف الناس معها و اختفاء الاخوان حتى اصبح الفرنسيون يجهلون موضع اجتماعهم و عددهم و اماكن اقامة المقدمين منهم .و الصواب ان تعمل على اغراء هؤلاء المقدمين حتى يتخلوا عن متابعة الثورات، و تنحل عقدة الابتعاد عن الفرنسيين و تجنبهم و تصبح المصالح هي التي تتحكم في العلاقات و يقع تذويب شحنة العداء الديني في بوتقة الخدمات العامة . ذلك أن من بين أصحاب الطرق الصوفية من هو مستعد للتعامل مع الفرنسيين و قبول الوظائف منهم، إذا أرضت فرنسا شرفهم و مصلحتهم ، و تكسب فرنسا بذلك خدمة كبيرة و منذ الثمانينات ظهر في الطرق الصوفية الاستعداد لتقبل الوظائف الإدارية و نحوها، و لم تعد تكتفي بالاستسلام للأمر الواقع .

ففرنسا رأت في تدجين و استخدام الطرق الصوفية ضد بعضها البعض الى جانب سياسة اللبن و الرشوة و النفوذ خير الوسائل لجعل الطرق الصوفية في خدمة المصالح الفرنسية كما شجعت ظاهرة الزواج بين المرابطين و الفرنسيات مثلما حدث مع احمد التيجاني الذي تزوج بالفرنسية (اوريلي) التي بقيت عين الفرنسيين على الطريقة التيجانية من تاريخ الزواج سنة 1871م إلى وفاتها سنة 1933م و هذا بشهادة الفرنسيين انفسهم ، و رغم الزواج بحضور المفتي الحنفي بالجزائر إلا ان الفرنسيين انفسهم يثبتون إنها بقيت على مسيحيتها.[3]

---

[1]- نفسه ، ص 306.

[2]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، ص ، ص 308،309.

[3]- نفسه ، ص ، ص 310،311.

و قد لخص احد الفرنسيين المدعو " بيرك " دور الطرق الصوفية في الجزائر في ثلاثة مراحل : مرحلة 1830 م-1900م و خلالها كانت الطرق و رؤساؤها معارضين للاحتلال بأساليب مكشوفة احيانا و مقنعة أحيانا أخرى، و المرحلة الثانية: بين 1900م- 1920م، و خلالها تبنت فرنسا سياسة جديدة نحو الطرق الصوفية و رجال الدين و اعتمدت عليهم بطريقة مكشوفة، فأعلنوا خضوعهم و تحالفوا معها ، أما المرحلة الثالثة: تبدأ من سنة 1920م و التي حلت فيها الحركة الاصلاحية محل الطرق الصوفية في الدور الذي سمي بعملية التطهير .[1]

الطريقة الدرقاوية : تنسب إلى محمد العربي الدرقاوي، نسبة إلى قبيلة درقة [2] تعتبر الام لفروعها الاخرى كالهبرية نسبة الى محمد الهبري الذي توفي سنة 1901م، و لا ندري إن كان متوفى طبيعيا او مات مقتولا و لكنه ترك احد ابنائه و هو محمد الهبري ، الذي اصبح مواليا للفرنسيين و حسب مصادرهم ، انه ساعد الفرنسيين على تهدئة الأوضاع سنة 1914م (الحرب العالمية الاولى) كان يحث الناس على الولاء لفرنسا و يطلب منهم أن يكونوا (فرنسيين جيدين) حيث أصبحت الزاوية الهبرية ملجأ للموالين لفرنسا. [3] كما تحدث الفرنسيون في كتاباتهم على بعض زعماء الدرقاوية الذين كانوا يعلنون لأتباعهم وجوب الولاء لفرنسا، حيث نجد الشيخ احمد بن المبخوت مقدم الدرقاوية في سنة 1914م يوجه نداء لإتباع الطريقة يخبرهم بان فرنسا كانت تنصر الحق في حربها مع ألمانيا، و أنها فعلت الخير مع الجزائريين ومن واجبهم نحوها مقابلة الاحسان بالإحسان .

و من المعروف أن بعض الدرقاويين قبلوا بالوظائف القضائية ، بالرغم من انها كانت تناقض مواقف حركة الإصلاح و نجد أن الكاتب الفرنسي رين حكم على موقف الدرقاويين من الحكم الفرنسي أنهم ليسوا انصارا و ليسوا أعداءا لهم أيضا ، لأنهم رفضوا المناصب الإدارية لهم لكنهم قبلوا بالوظائف الدينية من إمامة و قضاء و إفتاء و لعل ذلك قياسا على ما فعله أوائلهم و بالتالي يقول أن الدرقاويين يمكن التعامل معهم في بث الحضارة التي ينشرها الفرنسيون في الجزائر .

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، مرجع سابق ، ص 324.

[2]- مختار بونقاب : الطريقة العلاوية في الكتابات الاستشراقية الفرنسية ، الطريقة العلوية ، د.م.ن،د.س.ن، جامعة معسكر ، ص 161.

[3]- ابو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، مرجع سابق ، ص،ص 119 ،121.

المبحث الثاني الحركات التبشيرية و التنصير:

لعب التبشير دورا هاما في التوسع الأوربي و لاسيما بعد الاكتشافات الجغرافية فقد ساهم عدد كبير من الفرق الدينية المبشرة من القارة الأوربية على بث النفوذ الديني و السياسي خارج هذه القارة . وقد وجدت هذه الفرق الدينية الميادين فسيحة لنشاطها التبشيري بالإعلانات المادية و المعنوية، التي كانت تتلقاها من الحكومات ذات النظم المختلفة و غالبا ما كانت هذه الحكومات تعتمد على رجال الدين لما يمتازون به من طرق و أساليب خاصة في بث النفوذ السياسي ، مما أدى إلى انتشار هذه الفرق المبشرة في أسيا و إفريقيا خاصة، و سعت كل واحدة منها إلى بث نفوذ الحكومة التي أيدتها و امدتها بالإمكانيات الضرورية لنشاطها ، و بهذا يمكن لنا آن نقول بان هذه الفرق كانت بمثابة اليد الطولى في التوسع الاستعماري عامة و ندرك من هذا أن التبشير و التوسع كانا يسيران جنبا إلى جنب و يرميان الى نفس الهدف لأنه غالبا ما كانت المحاولات التوسعية تنجح بنشر الدين . و يعتبر القرن التاسع عشر(19م) عصر التنافس الاستعماري الأوربي، على قارة إفريقيا و قد استخدمها المبشرون أداة لتحقيق الأغراض السياسية الأوربية، و يتضح لنا ذلك من خلال الإحصائيات التالية : فقد بلغ عدد المبشرين خارج أوروبا سنة 1810م حوالي ثلاثمائة مبشر و في عام 1900م ستة آلاف و مائة 6100 مبشر كاثوليكي و لكي يتمكن هؤلاء المبشرون من بث نفوذهم الديني عملوا على ترجمة الإنجيل إلى 350 لغة .

وقد كون هؤلاء طرقا فعالة و ناجعة في نشاطاتهم بالمستعمرات فاستعملوا وسائل عدة لجذب السكان إليهم تمثلت في التعليم و الأعمال الخيرية كالتطبيب و فتح مستوصفات و مستشفيات و دور الأطفال اليتامى و غيرها [1]. كل هذه الجهود الفرنسية تهدف لفرنسة و تنصير الشعب الجزائري . فماذا نعني بالتنصير ؟ و ما هي أهدافه ؟

التنصير

معنى كلمة تنصير لغة :

قال ابن منظور في لسان العرب : ان التنصير يعني الدخول في النصرانية اي الدخول في دين النصارى .

[1]- خديجة بقطاش : مرجع سابق ، ص...ص ، 11...14.

و نصره : جعله نصرانيا و في الحديث " كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان يهودانه أو ينصرانه " وفي معنى آخر يعني " نصره تنصيرا " أي جعله نصرانيا " [1].

معنى كلمة تنصير اصطلاحا :

التنصير: حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة و بين المسلمين خاصة، بهدف إحكام السيطرة على تلك الشعوب .[2]

يقول الدكتور إبراهيم عكاشة علي في تعريف آخر لكلمة التنصير اصطلاحا: إن المبدأ العام (لمفهوم التنصير) هو قيام مجموعة من المنصرين باحتلال منطقة معينة، و العمل على تنصير سكانها و إنشاء كنيسة مسيحية تؤول مسؤولياتها الإدارية و المالية تدريجيا للأهالي الذين يقومون بدورهم بتبشير النصرانية في المناطق التي لم يصل إليها المنصرون .[3] كما يقول عنها يحي محمد نبهان" أنها عبارة عن تيار كبير ذو أبعاد دينية، ينتشر في كل دول العالم الثالث،وأنها تتمركز في أندونيسياو ماليزيا وبنغلاديش و الباكستان وفي إفريقيا عامة. و لا يختلف هدفها في الجزائر عن غيرها ففرنسا اعتمدت الطرق نفسها إن المتتبع لفترة الوجود الفرنسي بالجزائر ، يلاحظ أن سياستها التعليمية التبشيرية التي اتبعتها و بكل قوة أرادت من خلالها صبغ الجزائر أرضا و شعبا بصبغة فرنسية، لكي تنشأ أجيالا في ظل جو فرنسي شامل ، فمن بين التعليمات الأولى للإحتلال أن الجزائر لن تصبح مملكة فرنسية إلا عندما تصبح اللغة الفرنسية بين الأهالي و إلى أن تقام مقام اللغة العربية بينهم ، فقد شن الإستعمار حربا على اللغة العربية فغير أسماء المدن و الشوارع و حولها الى أسماء علماء و أدباء و فلاسفة و ضباط فرنسيين ، مثل : باسكال ، فولتير ...و غيرهم [4] ،و قد سنت السلطة الإستعمارية عدة قوانين هدفت من خلالها إلى محاربة اللغة العربية من يبنها قانون 24 ديسمبر 1904م، الذي أصدره الحاكم العام القاضي بعدم السماح لأي معلم جزائري أن يفتح مدرسة تعليم اللغة العربية [5] ، إلى جانب قانون جعل اللغة الفرنسية في الجزائر هي اللغة الرسمية [6]، و في سنة 1938 الثامن من مارس صدر قانون من طرف وزير

---

[1]- ابن منظور : مرجع سابق ، ص 648/3

[2]- السيطرة : و هي القوة السياسية التي تمارس في جماعة تشغل مكانا محددا بواسطة شخص أو مجموعة أشخاص بحيث يتحملون المسؤولية الخاصة بدعم النظام و التكامل داخل الجماعة بوصفها مجتمعا سياسيا ،و تكون أوامرهم مستندة إلى القوة الشرعية . أنظر: عبد الكافي : الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي- إنجليزي) ، ص، 249.

[3]- يحي محمد نبهان : مرجع سابق ، ص 10.

[4]- كميل رسيلير : مصدر سابق ، ص 218.

[5]- يحي بو عزيز : سياسة التسلط الإستعماري و الحركة الوطنية 1830-1954 ، مرجع سابق ، ص 61.

[6]- الفضيل الورتيلاني : مرجع سابق ، ص 97.

المعارف الفرنسي و الذي اعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، و منع تعليمها إلا برخصة من الإدارة الإستعمارية ، كل هذه السياسات كانت تهدف إلى طمس الهوية الجزائرية من خلال محو لغة الشعب الجزائري من الوجود فلا ينطق بها لسان و لا يكتب بها قلم، و بذلك تحقق هدفها التنصيري ،هذه الدعوة التي تسمى أحيانا بالتبشير باعتبارها دعوة إلى الإنجيل [1] ،و

سياسة التنصير في الجزائر هي محاولة الإستعمار الفرنسي القضاء على الإسلام من خلال محاربة ثقافته و حضارته و الاستيلاء على أماكن عبادته، و السعي إلى صبغ الجزائر بصبغة مسيحية لاتينية خالصة حتى يبتعد الجزائريون عن معتقداتهم و يستبدلونها بالمعتقدات المسيحية و لتحقيق ،ذلك عملت السلطات الإستعمارية على تشجيع البعثات -- التنصيرية و تشييد المؤسسات الدينية ، المسيحية و اليهودية و اعتبرت الحج من أسباب التعصب الديني [2] ، و من هنا يمكن القول أن الإستعمار الفرنسي في الجزائر في عملية تنصيره للمجتمع الجزائري شرع أولا في تنصير المحيط قبل الإنتقال إلى تنصير الإنسان، فنشر المسيحية في الأوساط لم تظهر بشكل جلي و جدي، إلا بعد مجيء لا فيجري سنة 1866 .[3]

و مما لا شك فيه أن السلطات الإستعمارية عمدت إلى تغيير وظيفة التعليم من أداة لتكريس الوحدة و التنمية للبلاد ، إلى أداة قاتلة تستعمل لغرض التجزئة و تفكيك الوطن الواحد إلى كيانات مستقلة عن بعضها البعض ، أو خلق كيان جديد ينفصل عن الوطن الأصل لذلك قامت بتسطير التعليم التبشيري في مناطق من الجزائر على حساب مناطق أخرى، وفيما يلي نستعرض باختصار الدور الذي لعبته المدرسة الفرنسية في سياسة التجزئة الإستعمارية للوطن الواحد (الجزائر).

دور المدرسة الفرنسية في سياسة التجزئة الإستعمارية :

لقد ركزت السلطات الإستعمارية جهودها التعليمية في تأسيس التعليم التبشيري ،و كانت منطقة القبائل صاحبة الأكبر هذا باقتراح من جول فيري و من سبقوه الذي طلب من الحاكم الفرنسي في الجزائر في 11 أكتوبر 1880 م ،بفتح أكبر عدد ممكن من المدارس الفرنسية في هذا الجزء من الوطن على أساس أن : هذه المنطقة أكثر تقبلا للثقافة الغربية عامة

---

[1]- محمد عمارة : معركة المصطلحات بين الغرب و الإسلام ، ط2 ، دار النهضة ، مصر ، 2004 ، ص 60.

[2]- التعصب الديني: هو التعصب لدين من الأديان و يؤدي هذا التعصب إلى إنكار الديانات الأخرى، و اضطهاد الأفراد بسبب اعتناقهم دينا من الأديان ،و تدمير أماكن العبادة أو حرقها كما يجري الآن في بعض دول العالم . أنظر : يحي محمد نبهان ، مرجع سابق ، ص 103.

[3]- الغالي العربي و آخرون : مرجع سابق ، ص 280.

وللمدرسة الفرنسية خاصة ، و من هنا يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي : **لماذا ركزت السلطات الفرنسية على بلاد جرجرة [1] بالذات ؟**

فتأسيسها للمدارس و نشر التعليم ليس لهدف العلم و المعرفة لأنه لو كان هذا الدافع الحقيقي فلماذا ركزوا جهودهم في بلاد القبائل فقط ؟ دون غيرها من المناطق بما أن البلاد تحت وطأة الإستعمار بكاملها . إذا هي خطة اعتمدتها محاولة منها خلق النزاعات الإقليمية، و تشجيع الروح القبلية مستغلة في ذلك التنوع اللغوي لاستدراج فئة منها و دمجها بالمجتمع الفرنسي يوصفها بالتفتح الفكري و التسامح الديني، وحب العمل عكس العرب الذين وصفتهم بالكسل و التعصب الديني محاولة خلق مجتمع مسيحي جديد لخدمة المصالح الفرنسية .[2] عملت الإدارة الفرنسية جاهدة لسلخ السكان من ثقافتهم العربية الإسلامية ،خاصة إذا علمنا بأن معظم الزوايا تتركز بهذه المنطقة، و يمكن إيجاز مجموعة الإعتبارات التي ركزت عليها فرنسا في النقاط التالية :

_ كثافة سكان المنطقة و تركزهم في منطقة واحدة .

_ عزلة هذه المنطقة و بعدها عن المدن العربية .

_ الإسلام في هذه المنطقة سطحي و لغة التعامل بينهم ليست العربية ، مما يسهل إبعادهم عن دينهم دون أدنى صعوبة .

فالجمعيات التبشيرية اهتمت منذ الأيام الأولى للإحتلال بالنشاط التبشيري عن طريق تأسيس المدارس و إقامة تعليم موازي للتعليم الجزائري ، كما عملت السلطات الفرنسية على تقديم الإعتمادات المالية و توفير الوسائل لهذه الجمعيات باعتبارها مهمة لتكريس الاستيطان، و القضاء على المقاومة التي كانت الزوايا و المساجد مركزا لها ، و ذلك بتنصير الأطفال و تنصيب لغة فرنسا و حضارتها لحلم تكوين جيل جديد متشبع بالثقافة الفرنسية مدافعا عنها من حيث لا يدري . اعتمد المبشرون على المدرسة لأنها تملك الطفل و تتحكم في مستقبله و قد سخروا عدة وسائل لاختراق حاجز الإسلام كالتطبيب و العمل الخيري كما ذكرنا، و كانت أخطرها التعليم للإعتبارات التالية :

_ سهولة بذر مبادئ المسيحية لدى الطفل

---

[1]- بلاد جرجرة :هي المنطقة التي تقع بين البحر المتوسط من الشمال و مجرى نهر السير من الغرب و مجرى نهر وادي الصومام من الشرق، و هي منطقة جبلية عموما ، و تفتقر إلى السهول و معظمها عبارة عن أحواض داخلية ضيقة ، كما أنها بهلة بالسكان. أنظر: محمد الطاهر وعلي : التعليم و التبشير في الجزائر (1830-1903)، منشورات دحلب ، الجزائر ، ص 73.

[2]- خديجة بقطاش ، مرجع سابق ، ص 139.

_ النمو العقلي المحدود لدى الطفل بحيث يصعب عليه فهم و اكتشاف نوايا المبشرين التنصيرية .

_ سلخ الطفل فكريا من محيطه الإجتماعي و الثقافي و توجيه نظره نحو فرنسا و عظمتها [1] .

لذلك فالمعلم هو السيد في هذه العملية و المبشرون الفرنسيون أتقنوا هذه العملية بمساعدة السلطات الفرنسية ، فانتشرت المدارس التبشيرية الداعية إلى التنصير و فرنسة الشعب الجزائري و بالتالي تخليه عن دينه ، مما يودي إلى تجريده من وطنيته كانتشار الفطريات، و اشتدّ نشاطها خاصة بعد مجيء " دوقيدون " و الجنرال" بيجو" اللذان يعتبران من أبرز الوجوه المدعمة للتعليم التبشيري ، يقول دوقيدون **: "قضيت حياتي وأنا أساند الحركات التبشيرية في كل جهات العالم فكيف تسمح لي أن أقف ضدها في أرض فرنسية – الجزائر** - .[2]ومن بين مدارس التبشير التي توزعت في منطقة القبائل نذكر :

المدينة (أريس) سنة 1896 ، أبركان 1873 ، جمعية الصهاريج 1873 ...[3] و الحقيقة أن التعليم التبشيري هو مكمل للتعليم الفرنسي إلا أنه يغلب عليه الطابع التنصيري و يتفقان في هدف واحد وهو خدمة الإستعمار و محاربة الإرث الثقافي و الحضاري و الإسلام في الجزائر .

و يبدو أن هدف المبشرين فاق التصور، حيث فكروا في إنشاء النظام الداخلي في المدارس لمكوث الأطفال عندهم للتأثير عليهم و إدخالهم في النصرانية و اجتهد المبشرون لدراسة اللغة العربية و البربرية ليس حبا فيها ،و إنما لسهولة تعاملهم مع الشعب، و خاصة في عهد لافيجري الذي بدوره وضح الغرض من تعلم اللغة العربية في النقاط التالية :

_ إحداث تأثير في المحيط البشري

_ تقريبهم من الإنجيل و بالتالي فرنسا

_ التأثير بشكل سلمي على السكان

_ العيش وسط العرب ،و التمكن من التعامل معهم

---

[1]- مصطفى خالدي : عمر فروخ : التبشير و الإستعمار في البلاد العربية ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1986 ، ص ، ص 68،69.

[2]- خديجة بقطاش : مرجع سابق ، ص 153.

[3]- محمد الطاهر بوعلي : مرجع سابق ، ص 74.

فالقائمون على التبشير لهم حرية إختيار البرامج التي يقررونها في مدارسهم، و هذا يعارض المرسوم الصادر في 18 أكتوبر 1883م الذي ينص على الحياد الديني في المدارس، و لكنه ظل حبرا على ورق ، فالتعليم التبشيري مثله مثل التعليم الفرنسي لم يهدف إلى أن ينال الأهالي – الشعب الجزائري – الكثير من العلم و المعرفة ، بقدر ما يهدف إلى زرع البلبلة و التشكيك في هوية الشعب، و رزع التجزئة و تنصير الفرد الجزائري و فرنسته و طمس معالم دينه .

أهداف التعليم التبشيري :

_ إحداث تغيير جذري في بنية المجتمع الجزائري إنطلاقا من الفرد و الأسرة لتكوين جيل جديد نصراني مشبع بالحضارة الغربية متنكرا لماضيه و حاضره .

_ مساعدة الاستعمار في القضاء على جيوب المقاومة عن طريق قتل روح القومية .

_ إيجاد فئة موالية تعمل دور الوسيط بين المستعمر و سكان المستعمرة_ القضاء على الدين الإسلامي الذي يعتبر العقبة الأساسية لإدماج المجتمع الجزائري في الحضارة الفرنسية .[1]

_ إعادة احياء مجد الكنيسة لإدخال الجزائر إلى الحظيرة المسيحية .

_ خلق روح إقليمية، و ذلك بزرع كيان جديد محاولة" زرع كيان قبائلي" منفصل عن الجزائر و هذا أخطر الحروب، مما يؤدي إلى إنتشار الشقاق بين السكان و ذلك بتفضيل العنصر البربري على حد تعبيرهم ، يقول شارل روبير أجيرون في هذا الصدد : **" أصل هؤلاء السكان مسيحي و لا يرون أفضل من الرجوع الى ديانتهم القديمة و أن الدم الذي يجري في عروقهم هو نفس دم الفرنسيين لأن أصلهم روماني مسيحي "** .[2]

لقد أدرك المنصرون خطورة التعليم و أهميته في الوصول إلى غاياتهم، فاتخذوا هذه الوسيلة الشريفة سبيلا للوصول إلى أغراضهم الدنيئة ، يقول أحد المؤرخين في هذا الصدد : **" التعليم أخطر الأمور في حياة الأمم فبسببه ترتفع الأمم إلى القمم الشامخة و بسببه أيضا تنحدرإلى القيعان الهاوية ، من الممكن أن يكون التعليم وسيلة من وسائل التقدم و الرقي، ومن الممكن أن يكون وسيلة من وسائل التأخر و التخلف ."** [3]

---

[1]- عبد العزيز الكحلوت : التنصير و الإستعمار في إفريقيا السوداء ، ط2 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1992 ، ص 99.

[2]- خديجة بقطاش : مرجع سابق ، ص 154.

[3]- حسن حنفي:محمد إقبال فيلسوف الذاتية ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2009 ، ص 58.

و قد عبر محمد إقبال عن هذا فقال : **"إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ، ثم يكونها كما يشاء ، إن هذا الحامض هو أشد قوة و تأثيرا من أي مادة كيماوية وهو الذي يستطيع أن يحول جيل شامخا إلى كومة تراب "**.[1]

فبالرغم من أن الحكومة الفرنسية كانت لا دينية إلا أنها شجعت البعثات التبشيرية، و ذلك مرجعة لسببين : أولهما مساندة الاستعمار و الثاني أن القواد العسكريين المشاركين في الحملات الاستعمارية معظمهم من الحزب الكاثوليكي . و يجب الإشارة هنا أن التبشير المسيحي أبدى اهتمامه بالطرقية ، و ما فيها من غموض و خرافات في محاولة لإبعاد المسلمين عن فهم دينهم بصورة صحيحة .[2]

و بذلك اثبت هؤلاء الطغاة الضالين أن الإنسان في استطاعته و قدرته أن يفوق ابليس في كل أسلوب يخترعه لمحاربة الحق ، و هدم الفضيلة و تحويل الحياة إلى خراب و ظلام و بؤس ،و كل هذه الأساليب طبقت في الجزائر .[3]

و من جهة أخرى لجأ الاستعمار الفرنسي إلى وسيلة كان الشعب الجزائري بحاجتها ألا و هي التطبيب كحيلة للتبشير ، فحين أدرك المبشرون ذلك سخروا الطب في سبيل غايات فرنسا فحسب قولهم : **"حيث نجد بشرا نجد الآلام ، و حيث تكون الآلام تكون الحاجة الى طبيب و حيث تكون الحاجة إلى طبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير "** . و هكذا اتخذ المبشرون الطب ستارا يقتربون تحته من المرض، فإذا كان للأطباء المبشرين مستوصف أو مشفى، فإن مهمتهم الثانية أو الأولى على الأصح تكون أسهل ، حينئذ يستطيع الطبيب أن يجد فرصا مناسبة لينشر بذور التبشير في قلوب المرضى، لذلك يمكننا القول أن المبشرون استغلوا كل شيء في سبيل التنصير (أو محاولة التنصير) هدفهم المنشود [4] ، ففي الوقت الذي كانت فيه الأعمال الطبية أهم ما يفتقده سكان الجزائر، حاول رجال الدين استعمال هذه الوسيلة لتحقيق المطامح التبشيرية و يبدوا أنه بواسطة هذه الخدمات الخيرية تمكنوا من استغلال بعض الأفراد ، وجعلهم يقبلون على المراكز الطبية للمعالجة إن الجهود التي بذلها المبشرون في الجزائر عامة و في بلاد القبائل خاصة، جهود معتبرة جعلتنا نتساءل عن النتائج التي حصلوا عليها؟ [5].

الواقع أنه بالرغم من اشتغال السكان بإقبالهم على التعليم و المعالجة من ناحية، فإنهم من ناحية أخرى لم يستطيعوا أن يكسبوهم دينيا ، و بالصورة التي كانوا يتوقعونها من قبل، و

---

[1] - محمد الطاهر عزوي :الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي ،دار هومه، عين مليلة ، الجزائر ،1999،ص83.

[2] - مازن صلاح حامد مطبقاني : مرجع سابق،ص،ص ،41،39.

[3]- محمد الصالح الصديق : مرجع سابق ، ص 76.

[4]- عبد العزيز الكحلوت :مرجع سابق ، ص 88.

[5] - مصطفى خالدي ،عمر فروخ : مرجع سابق، ص...ص، 58...63.

مع أن الجهود المبذولة لم تكن صغيرة فإن المحاولات التبشيرية لم تتمكن من تحقيق نتائج، و ما تمكن منه المبشرون هو جلب عدد من المغامرين الذين أقبلوا على التنصير ففقدوا مكانتهم بين عائلاتهم بل هددوا بالموت .[1]

فشل سياسة التبشير التنصيرية:

الظاهر أن كل المجهودات و الإجراءات التي اعتمدتها السلطات الفرنسية في البلاد الجزائرية و على رأسها الكنيسة باءت بالفشل ، و لم يغادر لافيجري الحياة إلا بعدما شاهد مجهوداته تتلاشى و الذين تنصروا بفعل الحاجة عادوا إلى الإسلام .[2]حيث صرح بنفسه عن فشل سياسته حين قال **: "إننا خسرنا في الجزائر ما حققناه في لبنان ".**

و ما لتكون هذه النتيجة لولا تمسك أهل الجزائر بالإسلام و حضارته و أبدو معارضة شديدة لكل محاولة تبشير أو إثارة النعرات و يرجع ذلك إلى خاصية مهمة، و هي مفقودة في الوسط الأوربي التي تتمثل في الروابط التي تربط الفرد بمجتمعه و قريته و بلاده .

و يكمن العامل الرئيسي في فشل الحركات التبشيرية في الجزائر عامة و القبائل خاصة أساسا في الزوايا، و تشبث السكان بدينهم رغم تفنن المبشرين في أساليب التبشير و الفرنسة و تعتبر ثورة المقراني و الشيخ الحداد 1871 ثورة ضد التبشير أساسا رغم أن المدرسة الاستعمارية تريد تغليط الرأي العام على أن هذه الثورة سببها إقتصادي ،و لكن في الحقيقة يرجع أساسا إلى حملات التنصير بالمنطقة التي مست القبائل في صميم دينهم بتواطؤ العسكريين و السلطة بباريس ، هذه الثورة شارك فيها قرابة 200 ألف مجاهد لتؤكد هذه الثورة أنها ضد الإندماج فأفشلت سياسة " لافيجري " الهشة بالمنطقة .[3]

و مما سبق نستنتج أن : الجهود و الوسائل التي اعتمدتها السلطات الفرنسية باءت كلها بالفشل بما في ذلك الجهود التبشيرية فشلا ذريعا، و هو الأمر الذي جعل المبشرين يركزون جهودهم على تعليم اللغة الفرنسية متخذين في ذلك وسيلة أخرى لعلها تأتي ثمارها في ميدان إبعاد الفرد الجزائري عن منبع دينه و فخر وجوده الإسلام .

المبحث الثالث : إقامة المحاكم الفرنسية و نفي الأئمة :

لا يختلف إثنان في أهمية القضاء في أي بلد ، و إن بلدا كالجزائر خضع للاحتلال الأجنبي أول ما واجهه هو تطبيق الأحكام الشرعية حيث أن ما فهم من إتفاق سنة 1830، بين الداي حسين و دي بورمون هو إحترام الدين الإسلامي و تطبيق الشريعة الإسلامية ،و جريان

---

[1]- خديجة بقطاش : مرجع سابق ، ص 157.

[2]- نفسه ، ص 158.

[3]- رابح دبوب : مرجع سابق ، ص 139.

أحكامها على أيدي القضاة المسلمين ، غير أن الفرنسيين أخذوا يغيرون القوانين و يفرضون قوانينهم ، و يجردون القضاة المسلمين من صلاحياتهم إلى أن لم يتبق لهم ما يحكمون فيه سوى الأحوال الشخصية .

شعر الفرنسيون أنهم ما لم يسيطروا على القضاء الإسلامي فان شخصية الجزائر تظل قائمة و المقاومة بمختلف أشكالها تظل مستمرة ، فالقاضي هو رمز السلطة الشرعية و الساهر على تطبيق أحكام الدين، و بإمكانه من هذا الموقع أن يعارض السلطة الفرنسية بصفة مباشرة أو غير مباشرة، باعتباره الوسيط بينها و بين الشعب و من ثم يظهر أن دور القاضي كان أكثر خطورة من دور المدرس أو إمام المسجد على الأقل بعد فصل الفرنسيين بين صلاحيات الثلاثة، (القاضي ، الإمام ، المدرس) [1] ،كان القضاة في الماضي يتكونون في نفس المدرسة التي يتكون فيها العلماء و الفقهاء ، فهم رجال الدين بالمفهوم الواسع للكلمة و هم أيضا من العلماء المفسرين للأحكام و الفقهاء المصدرين لها . و لقد استفاد الفرنسيون من بعض العلماء الذين وجدوهم و رضوا بالتعامل معهم في بداية الاحتلال فعزلوا بعضهم و نفوا القضاة ،و عينوا آخرين مكانهم كما فعلوا مع رجال العلم الآخرين، و رغم أنهم أهملوا وظيفة التدريس و لم يعطوا أهمية للأئمة و السلك الديني، فإنهم أعطوا أهمية خاصة للقضاة لما لهم من علاقة بسير الحياة التجارية و المدنية و الجنائية في البلاد ،ذلك أن الإدارة الفرنسية كانت في حاجة ماسة إلى مساعدة القضاة في استمرار الحياة على المستوى الإداري و الأمني و الديني خاصة . [2]

و الواقع ،أن الحاكم العام هو الذي كان يقوم بتعيين القضاة فبعد نفي كبار الأئمة و العلماء استمرت السلطات الفرنسية في الإعتماد على بقية في تعيين القضاة منهم، إلى سنة 1870 كان القضاة ما يزالون يتمتعون بأهمية الإدارة الفرنسية ،و لكن منذ الجمهورية الفرنسية الثالثة تقلص دورهم فتغير أيضا برنامج المدارس الشرعية تبعا لذلك، ومهما كان الأمر فإن مصدر القضاة في الأحكام هو مختصر الشيخ خليل بن إسحاق في الفقه المالكي و شروحه، و قد قام علماء الإستشراق الفرنسيون بترجمته إلى الفرنسية ،و اعتمدت عليه أيضا المحاكم الفرنسية بشأن المسلمين بعدما أن أخذت من المحاكم الإسلامية صلاحيتها .

كان القضاة المسلمون في نظر الشعب هم رموز السلطة الباقية ، سلطة الدين التي تعني الهوية في كل أبعادها ،فهم يمثلون التحدي السياسي و المقاومة الثقافية و جذور المجتمع المتميز عن المجتمع الفرنسي ،حيث كان تحطيم جهاز القضاء الإسلامي في نظر الفرنسيين يدخل في مخطط تحطيم المجتمع الجزائري الشامل [3] ،مثله مثل القضاء على اللغة بجعلها

---

[1]- أحمد توفيق المدني هذه هي الجزائر : مصدر سابق ، ص 138.

[2]- أحمد توفيق المدني:هذه هي الجزائر ،مصدر سابق، ص139.

[3]- شارل روبير أجيرون : مصدر سابق ، ص ، ص ، 120،121.

أجنبية و القضاء على الدين الصحيح بتشجيع الخرافات إنه مخطط شامل، و لكنه سار على مراحل حسب الحاجة الفرنسية في ذلك كان القاضي محل تقدير وهيبة عند الجميع [1]، فهو يمثل الدين، حيث كان القضاة متوفرين في المدن و الأرياف ، ففي المدن الرئيسية قاضيان مالكي و حنفي فهم المكلفون بالفصل في جميع القضايا ،وكذلك قضاة الريف و لكن ليس لهم مجلس يرجعون إليه كما لأهل المدينة ،و لكن يرجعون بقضاياهم إلى العلماء أي رجال الدين و الصلاح المشتهرين بينهم [2] ،و هم ليسوا بأصحاب الطرق الصوفية فهم كانوا يحكمون بين الناس بالعدل و يصلحون ذات البين ، و يجعلون المجتمع يعيش في أمن و انسجام ،و لكن السلطة الفرنسية أنهت صلاحيات قضاة الريف و أعطت صلاحيات القضاء إلى القياد و المكاتب العربية ، ثم تولتها المحاكم الفرنسية التي سنتحدث عنها ، و يبدو أن تطور الموقف من القضاء الإسلامي بالجزائر قد كان يتطور بتطور الاحتلال نفسه ،فقد ترك الفرنسيون في بادئ الأمر المحاكم الإسلامية تعمل و لكن تحت نفوذهم و لكن استمرار وضع المحاكم الإسلامية على هذا النحو لم يعد يرضي الفرنسيين بعد التوسع في الاحتلال ، فأخذوا يغيرونها و يتدخلون في شؤونها بالتدرج ، فافتعلوا قصة أن أحكام القضاة المسلمين متهاونة أو متساهلة ،وهي تنتهي بحكم البراءة و الصلح بين المتخاصمين وهم – الفرنسيون – لا يريدون ذلك و قد فسروا تساهل القضاة الجزائريين بأنه موقف سياسي ضد الاحتلال هدفه التعاون بين الجزائريين، و بذلك كان إنشاء الإزدواجية في القضاء و الذي يعنى به إنشاء المحاكم الفرنسية إلى جانب المحاكم الإسلامية .

إنشاء المحاكم الفرنسية :

إن إنشاء الإزدواجية في القضاء يتماشى مع الإزدواجية في التعليم ،من حيث إنشاء المدرسة الفرنسية إلى جانب المسجد و الزاوية، ليفرضوا على الجزائريين المقارنة من جهة و الرقابة من جهة أخرى حيث كان قضاة المستعمر لا يثقون بقضاة الجزائر، فكانوا يراقبون أحكامهم كما لاحظوا أن الجزائريين يفضلون احكام القضاة المسلمين لأسباب دينية[3] . و خاصة أثناء المقاومات الشعبية فبعد سنة 1874 تغيرت السياسة القضائية فلم يعد القضاة المسلمين هم الذين يصدرون الأحكام بين الأهالي ،بل أصبح الفرنسيون هم من يقومون بذلك و تماديا في المس بالدين الإسلامي ترك الفرنسيون الحرية للمتقاضي إما أن يختار الحكم حسب العرف القبلي أو حسب الشريعة الإسلامية ،و لكن هذا الإختيار كان مؤقتا فبعد سنة 1889 حاولت فرنسا إجبار السكان على التحاكم أمام المحاكم الفرنسية فقط ، و لكن الأهالي قاوموا ذلك و تمسكوا بالشريعة الإسلامية .

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، مرجع سابق ، ص 423.

[2]- أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4، مرجع سابق، ص423.

[3]- نفسه، ص...ص، 427...429.

و هكذا ظهرت الجمهورية الثالثة و هي تضرب بعنف كل رمز من رموز الهوية الجزائري و منها القضاء الإسلامي [1]، و من جهة أخرى نقص عدد قضاة الجزائر نقصا كبيرا بعد أن أعطيت صلاحياتهم للقضاة الفرنسيين .

فقد قامت فرنسا بإنشاء قانون الأهالي الإستثنائي البغيض سنة 1871، و ظلوا يدعمونه بقوانين إضافية إلى أن وصلت مواده إلى أكثر من 25 مادة ، ومن ذلك محاكم الردع و السجن بدون محاكمة و الإعتقال بالشبهة ،و تشتمل مواده أيضا الضرب و التغريم و النفي و السجن و غيرها دون اللجوء إلى المحاكم و القضاة، و قد وحد القضاة المسلمون أنفسهم وسط مأزق من جهة كانوا يمثلون السلطة المتعسفة، و من جهة أخرى كانوا يمثلون في أعين المواطنين سلطة القانون و الشريعة .

كما عملت السلطات الإستعمارية على إدخال مصطلحات جديدة على القضاء بالجزائر و كلها تقريبا مصطلحات مترجمة عن الفرنسية ،ولا عهد للشريعة الإسلامية، بها فأصبح هناك محاكم الجنايات ، محاكم العرق ، محاكم ابتدائية ، محكمة النقض ، محكمة الجرائم ، محكمة دائرة الإستئناف ، مجالس تأديبية ، غرف الإتهام ، الأحكام المستعجلة ، محامون ، شهود المعاملات ، تغريم مشترك أو جماعي ، حجز الأملاك ، بالإضافة إلى المحاكم العسكرية أو المجالس الحربية و غيرها كثير . [2]

ففي سنة 1930 أصبحت المحاكم الجنائية بالجزائر حوالي أربعة (04) ،و المحاكم الإبتدائية سبعة عشر (17) ،و محاكم قضاء الصلح العادية سبعة عشر (17)، و محاكم قضاء الصلح ذات السلطات الواسعة (96)، و المجالس العسكرية أربعة عشر (14) و محاكم تجارية حوالي (04) أما محكمة الإستئناف واحدة بالعاصمة فقط ، بالإضافة الى المجالس العرفية عددها أربعة (04) و الملاحظ أنها محاكم فرنسية يتولاها قضاة فرنسيون و لا دخل فيها للقضاة المسلمين .

إن الضغط و الهجوم على القضاء الإسلامي من قبل الفرنسيين جعل القضاة الجزائريين يتحركون و سنتحدث هنا عن تحرك بعض الأفراد ثم التحرك الجماعي، أي المطالبة بتغيير الأوضاع ، فالفرنسيون كانوا ينظرون إلى القضاء الجزائري على أنه إستمرارية الهوية الجزائرية الإسلامية لذلك كانوا يطالبون بإلغاء دور القضاة المسلمين ،الذين يعتبرونهم نخبة تقليدية مرتبطة بالدين و اللغة ، كما كانوا ينظرون إليهم على أنهم عقبة في وجه تطبيق

---

[1]- أبو القاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4، مرجع سابق، ص،ص، 456 ، 457.

[2]- ابو القاسم سعدالله : تارخ الجزائر الثقافي ج4 ، مرجع سابق، ص...ص ، 458 ... 460.

القوانين الفرنسية ، و دمج الجزائر في البوتقة الفرنسية . فالقضاء في القطر الجزائري مصيبة من أعظم المصائب الإستعمارية التي تكبدتها البلاد .[1]

ومنه نخلص إلى أن هدف فرنسا إقامة قضاء فرنسي موازي للقضاء الإسلامي بالجزائر ما هو إلا حيلة لإضعاف الوازع الديني في نفوس الجزائريين و إنقاص ثقتهم أحكام الشريعة الإسلامية، فبإقامتها لمحاكم فرنسية و نفيها لمعظم أئمة الجزائر قللت من تمدد الجزائريين على المحاكم الفرنسية ،و بالتالي إنتشار الشقاق و عدم الاتفاق بين الشعب الجزائري الذي كانت الشريعة الإسلامية مصدر احتكامه و عدالته ، و لكن محاولاتها لم تنجح لأن الأهالي قاموا بالتمسك بمبادئ الدين الإسلامي و الشريعة الإسلامية .

[1]- أحمد توفيق المدني : مصدر سابق ، ص 139.

الفصل الرابع: المواقف وردات الفعل الجزائرية

المبحث الأول: موقف المصلحين الجزائريين

المبحث الثاني: التوعية الشعبية

المبحث الثالث: انعكاسات السياسة الفرنسية على المجتمع

إن الحركة الإصلاحية هي ضرورة تاريخية لتجاوز الواقع المأساوي لتلبية متطلباتها و تطلعاتها الثقافية ، السياسية ، الإقتصادية و الإجتماعية فحملت الحركة الإصلاحية الإسلامية هذه التطلعات وقيم الحضارة الإسلامية لها . فالحركة الإصلاحية أداة لمقاومة ثقافة الإستعمار، و تركت الحركة الإصلاحية تراث سجل مدى فهمها لواقع المجتمع فقد استعانت بعدة وسائل و أساليب لإرشاد المجتمع الجزائري على الظلم الذي كان يعيشه . فكان لها أثر كبير في توحيد صفوف الشعب للوقوف ضد الإستعمار و سياسته و استرجاع الحرية و الإستقلال .

المبحث الأول : مواقف المصلحين الجزائريين

تمثلت أهم مواقف رواد الإصلاح الجزائري في السياسة الفرنسية الظالمة التي مورست في حق الدين الإسلامي و المتمثلة في التعصب الديني الفرنسي، [1] في جهودهم الإصلاحية بإنشائهم للمدارس و النوادي و الصحف و المساجد لنشر التعليم العربي و مبادئ الدين الإسلامي الصحيح، و إحياء الثقافة العربية الإسلامية ،إضافة إلى مقاومة جهود جمعيات التبشير التي وجدت لنشر المسيحية بين الجزائريين لأنه شكّا كان في نفوس الفرنسيين أن القرآن الكريم هو سبب السخط الشعبي عليهم، و قد أكد هذه الظاهرة أحد النواب في البرلمان الفرنسي، ومن ثم قرار الفرنسيين تصفية الإسلام فبذلك كان تصدي علماء الجزائر المصلحين لهذا التحول الخطير المتمثل في التعصب الفرنسي تجاه الدين الإسلامي .[2]

و على رأسهم الإمام عبد الحميد ابن باديس الذي أدرك و رفاقه(الشيخ العربي التبسي ، مبارك الميلي، الطيب العقبي، البشير الإبراهيمي)[3] حاجة الأمة الجزائرية إلى وسائل و إجراءات لرفع الجهل على العقول و تعمل على تزكية النفس ، فقد هيأ الله لهم أهل الخير فأصلحوا شؤون الطلبة و أسسوا أزيد من أربع مائة (400) مدرسة موزعة في جميع أركان القطر الجزائري ، تؤدي الرسالة بوفاء و صدق و وعي هيأ حقيقة إلى تكوين جيش كبير – كما عبر الإبراهيمي – من المعلمين و الوعاظ و الصحفيين الذين كان لهم الفضل بعد الله عز و جل في إحياء و ترميم ما هدم و أمات الإستعمار الفرنسي .[4]

---

[1]- محمد الأمين بلغيث : مرجع سابق ، ص 133.

[2]- نبيل أحمد بلاسي : مرجع سابق ، ص،ص 31،32.

- [3] Collot Coude, henry-jean Robert : mouvement national Algérien , textes (1912-1954),edition2 o.p.u,Alger ,1981 ,p23.

.

[4]- محمد الأمين بلغيث : مرجع سابق ، ص 133.

كان العلماء يرمون من وراء تلك الجهود إلى ترسيخ دعائم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، و الإبقاء على حيويتها حتى تمكن النشء الجزائري من دراسة مبادئ الإسلام حتى تنمو شخصيته نموا عربيا إسلاميا صحيحا ،يخالف تكوين و عقيدة دولة الإحتلال و الدليل على ذلك إشتمال منهج الدراسة بالجامع الأخضر بقسنطينة على نفس منهج التعليم العربي الذي اشتمل على المواد التالية : تفسير القرآن الكريم و تجويده ، الحديث النبوي ، الفقه على المذهب المالكي ، العقائد الدينية ، الآداب و الأخلاق الإسلامية ، آداب اللغة العربية ، الرياضيات .

و من أجل تدعيم الإسلام ، الدين الذي تدين به الشخصية الجزائرية نهجت بقية الزوايا و المساجد نفس طريقة الجامع الاخضر، و ذلك لمواجهة محاولات الاستعمار الفرنسي النيل من الإسلام ، هذا الجامع الذي كان يلقي به فارس الإصلاح ابن باديس دروسه الدينية ، حيث سار ابن باديس و العلماء على 03 محاور تمثلت في جهودهم العلمية ، الدينية و الثقافية ، فعلى المحور العلمي كانوا يدعون إلى العلم و نشره عن طريق إنشاء المدارس و المساجد و النوادي العديدة في كامل أنحاء الوطن الجزائري .[1]

أمّا على الصعيد الديني و الذي هو محور دراستنا : فقد بذل علماء الإصلاح في الجزائر و على رأسهم رؤساء الجمعية جهودا كبيرة في سبيل تعليم الدين الإسلامي و تطهيره من البدع و الخرافات و العودة به إلى سيرة السلف الصالح ، أما اللغة العربية فهي لغة الدين و بالتالي فهي و الدين متلازمان ،و من ثم كان العلماء يركزون في دعوتهم على تعلم الدين و العربية . أما عن المحور الثقافي فقد تمثل في تعميق الأخلاق الحميدة التي دعا إليها الإسلام في نفوس طلاب مدارسهم، و قاصدي مساجدهم ،و رواد نواديهم، و محاربة الرذائل و الأخلاق الفاسدة [2] .و كان ابن باديس و جماعته يهدفون بجهودهم هذه من هذه المحاور إلى رفع مستوى مواطني لجزائر دينيا خاصة، و طبعا هذه الجهود لم تكن تتفق مع وجهة النظر الاستعمارية التي كانت ترمي إلى تذويب شخصية الشعب الجزائري بمقوماته الأساسية هذا من جهة و من جهة أخرى رفض علماء الجزائر و رجالها الدور الثانوي للقضاة المسلمين، و تجنيس المجتمع الجزائري بتطبيق قوانين المحاكم الفرنسية [3]، و قد اعتمد رجال الإصلاح في الجزائر عدة طرق و وسائل للتصدي لهذه السياسة الإستعمارية الرامية للنيل من الإسلام .

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد (1931-1945) الجزائر 1996 ، ص 220.

[2]- محمد بهى الدين سالم : مرجع سابق ، ص 109.

[3]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، مرجع سابق ، ص 461.

الوسائل التي وظفها العلماء الجزائريون في مواجهة السياسة الفرنسية تجاه الدين الإسلامي

01/ الدروس الدينية في المساجد و المحاضرات العامة في النوادي :

حرص أعلام الجزائر على إقامة الدروس الدينية في المساجد الحرة ، وكذا إلقاء المحاضرات المتنوعة ذات التوجه الوطني في النوادي التي أسست على أيديهم، عبر مختلف مناطق التراب الوطني ،و قد كان القصد من وراء هذه الدروس و المحاضرات التعريف بالإسلام الصحيح و مكافحة الإلحاد و التنصير الذي كانت الجهات الاستعمارية جاهدة في نشره ،و ترسيخه في واقع المجتمع الجزائري و كذا تعريف الإنسان الجزائري بحقيقة هويته التي تسعى فرنسا من وراء سياستها القضاء عليها .

و قد اتبع العلماء في المساجد طريقة السلف في الوعظ و الإرشاد يذكرون بكتاب الله، و يقومون بشرحه والأخذ بالسنة النبوية [1] و قد كان أسلوب العلماء في التعليم الديني هو الاهتمام بالمعنى و النفوذ إلى صميمه من أقرب سبيل يؤدي إليه ، و تجنب اللفظيات و كل ما يبعد عن تصور المعنى المقصود، و ذلك من أجل هدف واحد و هو جعل الفرد الجزائري يدرك أهمية دينيه و يسعى لحمايته و التمسك به .

_ كما كان للنوادي التي استغلها علماء و رجال الدين الإسلامي في بث أفكارهم الدينية و دعوتهم للرجوع لأصله دورا كبيرا في إلقاء عشرات المحاضرات الهادفة لذلك [2]، وخاصة محاضرات العلماء الثلاثة عبد الحميد ابن باديس ، الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ الطيب العقبي .

و كان لبروز هذه النخبة من العلماء و رجال الإصلاح دور كبير في التوعية الشعبية ، هذه النخبة المسلمة التي تخرجت من المدارس و المعاهد الإسلامية ،غرست روح المقاومة في نفوس الجزائريين و ذلك من خلال الاستعانة بالمدارس و النوادي الدينية كما ذكرنا، فقد عمل كل منهم ما بوسعه لمحاربة سياسة فرنسا الهادفة لسلخ الفرد الجزائري من مجتمعه و إبعاده عن قيمه ، و العمل على تنصيره و فرنسته . فالشيخ الطيب العقبي مثلا : حارب البدع و الخرافات أشد محاربة فكان أعنف رجل في الجمعية ،واجه ظاهرة الشعوذة و الخرافة و البدعة ،حيث ركز في نهجه الإصلاحي على القضاء عليها ،و استهدفت بذلك استرجاع مبادئ و قيم الدين الإسلامي و تنقية العقيدة من الشوائب و الضلالات لان ذلك

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي : آثار البشير الإبراهيمي ، ج3 ، عيون البصائر ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 ، ص 69.

[2]- علي مراد : مرجع سابق ، ص ، ص 173،174.

أساس كل عمل دعوي إسلامي، و لذلك شن الشيخ العقبي حملة قوية ضد رجال الزوايا و الطرق الصوفية و أل الشرك الذين عملوا على تنويم الفكر الجزائري و إبعاده عن دينه الصحيح [1] خاصة و أن الوسط الحجازي الذي عاش فيه العقبي كان يختلف في وضعه العلمي و الديني عن الحالة التي كانت تعرفها الجزائر في القرن العشرين، رغم جهود رجال النهضة الجزائرية و روادها الأوائل أمثال عمر بن قدور في مواجهة الأمراض الإجتماعية الفتاكة التي كادت تقضي على روح المجتمع الجزائري، بسبب ما لحق بالعقيدة و الشعائر الدينية و العبادات من بدع و خرافات .[2]

و بما أن العقيدة هي تهذيب السلوك و تزكية النفس و توجيهها نحو المثل الأعلى ، فضلا عن أنها حقائق ثابتة و هي تعد من أعلى المعارف الإنسانية، إن لم تكن أعلاها على الإطلاق ، نجد العقبي قد ركز تركيزا تاما على ضرورة تطهير العقيدة .

و لعل اهتمام العقبي بالعقيدة الإسلامية قد تجلى في دوره الصحافي، حيث ،أن الصحافة العربية الجزائرية اهتمت بالقضايا الدينية أكثر من الإتجاهات الأخرى السياسية و الإقتصادية و غيرها ،حيث أن اغلب هذه الصحف كانت تندد في صفحاتها الأولى بضرورة نشر تعاليم الدين، و تطهيره من الشوائب و الخرافات التي علقت به و الدعوة إلى الأخلاق و الفضيلة الإسلامية ،بل و أن بعض هذه الصحف تتخذ هذه الأهداف مبدأ لها و شعارا لصفحاتها الأولى و من بينها جريدة صدى الصحراء .

و كما ذكرنا فان الشيخ الطيب العقبي وجه عناية خاصة لإصلاح العقيدة ،و ترجم ذلك من خلال جريدة الإصلاح الأولى و الثانية ، و في خطاب للشيخ البشير الإبراهيمي ، نشر بجريدة الشهاب ، المجلد 09 أوت 1933 يقول فيه **:" أن إجتماعنا كان أساسه هدفين شريفين في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن و هما : إحياء مجد الدين الإسلامي و إحياء مجد اللغة العربية "** فأما إحياء مجد الدين الإسلامي فبإقامته كما أمر الله أن يقام بتصحيح أركانه الأربعة : **العقيدة و العبادة و المعاملة و الخلق** . و أما إحياء اللغة العربية فهي لسان الدين و المترجم عن إسراره و مكوناته .[3] وأصل البشير الإبراهيمي إلى جانب رفاقه في الجهاد ضد المسيحية و الإستعمار بشتى الأساليب و الوسائل ،و انتشرت الفكرة الوطنية و الإصلاحية في صفوف الشعب كالنار في الهشيم .[4]

---

[1]- أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية ، مذكرة ماجستير ، مرجع سابق ، ص 71.

[2]-عبد المجيد بن غدة و آخرون : مرجع سابق ، ص ، ص 50 ،51.

[3]- محمد الصالح الصديق : الجزائر القدوة ، مرجع سابق ، ص 135.

[4]- عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين و علاقتها بالحركة الوطنية ،مرجع سابق، ص 33.

و قد تفطن علماء الإصلاح لخطورة الطرقية على الشعب الجزائري ،فحاربوهم لهدفين أولا لأنهم ينشرون البدع و الخرافات و الضلالات، و الثاني لأنهم يؤيدون الإستعمار لما تحقق لهم من مصالح مادية .[1] و خاصة كلما تقدمت جمعية العلماء في نشاطها الإصلاحي، و هكذا فقد جد الاستعمار الفرنسي في أحكام الحصار على الدين الإسلامي و و بسط السبل لفرض المسيحية حتى تغدو منتشرة وسط المجتمع الجزائري ، كما عمل على تفتيت المقومات الذاتية للفرد و الأسرة و المجتمع .[2]

2 _ العناية بالتربية و التعليم

اهتم علماء الإصلاح في الجزائر بالتعليم و التربية الإسلامية و خاصة بعد تأسيسهم الجمعية حيث ركزوا على إنشاء المدارس العربية في شتى أنحاء القطر و كانت أولها : مدرسة التربية و التعليم بقسنطينة ، مدرسة الشبيبة الإسلامية في الجزائر ، مدرسة تهذيب السنن المحمدية بتبسة ، كما قاموا بفتح عشرات المدارس الإبتدائية لأبناء الشعب الجزائري الذين لم يترددوا في الإلتحاق بها، و كانت هذه المدارس تعلم الناشئة مبادئ الدين و التربية الإسلامية الصالحة حيث كان معظم دروسها تتمحور حول العقيدة و التفسير ، الحديث ، اللغة ، المواعظ ، التجويد ، أصول الفقه ، المنطق ، البلاغة ...و مثال ذلك جهود ابن باديس التعليمية التي استهلّها بالتعليم في الجامع الأخضر بقسنطينة و انتهت بتلك الشبكة المتشعبة من مدارس في مختلف أنحاء القطر الجزائري .

هذا المصلح الجزائري الذي كان داعية موفقا للإصلاح الديني الإسلامي الجزائري حسب معظم الكتابات التاريخية و قائدا موهوبا و نعمة من الله سيقت إلى الشعب الجزائري المسلم العربي في محنه ،و شدائده هذا المصلح الذي أدرك منذ البداية أنه ما من أمّة يمكن أن تنهض حقيقة إلا عن طريق التربية و التعليم و أن هذه الأخيرة لا تكون مجدية إلا عن طريق تصحيح العقائد و تقويم الأخلاق .[3]

كان اقتناع ابن باديس بأهمية نشر و تقوية الوازع الديني و الخلقي في نفسية الشعب الجزائري المسلم هو الذي ينادي بضرورة حفظ القرآن الكريم و التدبر في معاينته و العمل به بالإقتداء بالسلف الصالح لأن القران هو الذي كون رجال السلف ،و ما دام الفرد المسلم هو محور العملية التعليمية عند ابن باديس و التي أساسها التثقيف الإسلامي لمحاربة

[1]- مازن صلاح حامد مطبقاني : مرجع سابق ، ص 31.

[2]- محمد بهى سالم : مرجع سابق ، ص 91.

[3]- محمد بهى سالم : مرجع سابق ، ص 92.

التغريب و الفرنسة فإن صلاح المجتمع في رأيه لا يكون إلا بصلاح الفرد و إصلاح الفرد لا يكون إلا عن طريق تطهيره لنفسه من تقاليد و معتقدات الغرب .[1]

و حتى يستطيع ابن باديس تحقيق الأهداف التربوية و التعليمية الموجودة و التي من بينها محاربة الأفكار الفاسدة و الفرنسة اقترح جملة من التغييرات تضمنت مناهج التعليم و طرقه و يمكن تلخيصها فيما يلي : اللغة العربية تدرس بتطبيق قواعدها ، العقائد تؤخذ مع ادلتها من القرآن الكريم ، التربية الخلقية يعتمد في تدريسها على آيات و أحاديث و آثار السلف الصالح ، الحديث يدرس بنفس الطريقة مع التفسير .[2]

بالإضافة إلى أن عبد الحميد ابن باديس كان مدرسة أخلاقية بما طبع عليه من تواضع و نبل و شهامة و وطنية تخرج من هذه المدرسة جيل كبير له أثره البعيد في سلوك الشعب الجزائري ،و في مجال الدين وردا على سياسة فرنسا في التوجيه الخطأ لشعب الجزائر صاح عبد الحميد في قومه **" ...إن الأمة الجزائرية لم تزل حية و ستبقى حية بالرغم من استعمارها .. بالرغم من تكالب عليها من شرور و ما أدخل عليها من عوامل الفسخ و المسخ و الفناء و ستبقى حية ما دامت تحافظ على لغتها العربية "** فمن أجل ذلك أنشا – مع رجال جمعية العلماء المدارس الحرة و النوادي و المنظمات في مختلف أقطار الوطن الجزائري ،و ظل طيلة عمره يلقي الخطب و المحاضرات و ينشر البحوث و المقالات و يلقي الدروس في مختلف العلوم الدينية و العقلية ، كل ذلك للتوعية و التهذيب و إعداد الإنسان الجزائري خير إعداد ،[3] فبالرغم من مقاومة الإستعمار للشيخ عبد الحميد و تضييق الخناق عليه، كان يواصل كفاحه في حماسة و قوة و نشاط لا يمل و لا يفشل حيث اشتهر بقوة الإيمان ،و رسوخ العقيدة ، فكم وقف أمام جبابرة الإدارة الفرنسية عندما يساق إليهم متهما بعداء الإستعمار الفرنسي، فيسكتهم بحجته و يسمعهم ما لا يرضون سماعه .

_ توظيف الصحافة في فضح دسائس الإستعمار و كشف خبايا مشروعه الإستدماري :

لقد أسس علماء الجمعية عددا من الصحف والمجالات التي اتخذوا منها منبرا لنشر أفكارهم وبث الوعي في نفوس الجزائريين ، فيما يخص حياتهم الدينية التي تسعى الدولة الإستعمارية لتوجيهها في عكس اتجاهها الصحيح ألا و هو الإسلام بهدف طمس هويتهم .[4]

---

[1]- نفسه ، ص ، ص 97 ،98.

[2]- مرجع نفسه ، ص 102.

[3]- محمد الصالح الصديق : شخصيات و مواقف ، مرجع سابق ، ص 247.

[4]-عبد الوهاب بن خليف : الوجيز في تاريخ الجزائر ، من 1830 - 1954 ، ط2 ، دار بني مزغنة ، الجزائر ، 2006 ، ص 117.

و الحق أن تأسيس الصحف من قبل رجال الإصلاح الجزائريين، كان قد بدأ قبل تأسس الجمعية نفسها حيث شارك الإمام ابن باديس بتأسيس جريدة المنتقد سنة 1925 و التي أصدر منها ثمانية عشر عددا فقط ثم أوقفتها الإدارة الفرنسية، و بعد توقفها أسس الإمام جريدة الشهاب التي تحولت إلى مجلة شهرية و ظلت تصدر حتى أوقفها الإمام نفسه، سنة 1939 ، كما شارك الشيخ الطيب العقبي في تأسيس جريدة (صدى الصحراء) لمحمد العابد العقبي سنة 1925 ليؤسس بعد ذلك جريدة خاصة به هي الإصلاح ، التي بدأت في الصدور سنة 1927 .[1]

و بعد إنشاء الجمعية أسس قادتها جريدة الشريعة المحمدية ثم جريدة السنة النبوية ثم جريدة الصراط السوي ، و لكن الإدارة الإستعمارية سارعت إلى منع هذه الصحف و تعطيل صدورها الواحدة بعد الأخرى . و كانت آخرها جريدة البصائر التي أصبحت لسانها الرسمي و حملت راية البيان العربي ،و كافحت من اجل اللغة العربية و إرجاع الإسلام إلى عهده الزاهر و تصارعت مع الإدارة الاستعمارية دفاعا عن مؤسسات الجمعية و مبادئها .

كل هذه الصحف أدت دورا بارزا في تعريف الجزائريين بتاريخهم و دينهم و انتمائهم و نشرت الوعي الوطني، و عرفتهم بواجباتهم تجاه دينهم بما تتضمنه من مقالات متنوعة تبارى في كتابتها أعضاء الجمعية .

كما حرص علماء الجمعية إلى جانب جهودهم التعليمية و الصحفية لمواجهة سياسة لا دين الفرنسية على الاتصال بعامة الناس، و الإحتكاك بهم بإلقاء الخطب عليهم و المحاضرات الدينية بالتذكير بالله و التنبيه على مصالح الدنيا و الآخرة و كان أكثرهم حرصا على هذا النوع من النشاط هو الإمام عبد الحميد ابن باديس بل و أنهم كانوا يزورون عمال الجزائر بفرنسا لتفقد احوالهم و الإشراف على استيعابهم تربية و تعليما لهم و لأبنائهم ،و قد تخصص لهذا الغرض إثنان من كبار تلاميذ الإمام ابن باديس وهما الفضيل الورتلاني و السعيد صالحي .[2]

و يمكن القول أن أبرز مواقف رواد الإصلاح الديني بالجزائر تجلت في مواقف الجمعية من البدع العامة و الشعائر المستحدثة، كبدع المساجد و بدع الجنائز، و بدع المقابر، و بدع الحج و بدع الاستسقاء، و بدع النذور ،كما وقفت من بدع الطرق و ضلالات الطرق وقفة المنكر المشتد الذي لا يخشى في الحق لومة لائم ، في وقت استحكمت فيه هذه البدع حتى

[1]- نفسه، ص ،ص 27،76.

[2]- عمارة عمورة : مرجع سابق ، ص، ص 172،173.

أصبحت دينا مستقرا و عقيدة راسخة فغيرت بالقول و أغارت بالفعل و بينت بالدليل و قاومت بالحجة، و طبقت بالعمل، و كان في عمل أعضائها إسوة حسنة للناس و شعارها في هذا الباب ان كل محدثة في الدين بدعة و كل بدعة ضلالة .

و قد أقر الله عينها بإماتة بدع كثيرة و إحياء سنن كثيرة و إنها لترجو – بمعونة الله – أن تقضي على البقية الباقية من البدع رغم صراخ المبطلين و عويل المستغلين ، ومن برنامج جمعية العلماء المسلمين مقاومة التبشير بقدر المستطاع ،و لم تتوفر لها الوسائل الكافية لتنظيم مقاومة منتجة و أهم عنصر في هذا الباب هو المال ، و رغم ذلك فقد ارتفعت أصوات حارة بمقاومة التبشير من جو جمعية العلماء في المحاضرات العامة و الصحف .[1] فكما هو الواقع أن الأقوال ليست هي السلاح الذي يحارب به التبشير مهما كانت حارة بليغة بالحجة و هدفها التحذير من الوقوع في شراك المبشرين .

و إنما السلاح الفتاك في هذا الميدان هو المال ، فكيف تستطيع أن تقاوم جمعيات منظمة من ورائها أمم غنية بالمال و مجهزة بالجيوش الوفيرة من الرهبان و الراهبات و الأطباء و الممرضات ، يوجد الجميع أخلاق ممتازة من الصبر و الثبات و الإيمان الحازم بحسن عاقبة ما وقفوا أنفسهم له ، و لو عند أغنياء المسلمين بعض عند هؤلاء من سماحة اليد في سبيل الدين لطوروا هذا التبشير و لنشروا الإسلام في أقطار الأرض كلها ،و أن دينهم ليأمرهم بهذا و لكن أين هم من دينهم ؟ .[2]

لا نبالغ إذا قلنا أن من بواكر النجاح الأولى التي جناها علماء جمعية العلماء المسلمين إرجاع الغاوين من المسلمين إلى حظيرة الدين ،حيث أن عدد الذين تأثروا بمواعظهم و أصبحوا يحافظون على الصلوات بشروطها الحسية و المعنوية، و تعالت أصواتهم بالتذمر حيث تمكنوا من الوقوف في وجه السياسة الفاجرة الهدامة فثبت رجال الإصلاح ،و لم يضعفوا أمام التهديد كما لم يغرهم ما كان يمنى به بعض الضعاف من مناصب و وظائف و غيرها، و استمروا في أعمالهم و مشاريعهم يقارعون بالحجة و البرهان كل تصرف ضدهم أو ضد دينهم فشكلوا بذلك في ضمير الشعب الجزائري و ذاكرته منارة خير و هدى و إصلاح .

المبحث الثاني : التوعية الشعبية

[1]- محمد البشير الإبراهيمي : سجل مؤتمر جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ، مصدر سابق ، ص...ص ، 56...70.

[2]- زهور أسعد : ثورة العلم من ابن خلدون إلى ابن باديس ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، بوزريعة ، الجزائر ، د.س.ن،ص 39.

في هذا العنصر سنتطرق إلى بعض ردود الفعل الشعبية خاصة تجاه السياسة الإستدمارية الرامية إلى طمس عناصر الهوية الوطنية :

_ مقاومة سياسة الفرنسة الإستعمارية : قاوم الشعب الجزائري سياسة الفرنسة لأنه اعتبر مسالة اللغة قضية حياة أو موت، فاعتنى باللغة العربية الفصحى خاصة في القرن العشرين لأنها لغة دينية و قومية [1]، و ظلت لغة القرآن الكريم تقاوم في العديد من زوايا الوطن التي ستسمح لها بالنشاط التعليمي، ومن بينها زاوية طولقة كما كان للمساجد أيضا دور في الحفاظ عليها، و ذلك من خلال الخطب الديني و بعض الدروس العامة [2] ، كما نجد الصحف و النوادي قد كافحت من أجل تثبيت اللغة العربية و التعليم بها [3].

مقاومة سياسة التنصير :

أما فيما يخص الدفاع عن الدين الإسلامي و التصدي لسياسة التنصير فقد عارض السكان هذه السياسة حتى أن العديد منهم استشهدوا دفاعا عن مساجدهم التي لم يرضوا أن تهدم أو تتحول إلى كنائس و غيرها ، فالجزائريون تعصبوا لدينهم و تحدوا القوانين الإستعمارية و أقاموا شعائرهم الدينية في بيوتهم سرا و في شوارعهم علنا، كما أنهم لم يتوقفوا عن بناء مساجد جديدة [4] و كان للزوايا دور بارز في فشل سياسة التنصير بفضل نشاط شيوخها و فقهائها فقد مثلت مراكز دينية إلى جانب المساجد. [5]

كما عمل الشعب الجزائري على رفض إقامة المنصرين في مناطقهم، و اعتبروا وجودهم مساس بعقيدتهم الدينية و بمشاعرهم الوطنية و العرقية، و قد اتخذ الجزائريون حيال المتنصرين، و ذلك عن طريق عزلهم و نبذهم سواء كانوا أفراد أو أسر ، كما منعوا مصاهرتهم [6] ، و قد برز نيل الجزائريين من النصرانية في أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و ذلك من خلال إنشاء المساجد و النوادي و المدارس للتعليم العربي الديني، و

---

[1]- أبو القاسم سعد الله :أبحاث و آراء عن تاريخ الجزائر ، ج5 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، ص 156.

[2]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج8 ، مرجع سابق ، ص 15.

[3]- أبو القاسم سعد الله : مرجع، سابق، ص155.

[4]- الفضيل الورتلاني : مرجع سابق ، ص 102.

[5]- مزيان سعدي : النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر ، 1867-1892 ، ط1 ، دار الشروق ، الجزائر ، 2009 ، ص 384.

[6] - نفسه ، ص...ص ، 412....419.

إحياء الثقافة العربية الإسلامية للتصدي للجمعيات التبشيرية التنصيرية و سنعرض تفاصيلها في المباحث القادمة .[1]

و الظاهر أن الكاتب الجزائري يحي بوعزيز قد كتب و أرّخ معاناة الجزائريين في إطار سياسة التنصير و قام بإبراز و دفع هذا الشعب في المحافظة على دينه و في هذا الصدد يقول : **"لقد بذل شعب الجزائر ما لم يبذله غيره في هذا الميدان، رغم كل الصعوبات و العراقيل المادية و السياسية ،و العسكرية و ليس ذلك بغريب لأنه يدخل في إطار الدفاع عن الذات و الوجود ، و الكيان و الاستمرارية الحضارية في إطار الإسلام و ثقافته العربية الإسلامية الراقية، و كانت كل مساجد القرى و مدارسها بمثابة معاهد علمية أخرجت أجيالا من العلماء و المثقفين و طلبة العلم و حفظة القرآن الكريم"**[2] .

كما اعتبر هذا المؤرخ أن أهم سبب لقيام الثورات في الجزائر ضد المستعمر خلال القرنين التاسع عشر و العشرين ، كان الإسلام المحرك الأساسي لها باعتباره الركيزة الأساسية و الكبرى للشخصية الوطنية الجزائرية، و اعتبره مظهرا للفخر و الإعتزاز في الكفاح الوطني و يؤكد ذلك بقوله :" **إن الإسلام كان اكبر واقي و حاجز للشعب الجزائري في كفاحه ضد طمس الشخصية الجزائرية و شعبها و فرنسته و تنصيره و تمسيحه لقد لعب الإسلام دورا بارزا في كفاحنا الوطني منذ حملة 1830 إلى ثورة الإستقلال عام 1962** "[3].

ومن جهة أخرى في نصائحه التي قدمها للمعلمين ركز على ضرورة تدريسهم، و تعريفهم برجال الجزائر العظام و هو ما سيقوي في المنشأ حب الوطن، و يبث فيهم روح الوحدة الوطنية و يحثهم على التمسك بثوابت و قيم الوطن الأصلية ، وهو ما سيرفع من مستوى وعيهم الوطني ليكونوا خير خلف لخير سلف ،[4] اذ يقول : و كما أنجبت الجزائر أمثال عبد الحميد ابن باديس، و البشير الإبراهيمي و الورتلاني... للدفاع عن شخصية الجزائر و عروبتها و إسلامها، فإنها تنجب اليوم أمثالهم للدفاع عن الإسلام و القرآن و لغته، ولا مكان في هذه البلاد و لا بقاء إلاّ للإسلام و الإيمان و القرآن و الجهاد .[5]

---

[1]- نبيل أحمد بلاسي : مرجع سابق ، ص 41.

[2]- يحي بو عزيز ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، ج1 ،د.م.ن،د.س.ن، ص 24.

[3]- يحي بوعزيز : موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، ج2 ، مصدر سابق ، ص 195.

[4]- نفسه ، ص 10.

[5]- مراد طالب ، العربي حموش : قضايا الهوية الوطنية في كتابات المؤرخ يحي بوعزيز ، مذكرة ماجيستير ، إشراف عبد القادر قليقي ، المسيلة ، 2016 ، ص 60.

و قد كان لدروس هؤلاء العلماء و غيرهم أثرها العجيب في النفوس، حيث تغلغل الوعي إلى أعماق القلوب و مس المشاعر فأحيى في نفوس الجزائريين الشعور الوطني الدافق، و الرغبة الجامحة في الحرية و الإنعتاق، [1] حيث يقول أحد المؤرخين الجزائريين في ما كان لخطب الشيخ الطيب العقبي بنادي الترقي من نتائج إصلاحية **: كان الشيخ يبين في دروسه حقيقة الإسلام العظمى و عقيدته الصافية و أركانه و يهاجم البدع المفسدة للدين و ترهات الطرقية الضالة ، و إلحاد المدارس الإستعمارية فعرف الناس حقيقة دينهم فازدادوا تمسكا به فصارت جماهير كثيفة تحافظ على الصلوات و الصوم و أركان الدين و هجروا الخمر و الفسوق و الميسر و مواطنها ، و تعلقت نفوسهم ببيت الله** .

و هذا القول يحمل في طياته كل ما بوسعه أن يوقظ الشعور و الوعي الوطني لدى الشعب الجزائري، و يبعده عن المقاصد الإستعمارية الهدامة و يجعله يسعى للتحرر الفكري و الديني قبل الوطني . لذلك فإن الشعب الجزائري عندما عجز عن الدفاع عن مؤسساته الدينية ،شرع في تأسيس أخرى جديدة و أوقف عليها أوقافا جديدة ،و عين لها معلمين و رجالا كرسوا حياتهم لخدمة الدين الإسلامي و لقد تكثفت هذه المؤسسات كأسلوب لمواجهة سياسة التنصير ، التمسيح ، الفرنسة، و حماية الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية، و بالتالي سياسة التوجيه الخاطئة للدين من قبل المستعمر .

[1]- مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة و المجمع ـ تر : حنفي بن عيسى ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص 243.

المبحث الثالث : إنعكاسات هذه السياسة الفرنسية على المجتمع الجزائري

لقد جرد الشعب و حرم من مؤسساته الدينية نتيجة تطبيق فرنسا لسياسة قهرية إجتماعية كان يهدف من ورائها لبث رسالة فرنسا التنصيرية التي لم تنل الجزائر منها سوى التجهيل و التهميش [1]، حيث استولت فرنسا على مؤسساتها التعليمية العربية و حولتها عن أغراضها و صادرت أوقافها ،ورمت الأطفال الجزائريين في حضن الجهل لقول أحد الفرنسيين : **"لقد أطفأنا الشموع (وهو يعني المدارس) التي جئنا لنضيئها "** . و آخر ما صدر عن الإدارة الفرنسية في محاربة المدارس العربية و التعليم العربي للجزائريين هو مطالبة كل من يرغب في فتح مدرسة أو إعطاء درس أن يحصل على رخصة مسبقا حسب قانون أكتوبر 1892 و هذا القانون هو الذي سلطته الإدارة ضد جمعية العلماء الجزائريين و حركة ابن باديس عامة، عندما عملوا على إحياء التعليم العربي الإسلامي [2] .

كما عملت على انتهاج سياسة قضائية تهدف إلى توقيف و إلغاء العمل بالشريعة الإسلامية من خلال عدة مراسيم أهمها : قانون 26 جويلية 1873 الذي ينص على نزع حق النظر في قضايا الملكية و الاستحقاق من القضاة المسلمين . و جعلت من التبشير و محارب التعليم العربي الإسلامي هدفها الأساسي من خلال التضييق عليه ،و محاربة مؤسساته (المدرسة ، المسجد ، الزوايا ، الكتاتيب) باستخدام عدة قوانين و قرارات مما سهل من انتشار الأمية و الجهل و البدع و الخرافات وسط المجتمع الجزائري ،و تفكيك البنية الإجتماعية .

كان من نتائج هذه السياسة التي مارسها الإستدمار ،أن آل وضع المجتمع إلى تخلف حضاري عام و شامل لم يسلم من ذلك تدين المجتمع عامة، الذي أخذ طابع الوراثة و التقليد و الجمود لا أكثر ،و قد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من المغرورين من المنتسبين للطرق الصوفية من التمسك بها، و التأييد لشيوخها الذين جعلت منهم سلطات الإحتلال مراصد لبث فكرة التخذير و معتقداته الفاسدة التي زادت من قابلية الشعب للإستعمار .

فشاعت في أوساط المجتمع ظاهرة زيارة شيوخ الطرق و العباد الصالحين الأحياء منهم و الاموات للتبرك بهم ،و طلب الحوائج منهم و إقامة الولائم المكلفة حول أضرحتهم وسط مواكب بشرية تأتي من كل حدب و صوب لتحقيق لهم ما عجزوا عن تحقيقه بعجزهم و كسلهم ،و تخلفهم و قابليتهم للإستعمار ،فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء و الاموات يسألونهم حوائجهم من دفع الضر و جلب النفع ،و تيسير الرزق و إعطاء النسل ،و يذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب فيدعون من فيهم ، و

[1]- خيثر عبد النور و آخرون : مرجع سابق ، ص 89 .

[2]- أبو القاسم سعد الله : أبحاث و آراء عن تاريخ الجزائر ، ج5 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، ص 43.

أصبح الناس يعتقدون عصمة هؤلاء الأولياء الذين أضفى عليهم طول الزمان و شيوع الجهل نوعا من القداسة في الإعتقاد فيهم ، و باختصار فقد شاعت المنكرات و ساعد ذلك عون الإدارة الفرنسية و سياسة فرنسا تجاه الجزائر التي اضطهدت و مارست عليها كل أنواع العنف و المسخ ، الفرنسة ن التنصير و التهديم ، فالإغتصاب الذي مورس في الجزائر لم يبدأ مع الجمهورية الفرنسية الثالثة و لكن بدأ منذ سنة 1830 .[1]

و هذا هو الواقع الإحتلالي العدواني اللاإنساني الذي عرفه الشعب الجزائري من جيش و إدارة فرنسا .[2]

و من خلال ما سبق في هذا الفصل نخلص إلى مجموعة نقاط مهمة تمثلت في تيار الإصلاح الديني الذي كان له دور بارز في العمل على إعداد المواطن الجزائري فكريا و دينيا خاصة من خلال إحياء اللغة العربية و تأسيس تعليم عربي حر موازي للتعليم الفرنسي ، فقضية التعليم و الحفاظ على لغة الدين الإسلامي شغلت جملة المفكرين الذين اهتموا بهذا الموضوع إلى جانب إعداد و إقامة مؤسسات دينية جديدة للحفاظ على مبادئ العقيدة الإسلامية، و التي كان لها دور فعال في إيقاظ الضمير الجزائري و معرفة منبع دينه الصحيح ،و بالتالي نشر الوعي الوطني في أوساط المجتمع الجزائري و الرقي بالدين الإسلامي عقيدة و أخلاقا ، تصديا لجميع أساليب الفرنسة و التنصير التي تسعى من خلالها الإدارة الفرنسية لتحطيم البناء العقائدي و الفكري للمجتمع الجزائري المتمثل في الدين الإسلامي و اللغة العربية .

[1]- هنري علاق : الثورة الجزائرية ، الجذور و التفاعل و الأبطال و الآفات ، مجلة الحدث العربي ، د م ن ، ص ،ص 72،74.

[2]- بشير كانش الفرحي : مختصر وقائع و أحداث ليل الإحتلال الفرنسي للجزائر من 1830 – 1962 ، ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007 ، ص ، ص 92،93

الخاتمة

إن الدارس لفترة الوجود الفرنسي بالجزائر، يجد أنه منذ أن وطأت أقدام المستعمر هذه الأرض بدأت معاناة الشعب الجزائري الذي سلبت حقوقه، وأصبح محروم غريب في عقر داره ويتضح ذلك جليا في سياسة فرنسا تجاه الخطاب الديني من خلال تجنيد كل إمكانياتها لاستيعاب الدين الإسلامي، وصرف الشعب الجزائري عن عقيدته، وقد توصلنا في نهاية بحثنا هذا إلى مجموعة من الاستنتاجات تثبتها في هذه الخاتمة ومنها:

طبقت فرنسا سياسة دينية زاوجت بين الترهيب والترغيب بهدف تنصير المسلمين الجزائريين وتمثلت في:

- تدمير مساجد الجزائر الكبرى.
- تحويل أهمها إلى مراكز طبية وإدارية، وإسطبلات وكنائس كجامع كتشاوة الذي حول إلى كنيسة في 1883/12/24، ومسجد أحمد باي بقسنطينة، ومسجد الهواري الذي حول إلى مخزن للجيش الفرنسي.
- إغلاق أهم الزوايا التي كانت تنشر مبادئ الدين الإسلامي، وفرض الرقابة على معظمها.
- مصادرة أملاك الأوقاف، وبذلك حرمت المساجد والمدارس من موردها الأساسي الذي كان يمونها، فتضاءل مردودها، ثم انعدم في جهات كثيرة.
- محاربة تدريس اللغة العربية والتقاليد الإسلامية، وإنشاء مدارس فرنسية متوازية، بهدف تمكنها من التحكم في سيرها.

- نشر التعليم الفرنسي لضمان إدماج الجزائريين في ديانتها بعد صدور مرسوم 1892/02/13 والذي أقر إجبارية التعليم في الجزائر وجعله فرنسيا، ولم تفتح أبواب التعليم الفرنسية أمام كل الجزائريين.
- تشجيع وتسهيل نشاط البعثات التبشيرية وتضييق الخناق على العمل الإسلامي، مع إنشاء جمعيات تقوم بالتضليل الديني كجمعية الآباء البيض التي أنشأها لافيرجي سنة 1896 بهدف تنصير الجزائريين.
- سعي فرنسا لإضعاف السياسة الإسلامية بافتكاك التحكم في التربية الإسلامية من خلال تكوين لجنة معادية على غرار ما كان يقوم به لافيرجي تجاه الأطفال اليتامى لكسب هذه الفئة إلى صف فرنسا.
- نفي وإبعاد الأئمة المعارفين لسياستها وإقامة قضاء موازي للقضاء الإسلامي بالجزائر.
- غلق معظم المدارس الأهلية أو منع التدريس بها إلا برخصة من الإدارة الفرنسية، ذلك أن السلطات الفرنسية كانت تعتبر المعالم الدينية في الجزائر خطرا يجب محاربته لأنه الحامل والحافظ للمقومات الشخصية للشعب الجزائري.
- التركيز على التعليم التبشيري بكل جهودها لتنصير أكبر عدد من التلاميذ لإدماجهم في الدين المسيحي.

- الدور الفعال الذي لعبته الصحافة الإصلاحية في بعث الوعي الوطني من خلال ما تنشره من مبادئ ومحاضرات الوعظ والإرشاد لعلماء الدين الإسلامي في المحافظة على مقومات الهوية الوطنية، وغرس الوعي في نفوس الجزائريين، وتهيئتهم دينيا لرفض سياسة التنصير والتجنيس الهدامة التي جاء بها المستعمر، والوقوف في وجه انتشار الخرافات والبدع، حيث لم يكن نشاط المصلحين في هذا المجال بالأمر الهين، فقد تصدى لهم الطرقيون بشراسة المدافع عن حياته.

- أن الهدف من السياسة الفرنسية في توجيه الخطاب الديني بالجزائر لم يتحقق، وباءت كل المحاولات بالفشل كما لم تتحقق الفكرة الأساسية التي سعت لتحقيقها والمتمثلة في إفراغ المجتمع من قيمه ومعتقداته، وإحلال اللغة الفرنسية محل العربية، فلم تشجع هذه السياسة لكنها استطاعت التأثير على فئة تنكرت لتقاليدها وقيمها وظلت خادمة للاستعمار، كتوظيفها وميلها للطرق الصوفية وبعض رجال الزوايا ضعاف النفوس والشخصية لأنها أدركت أن العداء معها لن يكسبها المعركة، والذين بدورهم وقفوا بجانبها بل أن بعضهم أعلن أنه حان للشعب الجزائري أن يقف إلى جانب فرنسا الوطن الأم، على حد تعبيرهم.

- أن الحركة الإصلاحية أخذت على عاتقها دور تحرير شعب الجزائر من سياسة التنصير والفرنسية التي نشرتها الدولة المستعمرة بإقامة المدارس، والنوادي الدينية التي ساهمت بصفة خاصة في إثبات الشخصية الجزائرية، وبعث مقومات الهوية الوطنية، فلا أحد ينكر جور ومدى مساهمة رجال الإصلاح الديني في الجزائر في المحافظة على صورة الدين الإسلامي خلال الوجود الفرنسي

بالجزائر، وخاصة فترة الدراسة فمن خلال استقراء أعمالهم العظيمة وفي الظروف الاستعمارية الصعبة تجعل إنجازاتهم مثالا للإدارة الصامدة، كما نعلم أن سياسة فرنسا في الجزائر كانت كما يراها "تركي رابح" تعتمد على محاور أهمها التنصير والفرنسية وبالتالي القضاء على الدين الإسلامي ولذلك فقد كان مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو رد فعل عكسي لهذه السياسة، لأنها وجهت جهودها إلى ميدان إحياء الإسلام بتطهيره واللغة العربية بتعليمها والمحافظة عليها.

- أن السياسة الفرنسية تجاه الخطاب الديني لاقت رفضها وطنيا لأن الفرنسيين كانوا وبقوا في نظر الجزائريين غزاة محتلين.
- كان للسياسة الفرنسية في المجال الديني في الجزائر انعكاسات من بينها انتشار الأمية والجهل والبدع والخرافات وبسط المجتمع الجزائري والتي استطاع التغلب عليها بفضل المصلحين الجزائريين الذين سعوا جاهدين لخدمة الوطن وتحريره من الاستبداد والعبودية.

وهنا لا تدعي أن العامل الديني هو السبب المباشر لقدوم الفرنسيين إلى الجزائر والسبب الوحيد لبقائهم فيها مائة وثلاثون سنة كاملة، غير أنه كان بالمقابل عاملا أساسيا ومحركا قويا للسياسة الفرنسية، والفرنسيين عامة، وبتحديدنا للفترة الزمنية لبحثنا لا نعني بذلك توقف الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي تجاه الدين الإسلامي في الجزائر، بل تواصل هذا التعصب الديني حتى خارج الإطار الزماني الذي حددناه، إلى جانب تواصل نشاط الحركة الإصلاحية الجزائرية، التي توجهت في النهاية بتفوقها على السياسة الفرنسية

وتحقيقها لأهدافها المنشودة، وبالتالي تطهير العقيدة وإرجاع الجزائر إلى حظيرة الدين الإسلامي الصحيح، والقضاء على كل مساعي فرنسا في تنصير الفرد الجزائري، إلى أن تحقق الحلم واستقلت الجزائر.

الملاحـــــــــــــــــــــــــق

الملحق رقم:01

الاتفاق الجزائري الفرنسي 5 جويلية 1830

- النص العربي

إن الدين المحمدي سيبقى معمولا به كما كان سابقا إنه سيبقى على ما هو عليه، وإن حرية أهل البلاد مهما كانت طبقتهم ستبقى محترمة، وإن دين هذا الشعب، وممتلكاته وتجارته وصناعته بالإضافة إلى نسائه ستبقى محترمة أيضا...الخ.

1_ نقلا عن: أبو القاسم سعدالله : الحركة الوطنية الجزائرية1900-1930، ج2، مصدر سابق، ص423.

ملحق رقم 02

القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الاصلاحية[1]

الفصل الأول : تأسست في عاصمة الجزائر جمعية ارشادية تهذيبية تحت اسم « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » الخ .

الفصل الثالث : لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتداخل في المسائل السياسية .

الفصل الرابع : القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل .

الفصل الخامس : تتذرع الجمعية للوصول الى غايتها بكل ما تراه صالحاً نافعاً لها غير مخالف للقوانين المعمول بها ، ومنها أنها تقوم بجولات في القطر في الأوقات المناسبة .

الفصل السادس : للجمعية أن تؤسس شعباً في القطر وأن تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي .

الفصل الثاني عشر : الأعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهم لقب عالم بالقطر الجزائري بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الاجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية والذين تعلموا بالمعاهد الاسلامية الأخرى .

الفصل الثالث عشر : الأعضاء المؤيدون والأعضاء المساعدون يشملون كل

2- نقلا عن : ابو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، ج2 ، مصدر سابق، ص 434

من راق له مشروع الجمعية من غير الطبقة المبينة بالفصل المتقدم وأراد أن يساعدها بماله وأعماله على نشر دعوتها الاصلاحية .

دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها[2] :

1 ـ الاسلام ـ هو دين اللّه الذي وضعه لهداية عباده ، وأرسل به جميع رسله ، وكمله على يد نبيه محمد الذي لا نبي من بعده .

2 ـ الاسلام ـ هو دين البشرية الذي لا تسعد الا به وذلك لأنه :

أولاً : كما يدعو الى الأخوة الاسلامية بين جميع المسلمين ، يذكر بالأخوة بين البشر أجمعين .

ثانياً : يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الانسانية بين جميع الأجناس والألوان .

ثالثاً : لأنه يفرض العدل فرضاً عاماً بين جميع الناس بلا أدنى تمييز .

رابعاً : يدعو الى الاحسان العام .

خامساً : يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليله من أي أحد على أي أحد من الناس .

سادساً : يمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير .

سابعاً : ينشر دعوته بالحجة والاقناع لا بالختل والاكراه .

ثامناً : يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون .

تاسعاً : شرك الفقراء مع الأغنياء في الأموال وشرع مثل القراض والمزارعة والمغارسة مما يظهر به التعاون العادل بين العمال وأرباب الأراضي والأموال .

عاشراً : يدعو إلى رحمة الضعيف فيكفي العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويعان المضطر ويغاث الملهوف وينصر المظلوم ويؤخذ على يد الظالم .

حادي عشر : يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه .

ثاني عشر : يجعل الحكم شورى ليس فيه استبداد ولو لأعدل الناس .

3 ـ القرآن : هو كتاب الاسلام .

نقلا عن: ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930، ج 2 ،مصدر سابق، ص433.

ملحق رقم 03

مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري
جوان (يونيو) 1936 م

(في السابع من شهر جوان (يونيو) 1936 انعقد في مدينة الجزائر المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي كان أول تجمع من نوعه في البلاد، وقد انتهى بالمطالب الآتية التي رفعها وفد عن المؤتمر إلى حكومة الجبهة الشعبية بباريس . وفيما يلي نص المطالب مأخوذاً من (الشهاب) عدد جويلية (يوليو) 1936 ، وهو عدد خاص بالمؤتمر ، ص 236 ـ 237) .

* * *

أولاً : إلغاء سائر القوانين الإستثنائية التي لا تنطبق إلا على المسلمين .

ثانياً : إلحاق الجزائر بفرنسا رأساً ، وإلغاء الولاية العامة الجزائرية ، ومجلس النيابات المالية ، ونظام البلديات المختلطة .

ثالثاً : المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية . مع إصلاح هيأة المحاكم الشرعية بصفة حقيقية لروح القانون الإسلامي ، وتحرير هذا القانون .

ـ فصل الدين عن الدولة بصفة تامة ، وتنفيذ هذا القانون حسب مفهومه ومنطوقه .

ـ إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية لتتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيساً صحيحاً .

ـ إرجاع أموال الأوقاف لجماعة المسلمين ليمكن بواسطتها القيام بأمور المساجد والمعاهد الدينية والذين يقومون بها .

ـ إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية ، وإلغاء إعتبارها لغة أجنبية .

3ـ **نقلا عن : ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 3 ، مصدر سابق، ص 261 .**

ملحق رقم 03

ـ الحرية التامة في تعلم اللغة العربية . وحرية القول للصحافة العربية .

رابعاً : الإصلاحات الإجتماعية : التعلم الإجباري للبنين والبنات ـ الشروع بسرعة في بناء المدارس الكافية لتعميم التعليم الإجباري .

ـ جعل التعليم مشتركاً بين المسلمين والأوروبيين .

ـ الزيادة في معاهد الصحة من مستشفيات ومستوصفات ، وفي معاهد الإغاثة : كالمطاعم الشعبية . إنشاء خزينة خاصة للعاملين من العمال .

خامساً : الإصلاحات الإقتصادية : تساوي الأجر إذا تساوى العمل ـ تساوي الرتبة إذا تساوت الكفاءة ، توزيع إعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة والصناعة والتجارة والإحتراف على الجميع وعلى مقتضى الإحتياج دون تميز بين الأجناس .

ـ تكوين جمعيات تعاونية فلاحية ، ومراكز لتعليم الفلاحين .

ـ الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض .

ـ توزيع الأراضي الشاسعة البور على صغار الفلاحين والعمال .

ـ إلغاء قانون الغاب .

سادساً : مطالب سياسية ـ إعلان العفو السياسي العمومي ـ توحيد هيأة الناخبين في سائر الإنتخابات ـ إعطاء الحق لكل ناخب في ترشيح نفسه ـ النيابة في مجلس الأمة .

3- نقلا عن ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ،ج 3 ،مصدر سابق، ص 262 .

ملحق رقم 04

عرض الحالة العلميّة*

(المحاضرة التي ألقاها الشيخ في صباح اليوم الثالث من أيام الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها الإخوة الكرام،

إن موضوع هذه المحاضرة – عرض الحالة العلمية – هو ثمرة اقتراح اقترحه علي الأخ الرئيس[1] بالأمس، فمن حقّه علي أن أشكره على إرشادي لموضوع قد يكون مفيدًا إذا جمعت أطرافه، ولكن أنّى لي ذلك وإن غيري لأملك به منّي.

ولو ان الأخ الرئيس – سامحه الله – سلّط على هذا الموضوع نظرات المؤرّخ الصائبة المستقصية لكان خيرًا وأحسن تمثيلًا، وإذا كان من حقّه عليّ أن أشكره فمن حقّي عليه أن أُحمّله حظه من عهدة التقصير فيما قصرت فيه من موضوع يحتاج إلى بصيرة نافذة وذهن نيّر ووقت متّسع وأنا لا أملك شيئًا من هذه.

وإني اخترت كتابتها لتكون أعون على التنسيق والضبط، وتنشر إذا رأيتم انها تستحق النشر، ولتبقى لي تذكرة أتسلى بها إذا رأيتم رفضها وعدم استحقاقها للنشر، وإن أعصى ما يتعاصى على الكاتب والخطيب ضبط الموضوع. فقد يطغى الموضوع على الكاتب أو الخطيب فتتفلّت حواشيه فلا يملك لها جمعًا وتند على فكره أشياء وإذا هو مقصّر من حيث أراد الكمال ومخطئ من حيث توخّى الإصابة.

كثيرًا ما كنت أسمع الأخ الرئيس يعتذر في مقامات الكتابة ودواعيها (بأنه مدرّس)؛ كأن التدريس ومعاناته وأسلوبه واصطلاحاته ملكت عليه أمره وأضعفت منه ملكة الكتابة، وكنت أراه مع ذلك يأتي بالإبداع إذا كتب فأقول: لو أني أكثرت من الدروس إكثاره،

---

* نقلا عن احمد طالب الابراهيمي: اثار البشير الابراهيمي ج 1 1929–1940، ص 143 .

لقفوت في الكتابة آثاره، فلما أكثرت الدروس وساويته في عددها أو كدت تبلّد طبعي وجمد فكري وجفّت قريحتي وجاءت النتيجة معي بالعكس، فعلمت أن كثرة الدروس قد تكون مددًا يمد، وقد تكون سدادًا يسدّ وعوائق تصدّ.

فاسمعوا أيها الإخوة، كلامًا موضوعه ابن فكرة وانشاؤه ابن فكرة، فإن جاد فمنهما وإن قصر ففي قصر الوقت شافع للتقصير.

أيها الإخوة الأعزاء،

إن الإصلاح العلمي هو ناحية من نواحي الإصلاح الكثيرة التي يجب أن تعطيها جمعية العلماء المسلمين فضل اهتمام واعتناء، ولو لم يحدث من الحوادث ما جعل اتجاه الجمعية إلى الإصلاح الديني أقوى لكان الإصلاح العلمي أول ما تعالجه، وتبذل فيه جهودها لأنه ألصق باسمها وأكثر ارتباطًا بحرفة رجالها، ويكفينا دليلًا على خطر الإصلاح العلمي وقيمته ان أكبر عناصر الإصلاح الديني الذي لا يمتري في لزومه عاقل يستمدّ قوّته من شيء يسمّى علمًا ومن أشياء تسمّى علماء، وقد سمعنا بآذاننا من يقول وقرأنا لمن يقول: إن الرجوع إلى الكتاب والسنّة ضلال مبين، ولمن يقول: البدع الدينية والعوائد الدينية. وهو مع ذلك معدود في العلماء على رغم أنوفنا، وقوله هذا معدود في العلم على رغم أنوفنا، وإذا كانت هذه الأقوال من العلم فمن العلم أيضًا أن تؤول ظواهرها إذا لم ترق لكم بواطنها، ولا يزال ظهر التأويل ذلولًا عند هذه الطائفة، فأما أن لا نعد تلك الأقوال من العلم ولا نعد أصحابها من العلماء فأمر لا يسلمه لنا كثير.

إن تقديم الجمعية للإصلاح الديني على الإصلاح العلمي ضرورة اقتضاها طغيان الفساد في العقائد حتى أصبح من آثاره اللازمة التزهيد في العلم. وليس معنى هذا أن الجمعية لم تحم حول الإصلاح العلمي. فدروس رجالها واسلوبهم في دروسهم، كل ذلك أمثلة من الإصلاح العلمي ونهج جديد نهجوه له وطريقة تحتذى فيه، وإنما نريد أن المظهر الممتاز الذي ظهرت به الجمعية وتجلّت آثاره واشتهرت أخباره حتى غطّى على جميع مقاصدها هو الإصلاح الديني، وقد تكون دواعيه طبيعية ومنها ما أسلفناه.

وقد يظن الظانون وتنطق ألسنتهم بهذا الظن، أن هذه المنكرات التي نحاربها ونشتدّ في حربها هي قليلة الخطر ضعيفة الأثر، وأننا غلونا في إنكارها وأنفقنا من الأوقات والجهود في حربها ما كان حقيقًا أن يصرف في ناحية أخرى أهم كالإصلاح العلمي.

وفات هؤلاء الظانين أن من اللوازم القريبة لتلك المنكرات التي تشتدّ الجمعية في محاربتها التزهيد في العلم وإفساد الفطر وفشل العزائم وقتل الفضائل النفسية وإزالة الثقة بالنفس من النفس، وتضعيف المدارك وتخدير المشاعر وهي رذائل لا تجتمع واحدة منها مع ملكة علمية صحيحة فكيف بها إذا اجتمعت.

نقلا عن : احمد طالب الابراهيمي: اثار البشير الابراهيمي 1929–1940،ج1، مصدر سابق، ص 144.

الملاحق

ملحق رقم05 صورة للكاردينال لافيجري

5- نقلا عن: https://fr.wikipedia.org/wiki/Charle-Lavigerie

قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم

_صحيح البخاري في الروض النظير.

_ ابن ماجة.

المصادر:

01_ ديريليك أندري : عبد الحميد ابن باديس مفكر الإصلاح و زعيم القومية الجزائرية (1889–1940) ، تر: مازن صلاح مطبقاني ، عالم الافكار ، الجزائر ، 2013.

02 _ طالبي عمار : ابن باديس حياته و آثاره ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، 1983

03_ ماسينيون و مصطفى عبد الرزاق : التصوف، تر: إبراهيم خورتشيد و آخرون ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، 1984 ،

04- الإبراهيمي محمد البشير : الطرق الصوفية ، ط1 ، مكتبة الغرباء الأثرية ، الجزائر ، 2008

05- الإبراهيمي أحمد طالب: آثار البشير الإبراهيمي ، ج3 ، عيون البصائر ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997.

06_ بوعزيز يحي موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009.

07_ زوزوعبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

08-ابن خلدون المقدمة، مكتبة الحكمة، لبنان، 1991.

09_ المدني أحمد توفيق: حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

10_ دبوز محمد علي ، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج2، الطبعة العربية، الجزائر، 1971.

11- الإبراهيمي أحمد طالب:آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1،ط1929،1-1940،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997

12 _ شيبان عبد الرحمن : من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،جمع وإعداد قسم إحياء تراث الجمعية ،دار المعرفة الجامعية ، الجزائر ،د.س.ن

13- بن رحال الزبير: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889-1940، دار الهدى للطباعة والنشر ،الجزائر ،د.س.ن،

14 _ الخطيب أحمد :جمعية العلماء المسلمين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985،

15_ ريسلير كميل: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830-1962)، تر: نذير طيار، ط1، تعليقات جزائرية على شبه اعتراف فرنسي، دار الكتابات الجديدة للنشر الالكتروني، د.م/ن ،2016

16_ روبير اجيرون شارل: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007

17_ الورتلاني الفضيل: الجزائر الثائرة، ط4، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

18_ بوعزيز يحي : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009.

_ زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

20 _ المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.

21 -المدني أحمد توفيق: حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

22 _ دبوز محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر، 1921-1975، منشورات السهل، الجزائر، 2009

23 _ حسن خنفي : إقبال فيلسوف الذاتية ، ط1، دار المدار الاسلامي، بيروت ، لبنان ، 2009.

المراجع:

01_ سعد الله أبو القاسم: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ج1،دار الغرب الاسلامي،بيروت،لبنان،1990.

02_ إبراهيم عبدالله : الثقافة العربية والمرجعياتالمستعارة ، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1999.

03_ ابن جنى: الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، ط1، ج1، الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،(د.ت).

04_ ابن مرزوق والتلمساني محمد: الحسن و مآثر ومحاسن مولاي أبي الحسن ، الجزائر 1981.

05_ الأشرف مصطفى: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر،الجزائر، 2007.

06_ الأموي سيف الدين : المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، بغداد، 1985.

07_ الجابري محمد صالح: النشاط العلمي والفكريللمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، دار الحكمة، الجزائر ،(د.ت) .

08_ الجابري محمد عابد : الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة ، بيروت، 1989.

09_ الجزار أحمد محمود : الإمام عبد الحميد ابن باديس والتصوف، ط1، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،1999.

10_ الحنبلي ابن النجار: مختصر التحرير وشرحه الكوكب المنير، (دت).

11_ الخطيب أحمد: جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب،1971.

12_ الخطيب أحمد: جمعية العلماء المسلمين وأثرهاالإصلاحي في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985.

13_ الداية فايز: علم الدلالة العربي : النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، ط1، دارالفكر ، دمشق،1996.

14_ الشيخ سعودي: أوراق من الذاكرة ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر 2011.

15_ الصديق محمد الصالح : شخصيات و مواقف ، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

16_ العجيلي التليلي:الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881_1939)،مج2،منشورات كلية الاداب،منوبة،1992.

17_ العسلي بسام:عبد الحميد بن باديس وبناؤه قاعدة الثورة الجزائرية،دار الرائد،الجزائر،2010.

18_ العقبي صلاح مؤيد:الطرق الصوفية او الزوايا في الجزائر تاريخها نشاطها،دار البراق،لبنان،بيروت،2002.

19_ الفرحي بشير كانش: مختصر وقائع وأحداث ليل الإحتلال الفرنسي للجزائر من 1830-1962،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثرة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007.

20_ الكحلوت عبد العزيز:التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء،ط2،منشورات كلية الدعوة الاسلامية،طرابلس،1992.

21_ الكفوي أبو البقاء : الكليات ، عناية :عدنان درويش ومحمد المصري ، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.

22_ الماكري محمد: الشكل والخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991.

23_ الميلي محمد: ابن باديس وعروبة الجزائر،وزارة الثقافة،الجزائر،2007.

24_ بقطاش خديجة : الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر1830-1871،(د.ت).

25_ بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 الى 1989،دار الجزائر،(د.ت).

26_ بلاسي نبيل أحمد بلاسي: الإتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، الهيئة العامة للكتاب، مصر ، 1990.

27_ بلخوجة عمار : الإستعمار جرائم دون عقاب ،تر: عبد القادر بلعربي، ط1، منشورات ألفا، لجزائر ،2015.

28_ بلغيت محمد الأمين : تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق (وثايق ، جريدة ، صور نادرة تنشر لأول مرة)، دار مداني للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009.

29_ بن القبي صلاح: الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم،منشوراتANEP،الجزائر،2002.

30_ بن خليف عبد الوهاب:الوجيز في تاريخ الجزائر،تقديم سليم قلالة،ط1،دار دار بني مزغنة للنشر والتوزيع،الجزائر،2005.

31_ بن خليف عبد الوهاب:الوجيز في تاريخ الجزائر1830_1954،ط2،دار بني مزغنة،الجزائر،2006.

32_ بن ظافر الشهري عبد الهادي : استراتيجيات الخطاب ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، لبنان، 2004 .

33_ بن عقون عبدالرحمان بن إبراهيم : الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة (الفترة الاولى 1920–1930)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1984.

34_ بن قينة عمر : في الأدب العربي الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1995.

35_ بن قينة عمر: المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات والنتائج، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن ، 2002.

36_ بن قينة عمر: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث(اعلام وقضايا ومواقف)،كولوريوم،الجزائر ،(د.ت).

37_ بهى الدين سالم محمد: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق ، بيروت، 1999.

38_ بوحوش عمار : التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

39_ بورنان سعيد: نشاط جمعية العلماء المسلمين في فرنسا(1936_1956)،تقديم: محمد الصالح صديق،دار هومة،للنشر والتوزيع،الجزائر ،2001.

40_ بوصفصاف عبد الكريم:الفكر العربي الحديث والمعاصر ،ج1،دار مداد،الجزائر ،2009.

41_ بوصفصاف عبد الكريم:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى،منشورات المتحف الوطني للمجاهد(1931_1945)،الجزائر ،1996.

42_ بوعزيز يحي : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، (د.م.ن)،(د.ت).

43_ بوعزيز يحي : تاريخ الجزائر في المنظمات الوطنية والدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999.

44_ بوعزيز يحي : سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2007.

45_ بوعزيز يحي: تاريخ الجزائر في القرنين19 و20،ج2،منشورات متحف المجاهد،الجزائر،1994.

46_ تركي رابح : التعليم القومي للشخصية الجزائرية ، ط2، (د.م.ن)، 1991.

47_ تركي رابح عمامرة :الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة ، ط2، دار موفم للنشر ، الجزائر ، 2009.

48_ تركي رابح عمامرة: الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، منشورات ANEP، (د.ت).

49_ جلال يحي: تاريخ المغرب الكبير،ج4،دار النهضة العربية،1981.

50_ حباسي شاوش: من مظاهر الروح الصليبية للإستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1961.

51_ حداد بوبكر: شخصيات وطنية ، الزيتونة للإعلام والنشر، (د.ت).

52_ حسن حنفي محمد اقبال(فيلسوف الذاتية)،ط1،دار المدار الاسلامي،بيروت،لبنان،2009.

_53 خالدي مصطفى،عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية،منشورات المكتبة العصرية،بيروت،1986.

54_ خليفي عبد القادر : محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010.

55_ خيثر عبد النور وآخرون: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ،2007.

56_ سعدالله أبو القاسم : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج5، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان،1998.

57_ سعدالله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1998.

58_ سعدالله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5، طبعة البصائر ، الجزائر ، 2009.

59_ سعدالله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج10، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998.

60_ سعدالله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج4، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998.

61_ سعدالله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996.

62_ سعدالله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ،ج9،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

63_ سعدالله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954،ج8، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

64_ سعدالله أبو القاسم: تاريخالجزائر الثقافي 1830-1954 ، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998.

65_ سعدي مزيان: النشاط التنصيري للكردينال لافيجري في الجزائر،1867_1892،ط1،دار الشرق،الجزائر،2009.

66_ سكال محمد: جرائم حرب ضد الإنسانية أرتكبت في الجزائر من 1830-1962، تر : بشير بولفراق، دار القصبة للنشر، الجزائر 2015.

67_ صاري جيلالي: بروز النخبة المثقفة الجزائرية، 1850_1950، تر: عمر المعراجي ، منشورات ANEPالمؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر ،2008.

68_ طاهري محمد: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992.

69_ طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، طبعة المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، الجزائر ، 1998.

70_ عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913_1940)،ط2،دار الشهاب،بيروت،لبنان،1995.

71_ عجّالي كمال: مساهمة جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على الهوية الوطنية، جامعة منتوري ،قسنطينة، الجزائر ،2010.

72_ عجرود كريمة : المشروع اللّاثقافي الإستعماري في الجزائر ، قالمة ،(د.ت).

73_ عزوي محمدالطاهر: الغزو الثقافي للعالم الإسلامي،دار هومة،عين مليلة،الجزائر،1993.

74_ عشيراتي سليمان : ابن باديس مخاضات العبور إلى العدوة الأخرى قراءة في تفاصيل المسيرة نحو خط النار، ج1،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،2005.

75_ عشيراتي سليمان : ابن باديس من برزخية القول إلى حضور الفعل ملامسة سياسة الإصلاح السياسية، ج2،دار الغرب للنشر والتزيع ، الجزائر، 2014.

76_ علاق هنري : الثورة الجزائرية الجذور والتفاعل والأبطال والآ فات، (د.م.ن)،(د.ت).

77_ عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحان للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2002.

78_ عيساوي احمد: أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر،مؤسسة البلاغ للنشر والتوزيع والدراسات والأبحاث،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،الجزائر،2013.

79_ فضلاء محمد الحسين: المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر – القطاع القسنطيني– ج1، دار الأمة ، (د.م.ن)، 1999.

80_ فضلاء محمد الطاهر:الطيب العقبي رائد الإصلاح الديني في الجزائر،وزارة الثقافة،الجزائر،2007.

81_ فضيل عبد القادر:الصلاح محمد: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،2010.

82_ فضيل عبد القادر، رمضان محمد الصالح: إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس ، دار الهدى للنشر والتوزيع، (د.م.ن)،(د.ت).

83_ قاسم محمود: الإمام عبد الحميد ابن باديس الزعيم الروحي للحرب الجزائرية ، دار المعارف، مصر ، 1986.

84_ قنان جمال : قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،طبعة المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار ، الجزائر 1994.

85_ محمد الطاهر فضلاء: دعائم النهضة الجزائرية،دار البعث،قسنطينة،1981.

86_ محمد الطاهر وعلي:التعليم والتبشير في الجزائر(1830_1903)،منشورات دحلب،الجزائر،(د.ت).

87_ محمد ناصر: تاريخ الجزائر واعلامها،مج2،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،الجزائر،2015.

88_ مرتاض عبد الملك : أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، ج2، دار هومه، الجزائر ،2006.

89_ مرتاض عبد الملك:أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830_1962،ج1،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر ،2007.

90_ مريوش احمد:الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية،ط1،دار هومة،الجزائر ،1984.

91_ مطبقاني مازن صلاح حامد: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية ، جامعة طيبة ، عمان ، 1985.

92_ مطبقاني مازن صلاح حامد: عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي ، بني مزغنة ، الجزائر ،2015.

93_ مقران يسلي:الطرق الدنية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920_1954،ج1،دار الامل للطباعة والنشروالتوزيع،الجزائر ،2009 .

94_ مناصرية يوسف : النشاط الصهيوني في الجزائر 1897-1992، دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

95_ مؤيد العقبي صلاح:الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها،دار البراق،مكتبة الشرق،بيروت،2002.

96_ ميلز سارة : الخطاب ، تر: يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الادب واللسانيات، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2004.

97_ ناجي عبد النور : البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية الجزائرية ،(د.م.ن)،(د.ت).

98_ نسيب محمد: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر،(د.ت).

99_ ياغي أحمد إسماعيل: تاريخ العالم العربي المعاصر:ط1، مكتبة العبيكة، الرياض، 2000.

100_ ياغي إسماعيل أحمد وشاكر محمود: تاريخ العالم الإسلامي المعاصر،ج2،ط1، مكتبة العبيكة، الرياض،2000.

101_ا لزبيري محمد العربي:التجارة الخارجية للشرق الجزائري1792_1830،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.+

102_اسعد زهور: ثورة العلم من ابن خلدون الى ابن باديس،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،بوزريعة،الجزائر،(د.ت).

103_بوعزيز يحي: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830-1962، (د.م.ن) ،2007.

104_بونقاب مختار:الطريقة العلاوية في الكتابات الاستشراقية الغربية،الطريقة العلوية،(د.ت)،جامعة معسكر.

105_سعدالله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002.

106_ بشير بلاح:تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989،دار الجزائر (د.ت).

الجرائد والمجلاّت:

01- ابن باديس عبد الحميد : الشهاب ، مج 13 ، ج7 ،(سبتمبر 1927).

02- محمد العاصمي: أعظم نادي في الجزائر وإن كان بعد مئة عام، الشهاب، المجلد 03، السنة الثالثة، العدد 107، (04 أوت 1927) .

03- فضلاء محمد الحسين :المقدمة ،مجلة البصائر،عدد1، ،السنة1،المطبعة العربية،الجزائر(3 ديسمبر 1983)،ص80.

04- ابن عمار: المنار (جريدة سياسية ثقافية دينية حرة) السنة الثانية، العدد 7، (1 أوت 1952) ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2010.

05_الابراهيمي محمد البشير: فصل الحكومة عن الدين، مجلة البصائر، السنة 4 من السلسلة الجديدة، العدد 136-180 ،(1951-1952)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

06- الطاهر بن عيشة: نادي الترقي والحركة الإصلاحية الشيخ الطيب العقبي والشيخ السعيد الزاهري، جريدة المحقق، السلسلة الثانية، العدد 58 ،(27 أفريل 2007).

07_ عجالي كمال : مساهمة جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على الهوية الوطنين 16،ديسمبر 2001،جامعة منتوري،قسنطينة، الجزائر ،2010.

08_جرش الجزائري عبد المجيد : حركة التعليم في هذه السنة ،الجامع الأخضر ، مجلة البصائر ، العدد 2 ، السنة 2 ، المطبعة الجزائرية ،(25 جوان 1937).

09- القبالي الفتى: رحلات جمعية العلماء لعمالة قسنطينة ، مجلة البصائر ،العدد 16،السنة 1،المطبعة الجزائرية (24 أفريل 1936).

10- مرحوم علي: مدرسة الفتح بسطيف، مجلة البصائر ، العدد 231،السنة 6، المطبعة العربية ، الجزائر، (29ماي 1953).

11_ علاق هنري: الثورة الجزائرية ،الجذور والتفاعل والأبطال والآفاق، مجلة الحدث العربي ، د.م.ن ، د.س.ن.

الرسائل الجامعية:

01- بوصفصاف عبد الكريم : جمعية العلماء المسلمين و علاقتها بالحركة الوطنية ، رسالة دكتوراه ، معهد التاريخ ، جامعة قسنطينة ، 1983

02 - بن حدةجناة: الطرق الصوفية و تأثيرها على المجتمع الجزائري في العهد العثماني ، مذكرة ليسانس ، إشراف صالح حيمر ، جامعة تبسة.

03- جباري مسعود : الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، رسالة ماجستير ، إشراف: محمد دراجي ، جامعة الجزائر ، 2002

04 - دريادي حميدة : عبد المجيد بن عدة: الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة 1848-1914، أطروحة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2013.

- طالب مراد ، العربي حموش : قضايا الهوية الوطنية في كتابات المؤرخ يحي 05 بوعزيز ، مذكرة ماجيستير ، إشراف عبد القادر قليقي ، المسيلة ، 2016.

06- قوادري زهرة : القضايا العربية الإسلامية من خلال جريدة الإصلاح للشيخ الطيب العقبي (1927-1948)، رسالة ماجستير ، إشراف أحمد مريوش ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ، الجزائر ، 2008-2009.

07- مريوشاحمد: الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، رسالة ماجستير ، إشراف: أبو القاسم سعد الله ، معهد التاريخ بوزريعة ، جامعة الجزائر ، 1991-1992

_ الحواس الوناس : النوادي الثقافية في عمالة الوسط، ودورها في القضية 08 الجزائرية : نادي الترقي نموذجا 1927-1954،أطروحة ماجيستير ،إشراف أحمد مريوش، المدرسة العليا للأساتذة ،الجزائر ،2011.

_ حفيظي سليمة : زاوية الهامل ، دراسة أثرية والأفكار الإسلامية،مذكرة لنيل 09 شهادة ليسانس ، قسم التاريخ، أثار إسلامية ،جامعة قسنطينة،2010 .

_ دبوب محمد: مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية و الإجتماعية 10 ببلاد المغرب الإسلامي، أطروحة ماجيستير ، تاريخ إسلامي ، إشراف بشار قويدر، جامعة الجزائر ،2000.

القواميس والمعاجم:

01- نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2 ، مؤسسة نويهض التعاقدية ، بيروت ، لبنان ، 1990م

02- الزركلي خير الدين: الأعلام و قاموس التراجم ، ج2 ، ط2 ، د .م .ن

03- عمارة محمد : معركة المصطلحات بين الغرب و الإسلام ، ط2 ، دار النهضة ، مصر ، 2004 .

04- مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مج2، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، 1996، (مادة خطب).

05_مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، أخرجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، اسطنبول، 1989.

06- يعقوب إيميل : قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، مادة خطب.

07- علوش سعد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، الجزائر 1985.

08- نبهان يحي محمد: معجم مصطلحات التاريخ، ط1، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان 2008.

09- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، اسطنبول، 1989.

10- يعقوب إيميل: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، مادة خطب.

11- رجب إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، مؤسسة الثقافة، اسطنبول ، 1989.

12- رجب إبراهيم وآخرون: معجم المصطلحات الإسلامية، مؤسسة الثقافة، اسطنبول، 1989.

13- محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مديولي، د. م .ن، 2002.

14_جماعة من العلماء: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، 2000

15_ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن نكرم): لسان العرب، ط1، مج1، ج1، بيروت، 1997.

باللغة الأجنبية:

01_ Ali merad: le reformismemusulman en algerie 1925à1940 assai d histoire religieuse et social,deuxièmeéditione,elhikma, alger ,1999.
02_ AndréNouschi: La naissance du nationalisme Algérien,éd,minuit,paris.
03_ Charles André huilien:lafrique de nord en marche nationalismes et siuvrantéFrancaise, editionrené julliard,paris,1972.
04_ Fanny Colonna: instituteure algériens 1883-1939 office des pubilcationsuniversitaires,alger,1975.
05_ GuenanechMouhamed et KaddacheMahfoud:Le parti du peuple Algérien(1937-1939),documents et témoignages,éd O P U ,alger,1985.
06_Ben jamin Stora :Algérie:Histoire contemporaine(1830-1988),éd, casbah,Alger,2004.
07_Fanny Golonn:instituteurealgérens 1883-1939, office des publication universitaires ,Alger 1975.
08_Mouhamed Guenaneche:lemouvemantdindépondance en Algérie entre les deux guerres(1919-1939) traduit parvSid Ahmed Bouli ,entreprise nationale du livre , alger,1990.
09-Charles Robert Ageron: les algeriens musulmans et la France ,(1871-1919),tom2 ,P.U.F , paris ,1968.
10-Collot cloud ,ethenry-jean ,robert-Lemouvement national Algerien ,textes(1912-1954) ,edition2 O.P.U alge,1981.

المواقع الالكترونية:

2 -**https://fr.wikipedia.org/wiki/Charle-Lavigerie**